شرح نهج البلاغه ابن عتائقی

مجلد حاضر قسمتی از شرح ابن عتائقی میباشد شامل چند خطبه از اول نهج البلاغه و دیباچه سید رضی رضوان الله علیه

گرچه تاریخ تحریر ندارد ولی بقرینه خط و کاغذ و امارات دیگر اواخر قرن هشتم هجری نوشته شده است

آثار دیگری که صحت انتساب نسخه را ثابت میدارد با استناد بمعلوماتی که در منابع مربوطه مانند الذریعه و غیره مذکور است

۲ـ در موارد عدیده از ابوالحسن کیدری و قطب راوندی مطالبی آورده بنحو صفحات ۱۴ ـ ۱۵ ـ ۱۸ ـ ۲۵ ـ ۴۴

و ۱۳۳ که مصرح است

۳ـ گرچه نسخه حاضر مسوده شارح نیست بلکه مبیضه است ولی معهذا پاره آثار و علامات دیده میشود که جز از تصرفات

مؤلف ممکن است نبوده باشد چنانچه در صفحه ۸۳ قسمتی را قریب ۱۲ سطر را حذف کرده در صورتیکه دیده میشود

مکرر نبوده

۴ـ ابن عتائقی است که نسخه خود سید رضی را در دسترس داشته چنانچه در پایان صفحه ۱۶ و اول ص ۱۷ باین موضوع

تصریح نموده آنجا که (لکن حیث انتهت الی نسخة الرضی بخطه وجدت فیها)

۵ـ آنچه از شرح ابن عتائقی که دیده شده است قسمت اول و اخر آن ناقص و مفقود بوده و بطوریکه دیده میشود و در فوق

گفته شد نسخه حاضر قسمت اول شرح است که حاوی خطبه سید رضی اعلی الله مقامه میباشد و ابن عتائقی در این شرح داد سخن و براعت خود را

ثابت کرده مخصوصاً راجع بخطبه مبارکه شقشقیه که جهال عامه با تعصبی که دارند از روی کوری باطنی منکر صحة انتساب آن بحضرت مولی ارواحنا لهٔ الفداء

گردیده اند چنان بطریقه مستدل اثبات کرده که جای انکار شبهه و حتی تردید بجای نگذارده

مجلد حاضر ۱۷۸ صفحه و قریب بهزار سطر کتابت دارد

١

قال السيد رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم خطبة الكتاب

اما بعد حمد الله الذى جعل الحمد ثمنا لنعمايه ومعاذا من بلايه ووسيلا الى
جنانه وسببا الى زيادة احسانه والصلوة على رسوله نبى الرحمة وامام الايمة وسراج
الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع
العلاء المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم ومنار الدين
الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة تكون ازاء
لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم
طالع فانى كنت فى عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدات بتاليف كتاب فى
خصايص الايمة عليهم السلم يشتمل على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حدانى عليه غرض
ذكرته فى صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وفرغت من الخصايص التى تخص امير المومنين
عليا عليه السلم وعاقت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات الزمان
وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولا فجاء فى اخرها فصل يتضمن
محاسن ما نقل عنه عليه السلم من الكلام القصير فى المواعظ والحكم والاداب دون
الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل
المقدم ذكره معجبين ببدايعه ومتعجبين من نواصعه وسالونى عند ذلك ان ابدا
بتاليف كتاب يحتوى على مختار كلام امير المومنين عليه السلم فى جميع فنونه ومتشعبات
غصونه من خطب وكتب ومواعظ وادب علما ان ذلك يتضمن من عجايب البلاغة و
غرايب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية ما لا يوجد
مجتمعا فى كلام ولا مجموع الاطراف فى كتاب اذ كان امير المومنين عليه السلم مشرع
الفصاحة وموردها ومنشا البلاغة ومولدها ومنه عليه السلم ظهر مكنونها
وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قايل خطيب وبكلامه استعان كل
واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتاخروا لان كلامه عليه السلم
الكلام الذى عليه مسحة من العلم الالاهى وفيه عبقة من الكلام النبوى فاجبتهم
الى الابتداء بذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر واعتمدت

والامثال ح
من الاصدقاء خ

یادداشت راجع بشرح نهج البلاغه ابن عتائقی

۱ـ در صفحهٔ ۱۴۰۹ خلیج فارس را بنام بحر فارس نام برده پانصد و نود سال پیش!
۲ـ از تالیف دیگر خود مرحوم بر مصباح المرتاض نام برده ص ۱۸
۳ـ از غزالی و عرفای دیگر و حکمای یونان مطلب و نام آورده مانند ص ۹۴ و جاهای دیگر
۴ـ از شرح سید رضی ذکر کرده است
۵ـ

به ان ابين عن عظيم قدر امير المومنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة الى
المحاسن الدثرة والفضايل الجمة وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف
الاولين الذين انما يوثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فاما كلامه
عليه السلام فهو البحر الذي لا يساجل والجم الذي لا يحافل واردت ان يسوغ
لي في التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق

اولئك اباي فجئني بمثلهم • اذا جمعتنا يا جرير المجامع •

ورايت كلامه عليه السلام يدور على اقطاب ثلثة اولها الخطب والاوامر وثانيها
الكتب والرسايل وثالثها الحكم والمواعظ فاجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتدا
باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل
صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه اوراقا لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ
عني عاجلا ويقع الي اجلا واذا جاء شي من كلامه الخارج في اثناء حوار او
جواب او كتاب او غرض اخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت
القاعدة عليها نسبته الى اليق الابواب به واشدها ملامحة لغرضه وربما
جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقه ومحاسن كلم غير منتظمة لاني اورد
النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق ومن عجايبه عليه السلام التي انفرد بها
وامن المشاركة فيها ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير
والزواجر اذا تامله المتامل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله
ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في انه
من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير العبادة قد قبع في
كسر بيت او انقطع الى سفح جبل لا يسمع الا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن
بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل
الابطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد
الزهاد وبدل الابدال وهذه من فضايله العجيبة وخصايصه اللطيفة التي جمع بها
بين الاضداد والف بين الاشتات وكثيرا ما اذاكر الاخوان بها

واستخرج عجيبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها وربما جاء في اثناء
هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك ان روايات
كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا فربما اتفق الكلام المختار في رواية
فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية اخرى موضوعا غير وضعه
الاول اما بزيادة مختارة او لفظ احسن عبارة فيقتضي الحال ان نعاد
استظهارا للاختيار وغيرة على عقايل الكلام وربما بعد العهد ايضا بما
اختير اولا فاعيد بعضه سهوا او نسيانا لا قصدا واعتمادا ولا ادعي مع ذلك
اني احيط باقطار جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند
ناد بل لا ابعد دون الخارج من يدي وما علي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع
وعلى الله سبحانه نهج السبيل ورشاد الدليل ان شاء الله ورايت من بعد
تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه ابوابها
ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد
ويمضي في اثنايه من عجيب الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه عن
شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة ومن الله
سبحانه استمد التوفيق والعصمة وانتجز التسديد والمعونة واستعيذه من خطاء
الجنان قبل خطاء اللسان ومن زلة الكلم قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل

اما حرف يؤتى به لتفصيل المقسم لا متميز اذا كثر وتعدد به
الجزء فتخصص مع كل واحدة حكم ليس للاخرى فقوله اما بعد حمد الله هو الجزء
الثاني من الكلام وتقدير الكلام مع الجزء الاول اما قبل الشروع في المطلوب فالحمد
لله واما بعد حمد الله فانا كتبت في عنوان السنن وانما حذف الاول اختصارا
للكلام والجأ له ثم استمر ذلك الحذف حسن استعماله في الكلمات الخطابية
وغيرها حتى صار اظهار المحذوف ههنا مستهجنا بقدر ما يستحسن الحذف وقال
سيبويه انه مع الجملة التي يدخل عليها في قوة شرطي متصل فقال اذا قلت اما
زيد فمنطلق فكانك قلت مهما يكن من شي فزيد منطلق ونبه على ذلك بلزوم الفاء

لجوابها وجعل فيها الكلام مشتملا على جملتين شرط وجزاء والمذكور ههنا انما هو الجملة الجزائية واما الشرط فمحذوف للاختصار وهذه الحروف تنوب عنه كما ناب بالنداء منابـ ادعوا ونعم منابـ الجوابـ واحذفت الفاء عن موضعها وهو المبتدا الى الخبر لئلا تقع في صدر الكلام مع ان حقها التوسط اشا بين بين مفردين او جملتين وقوله بعد ظرف تستدعي متعلقا وتقديره اما قولك بعد حمد الله فهو كذا او كذا والحمد لفظ مشترك يصدق على معنى الشكر الذي هو الاعتراف بالنعمة المتقدمة والثناء والتعظيم لربها من الشاكر وعلى الثناء المطلق ابتداء والتعظيم لغير المحسن الى الحامد اذا راى منه فعلا جميلا دون ان يكون في حقه فهو اذا اعم من الشكر وهو اخص من المدح لاختصاص اطلاقه في حق العقلاء دون غيرهم اذ يقال مدحت الفرس ولا يقال حمدته والمعاذ الملجاء والوسيلة جمع وسيلة وهي كل ما تقرب به الى الله تعالى او الى غيره والصلوة لفظ مشترك بين معان فهو من الله تعالى الرحمة. والنبي ماخوذ من النبوة والنباوة وهما الارتفاع لكونه مرتفعا على الخلق وبهما انهم فيكون اصله غير الهمز واما من النبا وهو الخبر لانه يخبر عن الله تعالى والائمة الجماعة والمنتجب المستخلص والمصطفى وسلالة الشيء ما استل منه واستخراج النطفة سلالة الانسان ومنه السليل للمولد والمحتد في الاصل الكريم والمجيد الكريم وكذلك الماجد و اعرق الرجل اذا صار عريقا وهو الذي له عرق في الكرم والاصل والعصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق اذا منع الاذى عنهم وحميهم منه والمنار علم الطريق وهو لفظ مفرد واصل الفه الواو قد يستعمل جمعا لمنارة كما زاده الرضي ههنا ولذلك انث صفته وهذا الجمع على غير قياس فان وزن منارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل ولذلك الجمع الاصلي لمنارة مناور وقال الجوهري وقال منائر وهو نقد شبه الاصلي بالزايد والمثاقيل جمع مثقال وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون جدالهما ثم كثر استعماله حتى عدى الى [illegible] الاشتقال مسك ونحوه ثم عدى الى الامور المفعوله

والمقادير فقيل مثقال فضل وهذا الشيء ازاء لذاك لمن جزاله ومقابل وكذلك المكافاة يقال كافات فلانا بالشيء اذا قابلته به وجزيته عليه وكفاء الشيء بالمدة والقصر مثله ونظيره من جزاء وكوه وخوت النجم بالتخفيف سقط وبالتشديد اذا مال للمغيب وعنفوان الشباب والسن اوله والغض الطري وغضاضه الغصن طراوته ولينه وحدانى على كذا لمن بعثني وحملني عليه وهو ماخوذ من حداء الابل وهو رجزها والغناء لها والباعث لها على السير او الحامل لها على السرعة فيه والخصائص جمع خصيصة فعيلة بمعنى فاعله وهو ما تختص بالانسان من كمال وغيره والمحاجزات جمع محاجزة وهي الممانعة في الطرفين كان الايام تمانعه عن العمل وهو تمانعها لمنعها له. والمماطلات جمع مماطلة وهي مفاعلة ايضا من الطرفين كان الزمان لاشتغاله عن اتمام الكتاب بخدعه بالجان العمل فيه ويخلف كانه هو لطول امله يعد الزمان بوقوع العمل فيه فيخلف ومعجبين ملتوين عجب غيرهم والبدايع جمع بديعة فعيله بمعنى مفعوله وهي على غير مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن وان سبق اليه مبالغة في حسنه وكانه لكمال حسنه لم يسبق اليه والتعجب قولك ما احسن كذا ونحوه من الالفاظ والنواصع جمع ناصعة والناصع من كل شيء خالصه ونصع الامر وضح وبان ومعجبين ومتعجبين منصوبان على الحال وفنون الكلام انواعه و اساليبه والعامل فيه قوله سالونى. والقوانين جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف منها احكام جزئياتها المطابقة لها ولفظه معرب سرياني وقيل انه عربي ماخوذا لكونه ثابتا باقيا امام القتى وهو العبد الذي ملك هو وابوه فهو ثابت في الملك من حيثين او من القتقس وهو الدليل الهادى والبصير في المادى خبر الهتى وكذلك القتا قن بضم القاف لكون القانون هاديا في تعرف جزئياته ويقال على فلان مسحه من جمال اى اثر وعلامة وهو خاص بالمدح قال رسول الله صلى الله عليه واله في جرير بن عبد الله البجلي عليه مسحة من ملك لمن اثر ذلك وقال ذو الرحمة. على وجه مى مسحة من ملاحة ونحت الثياب الشين لو كان باديا

وعبق به الطيب لزق به وانتشرت عنه رائحته والعبقة واحدة العبق
بالتحريك واعتمدت اى قصدت والثروة الكثيرة وكذلك الجمة والاثر ما يبقى
من رسم الشئ وسنن الرسول اثاره ويوثر عنهم ينقل عنهم من الاثار والشاذ
المنفرد الذى لا يصحب امثاله وشذ البعير نفر عن الابل وخرج عن نظامها
والمساجلة المبالغة والمفاخرة فى سقى او جرى واصله من السجل وهو الدلو العظيمة
كان فيها ماء قال الفضل بن عباس من يساجلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب
وجعل النجوم واحتلفوا اى اجتمعوا والمحافلة المفاعلة من الطرفين وقوله
الحافل اى ليس فى كلام غيره مجمع للفضائل يقابل كلامه وقطب الرحى المسمار الذى
يدور عليه ثم استعمل فى كل اصل ينتهى اليه ويرجع فقيل قطب القوم لسيدهم
لكونه عليه مدار امورهم وقطبا الفلك لنهايتى محوره وهو الخط الذى يتوهم مارا
بمركز الفلك منتهيا فى الجهتين الى طرفيه وعليه يدور دائرة الكلام التى تدخل
اجزاءه تحتها ويدور عليها والخطبة اعم من الوعظ والوعظ التخويف فى العرف
بالتذكير بايام الله وامر الآخرة وعذاب النار ونحوه والرسالة اعم من
الكتاب لجواز ان يكون بالقول دون كونها مكتوبة والصنف فى اللغة والنوع
واحد وان كان بينهما فى عرف اخص فرق فى الاجماع وتصميم العزم على الامر و
خلوصه من التردد واثناء الشئ تضاعيفه وهى جمع ثنى بكسر الثاء وسكون النون
تقول انفذت كذا فى ثنى كتابى اى فى طيه والجواب الخطاب والجواب والمحاورة
المجاوبة والمترادف فى الكلام يقال كلمته فلم يحر جوابا والانحاء جمع نحو وهو
القصد وقواعد البيت الاحجار التى يؤسس عليها بناؤه قال الله تعالى واذ
يرفع ابرهيم القواعد من البيت والقواعد من الهودج اخشابه الاربع المعترضات
فى اسفله ثم عدى الى كل اصل يبنى عليه من كلام او غيره والملامحة المشابهة
من قولهم فى فلان ملامح من ابيه اى مشابه واصله من لمح البصر وهو النظر
الخفيف السريع الذى لا يتدبر وذلك ان الملمح مفعل وهو موضع اللمح والمشابهة
محال اللمح ولذلك اشتق منها الملامحة والمتسق المنتظم يتلو بعضه بعضا و

و اصله المنتسق فادغمت النون فى التاء بعد قلبها تاء والنكت جمع نكتة وهى الاثر
فى الشئ يتميز به بعض اجزائه عن بعض ويوجب له الافتقاد من التفات الذهن كالنقطة
فى الجسم ولا اثر فيه الموجب للاختصاص بالنظر ومنه رطبة منكتة اذا بدا ارطابها ثم عدى
لا فيها والامور المعقولة التى تختص بعضها بالدقة الموجبة لمزيد العناية والفكر فى
الكلام فيسمى ذلك البعض نكتة واللمع جمع لمعة وهى البقعة من الكلأ وكذلك الجماعة من
الناس واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق لان البقعة من الارض ذات الكلأ
كانها تضئ لخضرتها ونضارتها دون ساير البقاع وعدى ذلك الى محاسن الكلام وبليغه
لاستنارة الاذهان به ولتميزه عن ساير الكلام فكانه فى نفسه ذو ضياء ونور
واعتراض الشك حضوره بالبال المانع للجزم باحد طرفى المشكوك فيه وقبع القنفذ
قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه فى جلده وكذلك الرجل اذا ادخل راسه فى قميصه واصله
من قبوع القنفذ وكسر البيت اسفل شقة البيت التى تلى الارض من حيث تكسر جانباه
من عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وسفح الجبل منبطحه وجوانبه التى يسيل عليه
الماء من علاه وقد يقال بالصاد ايضا ويوقن يعلم يقينا وانما صارت الياء التى
هو الاصل واوا للضمة قبلها وانغمس فى الامر دخل فيه الامر دخل فيه بكليته واصله
من الدخول فى الماء ونحوه من المايعات واصلت سيفه جرده من غمده وقط الشئ
قطعه عرضا وقده شقه قطعه طولا والبطل الشجاع وجدله اى القاه على
الجدالة وهى الارض ونطق ينطق بضم الطاء فى المستقبل نطقا اى سال والمهج
جمع مهجة وهى الدم ويقال هى دم القلب خاصة والمهجة الروح ايضا ودما منها سفوك
على التكثير والابدال قوم صالحون لا تخلوا الارض منهم اذا مات واحد بدل الله مكانه
اخر قال ابن دريد الواحد بديل وقيل بدل ايضا والعبرة اسم من الاعتبار وهو انتقال
الذهن من امر الى امر والتظهير المعين والاستظهار للشئ الاستعانة بغيره لحفظه و
بالشئ الاستعانة به وعلى الشئ الاستعانة بغيره لاجله والغيرة بفتح الغين المصدر
من قولك غار الرجل على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامرأة غيور ايضا اذا
كانا كثيرى الغيرة والغيرة الم نفسانى يعرض لرجل عن تخيل مشاركة غيره المتحقق

لذلك الحق له فيه والعقايل جمع عقيلة وعقيلة كل شئ اكرمه واحسنه والاقطار
جمع قطر وهي الناحية والجانب وندّ البعير يندّ ندًّا وندودًا نفر وشرد والربق
بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه عرى كثيرة يشد به البهم الواحدة من العرى ربقة وفي
الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجد الحرص في
الاجتهاد والبلاغ اسم من التبليغ والبلوغ اقيم مقام المصدر والنهج الطريق الواضح
والبغية بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى من الشئ والبلال بكسر الباء القدر الذي
يبل به الحلق من ماء او لبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلاء السيف وغيره
صقاله وازالة ما يعرض له من الكدر وجلاء القلب والنفس ازالة ما يعرض لهما من
الكدر الشبهة والجهل وتنجزت الامر سالت انجازه وقضاه والاستعاذة طلب العوذ
وهو الالتجاء كقوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلة اللسان الخطاء في
القول وزلة القدم خطاء الطريق والانحراف عنها وعدم التثبت على الصراط
المستقيم اذا عرفت ذلك فلنخرج الى المعنى فنقول **قوله**
اما بعد حمد الله الى قوله وزيادة احسانه ان حمد الله تعالى سواء كان
عبارة عن الثناء المطلق او عن الشكر المستلزم لتقدم النعمة والاعتراف والتعظيم
بها وتعظيم ربها فان المستحق له في الحقيقة ليس الا الله سبحانه وتعالى ومع ذلك
فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل محسن من الخلق انما يحسن
طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معامله وان عدّ في
العرف احسانا اما في حق سبحانه تعالى فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة
لم يكن احسانه استفادة لاحدهما فكان المحسن الحق ليس الا هو وكان المستحق لكل اقسام
الحمد ليس الا هو واما الثاني فبيانه اما في الثناء المطلق لله سبحانه وتعظيمه
فلاستلزامه ملاحظة جلال الله وكبريايه وتصور الجهة التي باعتبارها
كان مستحقا للثناء والتعظيم دون غيره وهو كونه الها وربا وخالقا لكل ما سواه
ومنزها عن كل نقص مبرّأ عن كل عيب وهذه الملاحظة والاعتبار هو مطلوب
الله سبحانه من جميع العبادات وهو جار منها مجرى الروح للجسد وكذلك الشكر لله سبحنه

فانه مستلزم لمعرفته ومحبته والالتفات اليه وملاحظة الجهة التي كان
مستحقا للشكر وهي اضافة النعم التي لا تحصى على العبد ولا يقدر غيره على مثلها
وهذه الملاحظات هي الاسرار المطلوبة من العبادات وبها تكون نافعة واذا
علمت ان الحمد من اكمل العبادات واتمها لله ثم علمت ان عبادته سبحانه هي
المطلوبة له من خلقه دون غيرها كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون علمت ان الحمد من اكمل المطالب لله فالاتيان به يكون مستلزما
لرضوان الله وما يستلزمه الرضوان من الخيرات الدائمة والنعم الباقية
واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد رضي الله عنه اشار بهذه الفصول
الاربعة الى اربعة انواع من تلك الخيرات الاول قبول الحمد ورضاه من العبد
مع كونه ايسر شئ مؤنة واخفه على اللسان كلفة ثمنا مقابلا كافيا لنعمايه
الله في حقه وذلك في الحقيقة نعمة اخرى وموهبة كبرى يستدعي حمدا اخر وهلم
جرا فسبحان الذي لا يحصى نعماؤه ولا تستقصى الاؤه وقوله ثمنا استعارة
لطيفة ووجه المشابهة ان الثمن لما كان مستلزما لرضاء البايع به عوضا من مبيعه
وكان الحمد مستلزما لرضاء الحق سبحانه في مقابلة نعمة لا جرم اشبه الثمن فاستعير
لفظه له وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى ايوب عليه السلام اني رضيت الشكر
مكافاة من اوليايي في كلام طويل الثاني جعله الحمد معاذا من بلايه وبيانه
اما اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فانه تعالى لما توعد
بالعذاب من كفر نعمه مع ارادته للحمد والشكر وامره بهما في غير موضع علمنا
ان الشكر والحمد من اسباب الخلاص من العذاب الاليم والبلاء العظيم لاستلزامهما
عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الاتي بالحمد مستحق
لرضوان الله من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله
فكان الحمد محللا من بلايه وسخطه الثالث جعله الحمد سبيلا الى
جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات وكون العبادات وسيلة
الى الجنة ظاهر واما ثانيا فما روي ان رسول الله صلعم قال ينادي يوم

الغنمة ليبقى الحمادون فيقوم زمر فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن
الحمادون قال اللذين يشكرون الله على كل حال فعلم بان الحمادين يدخلون
الجنة بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزيادة احسانه وبيانه اما اولا
فلقوله تع ولئن شكرتم لازيدنكم فعلق زيادة النعمة بمجرد الشكر واما
ثانيا فلان الجود الالهى لا بخل فيه ولا منع وانما النقصان من جهة العبد
من الاستحقاق فاذا استعد لقبول النعم بالحمد افاض الله سبحانه عليه نعمة
ثم لا يزال يستعد بالحمد والشكر النعم السابقة للمزيد بالنعم اللاحقة الى ان
تخرج كل كمالاته بالقوة الى الفعل فيلحق بدرجة القدوسين ومجاورة
الملائكة المقربين المعتكفين في حضرة الجبروت وقد عرفت من هذا
البيان ان كون هذه الامور لازمة للحمد انما جعل الله سبحانه ملاحظة
لعباده بعين عنايته وشمولا لهم بسعة رحمته والصلوة على رسوله نبى
الرحمة الى قوله وضوء نجم طالع اردف حمد الله تع بالصلوة على رسوله
محمد صلى الله عليه وآله وذلك من الاداب الدينية التى استمرت عليها العادة
في الخطب وذكر له صلعم اوصافا سبعة الاول كونه نبى الرحمة ملاحظة
لقوله تع وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة من وجوه احدها
انه الهادى الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله ولسبب هدايته
يكون وصول الخلق الى المقاصد العالية ودخول جناب النعيم التى هى غاية
الرحمة الثانى ان التكاليف الواردة على يديه صلعم اسهل التكاليف
واخفها على الخلق بالنسبة الى سائر التكاليف الواردة على ايدى الانبياء
السابقين لامتهم قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وذلك عناية من الله تع
ورحمة اختص بها امته على يديه الثالث انه ثبت ان الله تع يعفو عن عصاة
امته ويرحمهم بسبب شفاعته الرابع انه عليه السلم رحم كثيرا من اعدائه
كاليهود والنصارى والمجوس ببذل الامان لهم وقبول الجزية منهم قال صلعم
من اذى ذميا فقد اذانى ولم يقبل احد من الانبياء الجزية قبله الجزية منهم

سال الله تع ان يرفع عن امته بعده عذاب الاستيصال ودفع العذاب رحمة ٣
السادس ان الله تع وضع في شرعه البعض تخفيفا ورحمة لامته الثانى كونه
امام الائمة اما صدق كونه اماما فلوجهين احدهما ان الامام هو الرئيس المقتدى
في اقواله وافعاله والانبياء عليهم السلم احق الخلق بهذه الصفة اذ هم الاصل
في ذلك الثانى قوله تع لابرهيم عليه السلم انى جاعلك للناس اماما واما كونه امام
الائمة فلقوله عليه السلم ادم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة الثالث كونه
سراج الامة وبيانه قوله تع انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا وهذه استعارة لطيفة لما علمو فان السراج
لما كان من خاصيته اضاءة ما حوله واهتدى الخلق به في الظلمة وكان النبى
عليه السلم اضاء قلوب العالم بنور الوحى والرسالة حتى اهتدى الخلق به من
ظلمة الجهالة لا جرم حسنت استعارة لفظ السراج له وهى استعارة لفظ المحسوس
للمعقول على سبيل الكناية لحسن كونه هاديا للخلق ومرشدا لهم الى الطريق
الحق الرابع كونه منتجبا ومختارا من طينة الكرم وطينة الكرم كناية عن اصله
والكرم حقيقة في السخاء ومجاز في مطلق الشرف والمراد ان الله تع اصطفاه
من اصل هو محل الكرم والشرف الخامس كونه من سلالة المجد الاقدم واضافه
سلالة الى المجد اما على تقدير حذف المضاف الاصلى حتى يكون التقدير سلالة
اهل المجد الاقدم واما ان يكون قد استعار لفظ المجد لاصله عليه السلم فكانه
خيل ان الاصل كله مجد فاعطاه لفظ المجد واضاف اليه بعد الاستعارة ثم وصف
المجد بكونه اقدم لزيادته في الفضل على المحدث بل على القديم السادس كونه
مغرس الفخار المعرق وقد استعار لفظ المغرس الذى هو حقيقة في الارض الطيبة
وجبلته استعاره على وجه الكناية عن شرفه وكماله ووجه المشابهة ان
طبيعته عليه محل ظهور الفخار عنها كما ان الارض الحرة محل ظهور النبات الطيب
الحسن عنها ووصفه بكونه معرقا لزيادته على ما ليس كذلك وهذا من قبيل ترشيح
الاستعارة فانه لما جعل الفخار مغرسا جعل له عرقا السابع كونه فرع

العلاء المثمر المورق لما استعار لفظ المفرع الذى هو حقيقة فى اغصان الشجر المتفرعة عن اصلها له عليه السلم وجهة ما هو متفرع فى الوجود عن ابائه اهل العلو والشرف اتى بما هو من كمال الفرع وهو كونه مثمرا مورقا وهو ترشيح للاستعارة ايضا فان الغصن الخالى عن الثمر والورق او عن احدهما ناقص الكمال والحسن وهى استعارة على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر الى شرف اصله واضافة الفرع ههنا الى العلاء كاضافة لفظ السلالة الى المجد والكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف الاربعة الاخيرة عليه فمن وجوه الاول ما روى عنه عليه السلام قال لم يزل الله تعالى ينقلنى من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات لم يدنسنى بدنس الجاهلية وكفى بذلك شرفا وكرما الثانى انه صلى الله عليه واله من ولد اسمعيل وابرهيم عليهما السلم وكرمهما مشهور قال وهب كان ابراهيم عليه السلم اول من اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واطعم المساكين الثالث نسبه عليه السلم من قريش وشرف القريش فى العرب ظاهر فمنهم قصى الذى جمع قبايل قريش وانزلها مكة وبنا دار الندوة واخذ مفتاح الكعبة من خزاعة ومنهم هاشم بن عبد مناف الذى هشم الثريد لقومه فى عام المحل ومنه سمى هاشما واصل اسمه عمرو وقال الشاعر فيه عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ومنهم عبد المطلب بن هاشم وكان من حكماء العرب ومحصليها وسيد الوادى وشيبه سجد له الفيل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل ببركة ذلك النور راى الرويا فى تعريف موضع زمزم وهو الذى النذر لما نذر ان يذبح العاشر من اولاده وكيفية الفداء له حتى افتخر رسول الله صلى الله عليه واله بذلك فقال انا ابن الذبيحين وكان يامر اولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان لشرفه وعقله قد سلم اليه النظر فى حكومات العرب وفصل الخصومات بينهم وكان يوضع له وساده عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم وحرمات فضله وشواهد عقله كثيرة ومنهم ابو طالب واتفقت الشيعة على انه كان اسلم وان خالفهم غيرهم بينهم فى ذلك وله اشعار كثيرة واحتاز بدل على انه كان مقرا بالصانع الحكيم

موحدا له معترفا بامر المعاد من رامها طالع كذب السادخ قوله وعلى اهل بيته الى قوله ومثاقيل الفضل الراجحة اختلف الناس فى المراد باهل البيت فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور ان نساء النبى عليه السلم مرادون بهذه الاية ومن الناس من خصصها بهن مستدلا بسياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة على انها خاصة بعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلم وهو قول ابى سعيد الخدرى وهو مراد الرضى هنا مع من بعدهم من الايمة الاثنى عشر ووصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم مصابيح وهى استعارة لهم ووجه المشابهة كونهم يهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدى بالمصباح فى الظلمة وثانيها كونهم عصما للامم لى مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم عن السقوط فى احد طرفى الافراط والتفريط وثالثها كونهم منار الدين الواضحة وقد عرفت ان المنار هى محال الانوار وهى ايضا استعارة حسنة كما مر ورابعها كونهم مثاقيل الفضل الراجحة وهذه الاضافة اما بمعنى اللام لى مثاقيل للفضل اى اذا اعتبر فضل غيرهم وبسبب بعضه الى البعض كانوا مثاقيل راجحة يعتبر رجحان ذلك الفضل بعضه على بعض بالنسبة اليها او بمعنى من لى مثاقيل من الفضل مطبوعة ترجح على غيرها ولفظ المثاقيل ههنا مستعار لهم ايضا ووجه المشابهة كونهم معيارا للخلق وموازينا لهم كما ان المثاقيل كذلك صلى الله عليهم اجمعين الى قوله نجم طالع لما دعا الله سبحانه لهم بالصلوة نبه على استحقاقهم لها بثلثة امور احدها اعتبار فضايلهم النفسانية كالعلوم والملكات الخلقية الفاضلة وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة كالعبادات البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم الزاكية المطهرة وبفروعهم فان هذه الامور هى جهات استحقاق الرحمة قوله فانى كنت فى عنفوان السن الى اخر الكلام اقول لما صدر الخطبة بذكر الله تعالى والثناء عليه والصلوة على رسوله واهل بيته صلى الله عليهم شرع فى اقتصاص حاله فى جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة له على ذلك وفى مدح كلام على عليه السلم ثم ذكر فى ذلك الاقتصاص امورا

يحتاج الى التنبية فالاول انها هذا المجموع جزء من كلامه عليه وذلك
في قوله ان ابداء بتاليف كتاب يحتوي على مختار كلام امير المومنين وذلك امر
ظاهر قال قطب الدين الراوندي رحمه الله سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول اني
وجدت بمصر مجموعا من كلام علي عليه في نيف وعشرين مجلدا الثاني ان قوله
جواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنياوية لاستعارتان لطيفتان
لهذين اللفظين فهما الجواهر والثواقب للالفاظ الفصيحة العربية المشتملة على
الحكم من كلامه عليه ووجه الاستعارة الاولى ما اشترك فيه الاحجار المخصوصة
وكلامه عليه من العزة والنفاسة كل بالنسبة الى جنسه فعزة الجواهر بالنسبة الى
مطلق الاحجار وعزة الفاظه الفصيحة بالنسبة الى ساير الالفاظ ووجه
الثانية كون كلامه وما يشتمل عليه من الحكمة البالغة يشرق على ابصار البصاير
ويثقب انواره حجب ظلمات الجهل كما يثقب انوار الكواكب المضيئة حجب الظلمات
المحسوسة وينفذ فيها الثالث كونه عليه مشرعا للفصاحة وموردا لها
وهي ايضا لاستعارة لهذين اللفظين هما حقيقة في النهر والعين ونحوهما له
عليه ووجه المشابهة ان الشريعة من الماء كما يردها العطشى للتروي و
الاستشفاء كذلك هو عليه مرجع للخلق في استفادة الفصاحة ولو قال مصدرها
وموردها لكان ابلغ اوكان المشرع والمورد مترادفين او قريبين من
الترادف وكذلك قوله منشاء البلاغة ومولدها لاستعاره تشبيها له
عليه بالام وتشبيها للفصاحة بالولد في الصدور عنه الرابع قوله
لان كلامه عليه الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة والكلام
النبوي قد بدأ العلم الالهي كله حسنا وجميلا حتى جعل في كلامه عليه اثرا
منه وقد بدأ الكلام النبوي طيبا كالمسك الاذفر حتى جعل في كلامه عبقة منه
واستلزم ذلك تخييل حاستي البصر والشم للعقل ليدرك بالاولى المسحة والعلم
الالهي والثانية العبقة والكلام النبوي وهي لاستعارة على طريق الكناية فكنى
بالمسحة عما ادركه العقل من كلامه عليه من الحكمة والعلم الالهي المشار اليه

في القرآن الكريم والسنة وكنى بالعبقة عما ادركه من الاسلوب والطريقه
الموجودة مع الفصاحة والحكم في الكلام النبوي فكان العقل يبصر ويشم بقوته
اثر العلم الالهي فيه ويشم رائحة الكلام النبوي منه قال ابو الحسن الكيذري
رحمه الله انما خص الكلام الالهي بالمسحة والكلام النبوي بالعبقة لان كلامه
عليه السلم شديد الشبه بكلام الرسول صلى الله عليه فهو لتروحه له والنظافة
صادكشه للفنا له كالجزء منه ولذلك قال عبقة والكلام النبوي ولما كان
المسحة الاثر والجمال ولم يكن مجرد الاثر من الشيء في الشيء فوجب لزومه له وشدة
المشابهة به وكان كلام الباري سبحانه بعيد الشبه بكلام الخلق الا من خصته
بالمسحة دون العبقة وهذا الفرق مع تخليصنا له فيه تكلف ويمكن ان يقرر
بعبارة اخرى فيقال ان العبقة ادل على وجود العابق من المسحة على و
جود ماهي منه فان العبقة يدل على وجود العابق للمحل وفي نفس الامر واما
المسحة من الشيء وهي الاثر منه فانما يدل على وجوده للمحل في الظاهر فقط الا ترى
ان قوله على وجهه مسحة ملاحة ولحسن الثياب بالشين لو كان باديا وايضا
فان اثر الجمال او الثروة او الملك قد يدل على بعض الاذهان ولا يدل على بعض
اخر واذا عرفت ذلك فنقول لما كان كلام علي عليه السلم شديد المناسبة
لكلام النبوة في الاسلوب الظاهرة وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه فكانت
لاستعارة لفظة العبقة له باعتبار نسبته الى كلام النبوة اولى لدلالتها
على شدة تخييل وجود ماهي منه وهو كلام النبوة في كلام علي عليه حتى كانه جزء
منه ولما كان الكلام الالهي بعيد المناسبة الكلام الخلق وكانت نسبة كلام علي
عليه السلم الله من بعض الجهات اما في اشتماله على بعض الحكم او على الفصاحة
دون الاسلوب وكانت المسحة من الشيء انما يدل على وجوده من بعض الجهات وهي الظاهر
فقط كانت لاستعارة لفظ المسحة للكلام الالهي اولى واعلم ان هذا
الفرق بناء على ان السيد الرضي رحمه الله قال مسحة من الكلام الالهي وهو الموجود
في نسخ الشراح وغيرها وكنت شرحت الكلام عليه لكن حيث انتهيت الى نسخة الرضي

مطلب

نخطه وجدت فيها حوله من الكلام الالهي والعلم الالهي فلا حاجة اذن الى التكلف
المذكور الا الحوان ان يكون السيد كتب بنسخة اخرى تطابق النسخ المشهورة الخامس
قوله هو البحر الذي لا يساجل فان المساجلة لما كانت هي المغالبة في السقي والجري
وكان كلامه عليه السلام الكثر جريانا في كلام البلغا من غيره وكانت اوعية اذهانهم
قد امتلات من فيضه حتى لا تفاوته احد في فصاحة ولا حكمة لاجرم اشبه البحر
الذي لا يغلبه بحار في سقي ولا جري وكذلك قوله لا حافل لستعادة وصف الحافله
التي هي صفة من اوصاف الانان لكلامه حتى يشبه عنه لتشبيهاله بالرجل ذي المحفل
الجم والجماعة الكثيرة التي لا يمكن ان تكاثر عنها السادس قوله يسوغ له القتل
مجازي حسن التمثل منه فان السوغ حقيقته سهوله في الشراب فاطلاقه على حسن
القتل مجاز ووجه العلاقة ان القتل عا يزيد اذا احسن بين الناس وشاركان
ذلك لزيد اعنده فاشبه في لذاته وجريانه بين الناس الماء الزلال في لذاذته
وسهولة جريانه في الحلق فحسن اطلاق لفظ السوغ عليه التابع انه نبه على غرضه
في جمع هذا المختار من كلامه عليه السلام وهو ارادة ان يسوغ له التمثل ببيت الفرزدق
واراد التمثل في معرض المفاخرة باباته اذا كانت المفاخرة بالاباء والسلف
يعود الى ذكر مناقبهم وشرفهم وفضايلهم ولا اشرف منه عليه السلام فيمن سلف بعد
الرسول صلعم خصوصا فيما اشتملت عليه نفسه القدسية من الكمالات الحقيقية
التي فاضت على من بعده الى يوم الدين فبالحري ان يسوغ له التمثل على الادوا و
الافتخار به على من اراد التامن قوله وخلع من قلبه انه كلام مثله الا قوله
لم يعترضه الشك للضمير في مثله راجع ايا على عليه السلام ومن في قوله من لبيان الجنس
ومعنى الكلام ان المفكر في كلامه اذا فرضنا انه لم يعرف انه من كلامه عليه السلام
او من كلام شخص اخر مثله في كونه عظيم القدر نافذ الامر خايضا في غمرات الحروب
مباشرا بنفسه تدبير امور الخلق ونظام احوالهم قد ملك الارض بل يعرض انه واجد
هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف الحال فانه والحال هذه لا يعترضه شك
في انه كلام ملحق معرض عن الله بقلبه غير مشغول بغيره بصدق نيته اذ الشك

اذ الشك الذي عساه يعرض لبعض الاذهان الضعيفة في انه ليس كلامه انما منشاه
من معرفته بانه كلام شخص خايض في تدبير الدنيا واحوالها فيكون تلك المعرفة
منشاء لعروض الشك في ان هذا الكلام ليس بكلام رجل هذه الحال وانما قال قد
في كسر بيت او انقطع في سفح جبل لان ذلك من شعاير الزهاد المعرضين عن الدنيا
والضمير في قوله يسمع وحشه عايد الى من اي لا يسمع الا حس نفسه قوله
ينغمس في الحروب مصلتا استعارة حسنه للفظ الانغماس في الدخول في الحرب
فان الانغماس حقيقة في الدخول في الماء وما في معناه الا ان الحرب لما كانت
في حركاتها واجتماع مقاربتها فيها يشبه الماء المتراكم الجم صحت استعارة
الانغماس للدخول فيها فيقال انغمس في الحرب وخاض فيها ونحوه وقوله يقطر
مهجا ان فسرنا المهجة بالدم كانت نسبة القطر اليها حقيقة وان فسرناها
بالروح كانت مجازا لتشبيها الروح بالمايعات الخارجة من الانسان كالعدم ونحوه قوله
وهو مع ذلك زاهد الزهاد وبدل الابدال الواو للحال وثبوت هذين اللفظين
له عليه السلام معلوم من انتساب الصوفية واهل التجريد اليه وقد بينا في مقدمة
الكتاب انه عليه السلام كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلعم وبينا ايضا ان
نفسه القدسية كانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة قوية عليها ولذلك لم تكن
لتشغله سياسة امور الدنيا ومعالجات الحروب ونظام شمل المصلحة عما يعاني من الاشتغال
بالعبادة التامة واقبال توجه النفس القدسية على الاستغراق لانوار الله و
الاخلاص له والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وهذه من فضايل نفوس الانبياء
وكمالات نفوس الاولياء اما الزهد فهو الاعراض عن غير الله وقد يكون ظاهرا
وقد يكون باطنا الا ان المنتفع به هو الباطن قال صلى الله عليه وآله ان الله
لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وان كان لا بد من الزهد
الظاهري اولا اذ الزهد الحقيقي في مبدا السلوك لا يتحقق والسبب فيه ان اللذات
البدنية حاضرة والغاية العقلية التي يطلبها الزاهد هي لحقيقتي غير متصورة له
في المبداء الامر واما الظاهري فهو ممكن متيسر لمن قصد لتيسر غايته وهو

وهي الرياء والسمعة ولذلك قال صلعم الرياء قنطرة الاخلاص ولما بيّنا ان
عليًّا عليه كان سيد العارفين بعد رسول الله صلعم فلا بدّ وان تكون زهده
حقيقيًّا وستعرف في اثناء كلامه بلوغه في درجة الزهد الغاية واما
كونه يخ لك بالشجاعة المشهورة عنه فلانك علمت ان نفس العارف يجب ان
ان يكون مستلزمة للكمالات الخُلُقية وقد عرفت ان الشجاعة اصل منها ولان
المانع من الاقدام على الاهوال والمكاره انما هو خوف الموت وحب البقاء والعارف
معرض عن تقية الموت اذ كانت محبة الله تعالى شاغلة عن الالتفات الى كل
شيء بل ربما يكون الموت مشتهى له لكونه وسيلة الى لقاء محبوبه الاعظم وغايته
القصوى وقد بيّنا في تفضيل اخلاق العارفين من كتاب مصباح العرفان واما
الابدال فقد نقل انهم سبعون رجلا منهم اربعون بالشام وثلثون في ساير البلاد
وفي الحديث عن علي عليه السلم الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق
يجتمعون بينهم حروب العاشر قوله واستخرج عجيبهم لي بتعجيبهم منها من القوة الى
الفعل ومن روى عُجبهم بضم العين فالمراد تعجبهم ايضا لان العجب اسم من الاعجاب
ويحتمل ان يريد بالعجب المحبة لي اذ كرهم لهذه الفضيلة ليظهر محبتهم لها وميلهم
اليها قال ابو الحسن الكيذري واستخرج عجبهم لي اذا عجبهم انهم عاجزون عن امثالها
ينبغي لهم ح عجب بانفسهم منها الي من اجل معرفتها وظاهر ان هذا اللفظ لا يعطي
هذا المعنى قوله والعذر في ذلك ان روايات كلامه تختلف اختلافا
شديدا سبب الاختلاف يحتمل وجهين احدهما انه عليه ربما تكلم بالمعنى الواحد
مرتين او اكثر بالفاظ مختلفة كما هو شان البلغاء واهل الفصاحة فينقله
السامعون باللفظ الاول والثاني فيختلف الرواية الثاني ان الناس في صدر
الاول كانوا يتلقفون الكلام من افواه الخطباء ويحفظونه على الولاء فربما لا
يتمكن السامع من حفظ كل اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب اختلاف في الترتيب او
نقصان في الرواية وربما راعى بعضهم حفظ المعنى دون لفظ الالفاظ فاورد
في اللفظ زيادة ونقصانا قوله نهج البلاغة استعارة لطيفة لهذا الكتاب لان

لان النهج حقيقة في الطريق الواضحة المحسوسة ووجه المشابهة ان الطريق لما
كانت محل الانتقال بالمشي وقطع الاحياز المحسوسة من واحد الى واحد فلذلك
الذهن ينتقل في هذا الكتاب من بعض لطايف البلاغة وشعب الفصاحة الى
انتقالا سهلا فلذلك صح نقل لفظ النهج اليه واستعارته له وبالله التوفيق
فهذا بيان ما يحتاج شكل في هذه الخطبة وباقي كلامه ظاهر ولنشرع الان
في شرح كلام علي عليه السلم المختار من خطبه
امير المؤمنين عليه السلم واوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات
المحصورة والمواقف المذكورة والخطب الواردة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم عليه السلم الحمد لله الذي
لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادّون ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي
لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا
وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتّد بالصخور
ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده
وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف
وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد
ثناه ومن ثناه فقد جزّأه ومن جزّأه فقد جهله ومن اشار اليه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه
ومن قال فيم فقد ضمّنه ومن قال علام فقد اخلى منه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل
شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه
من خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده ش اعلم ان هذه الخطبة
مشتملة على مباحث عظيمة ونكت مهمة على ترتيب طبيعي ولنعقد فيها خمسة فصول الفصل الاول
في تصديرها بذكر الله جل جلاله وتمجيده والثناء عليه بما هو اهله وهو قوله الحمد لله الى
قوله ولا يستوحش لفقده المدح والمدحة الثناء الحسن والمدحة فعلة من المدح وهي
الهيئة والحالة التي ينبغي ان يكون المادح عليها والاحصاء انهاء العد والاحاطة بالمعدود تقول
احصيته اي انهيت عده وهو من لواحق العدد ولذلك نسبه الى العادين والنعماء النعمة
وسائر تمام لمعام المصدر وادّيت حق فلان اذا قابلت احسانه باحسان مثله ولا ادراك

التحقق والسل لا اصابة والوصول والوجدان والهمة هي العزم الجازم والارادة يقال فلان بعيد

الهمة اذا كانت ارادته تتعلق بعلياء الامور والغوص الحركة في عمق الشيء من قولهم غاص في الماء اذا

ذهب في عمقه والفطن جمع فطنة وهي في اللغة الفهم وهي عند العلماء عن جودة استعداد

الذهن لتصور ما يرد عليه وحد الشيء منتهاه والحد المنع ومنه سمى العلماء تعريف الشيء

باجزائه حدا لانه يمنع ان يدخل في المحدود ما ليس منه او يخرج عنه ما هو منه والنعت

الصفة ولاجل اللذة المخصوصة للشيء والفطر الشق والابتداع قال ابن عباس ما كنت

مطلب

ادري ما معنى قوله تعالى فاطر السموات والارض حتى جاء اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما

انا فطرتها اي ابتدعتها والخلائق جمع خليقة وهي ما بمعنى المخلوق يقال هم خليقة الله وخلق الله

اي مخلوقه او بمعنى الطبيعة لان الخليقة هي الطبيعة ايضا والنشر البسط والوتد الفتح

اي ضرب الوتد في حائط او نحوه والصخور الحجارة العظام والميدان الحركة والتمايل وهو

الاسم من ماد يميد ميدا ومنه غصن مياد متمايل والدين في اصل اللغة يطلق على معان منها

العادة ومنها الاذلال يقال دانه ملكه ومنه بيت الحماسة دناهم كما دانوا ومنها المجازاة

اي ادانه
كقوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين تدان ومنها الطاعة يقال

دان له اي اطاعه كقول عمرو بن كلثوم عصينا الملك فينا ان ندينا ويطلق في العرف

الشرعي على الشرائع الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وقرنته اي جعل له قرينا والمقارنة

الاجتماع والمصاحبة ماخوذ من قرن الشيء وغيره ومنه القرن للمثل في السن وكذلك

القرن من الناس اهل زمان الواحد قال اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب

والمزايلة المفارقة وهي مفاعلة من الطرفين والمتوحد بالامر المنفرد به يقال تشاكله يعني

والسكن بفتح الكاف كل ما سكنت اليه لا مراد به لا يمكن ان يعقل الا باعتباره معه ولا يلزم

من تصور العقل ولا يستوحش ضد لا يستانس وهو نفور الطبع بسبب فقد المؤانس

والاستيناس بالشيء ميل الطبع اليه وسكونه وكذلك الانس ومنه الانيس وهو المؤنس

شيالة ان يكون ذلك المتصور موجودا لذلك الشيء نفسه لا من شأنه ذكرها قبل في رسم

المضاف انه الامر الذي يعقل ماهيته بالقياس الى غيره وليس له وجود سوى معقوليته بالقياس

الى ذلك الغير والصفة تنقسم باعتبار العقل الى حقيقية واضافية وسلبية وذلك لان نسبة

العقل للصفة الى غيرها اما ان تعقل معها نسبة الى المنسوب اليه اولا تعقل فان كان الاول فهو

المضاف الحقيقي وحقيقته انه المعقول بالقياس الى غيره كما يعلم بان الله تعالى له نسبة ولا يكون له

له وجود سوى معقوليته بالقياس اليه لكونه تعالى خالقنا ورازقنا وربنا فان حقيقة هذه الصفات

هي كونها معقولة بالقياس الى مخلوقيته ومرزوقيته ومربوبيته مرادفة وان كان الثاني

فالمنسوب اليه اما ان يكون موجودا للمضاف او ليس بموجود والاول هو الصفات

الحقيقية ككونه تعالى حيا فانه امر يعقل بالقياس الى صحة العلم والقدرة له وليس بانه امر

يعقل منه نسبته اليه والثاني هو الصفات السلبية ككونه ليس بجسم ولا بعرض وغيرهما فانها

امور تعقل بالقياس الى امور غير موجودة له بوهم يتمثل لانه لا يلزم من اتصاف ذاته سبحانه

بهذه الانواع الثلاثة من الصفات تركيب ولا تكثر في ذاته لانها اعتبارات عقلية يحدثها عقولنا

عند المقايسة الى الغير ولم يلزم من ذلك ان يكون موجودة في نفس الامر وان لم تعقل ولما كان

دأب العقلاء ان يصفوا خالقهم سبحانه باشرف طرفي النقيض لما تقرر في عقولهم من عظمته

ومناسبة اشرف الطرفين لا عظميته كان جا وصف به تعالى من الصفات الحقيقية والاضافية

والسلبية كلها كذلك اذا عرفت ما قلناه فاعلم انه عليه السلام اوما الى الاعتبارات السلبية وقدمها

على الثبوتية لدقيقة وهي انه قد ثبت في علم السلوك ان غاية التوحيد المحقق والاخلاص المطلق لا يتقرر

الا بنفي كل ما عداه عنه وتنزيهه عن كل ما لا يحق له وطرحه عن درجة الاعتبار وهو المسمى في عرف المحققين

واهل العرفان بمقام التخلية والتنفض والتفريق وما لا يتحقق الشيء الا به كان اعتباره مقدما على اعتبار

ولهذا الترتيب كان اجل كلمة نطق بها في التوحيد قولنا لا اله الا الله اذ كان الجزء الاول منها مشتملا

على سلب كل ما عدا الحق سبحانه مستلزما لغسل درن شبهة لخاطر ما سواه وهو مقام التنزيه

والتخلية حتى اذا انزاح كل ثان عن محل عرفانه استعد بجوده المتجلية بنور وجوده وهو

ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة ولما بيناه انه على لسان العارفين والفاتح لاخلاق الطريق

الى الواحد الحق والمعلم المرشد بكيفية السلوك وكان سلب الاوهام البشرية حاكمة بمثليته

لمدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك حقيقته والواصل الى ساحل عزته والمستغرق في الاوجود

اذا انكر وجوده نادرا لم تكن الاوهام الواصفة له بما لا يجوز عليه معارضة في اكثر الخلق بل كانت

جارية على حكمها تابعة لعقولها الى تلك الاحكام الباطلة كالمشبهة ونحوهم لا جرم بدأ عليه السلام

بذكر السلب اذ كان تقديمه مستلزما لغسل دون الحكم الوهمي في حقه تعالى عن كونه في الخيال والفكر

حتى اذا ورد عقيب ذكر كونه تعالى بما هو اهله اورد على الواح صافية من كدر الباطل فانتقشت

بالحق كما قال فصادف قلبا خاليا فتمكنا ثم انه عليه السلام بدأ بتقديم حمد الله على الكل هنا على

سائر خطبه جريا على العادة في افتتاح الخطب وتصديرها وسر ذلك تأدب الخلق بلزوم الثناء

على المدح تعالى والاعتراف بنعمه عند افتتاح كل خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرة الجلال
والالتفات اليها عامة الاحوال وقد بينا ان الحمد يفيد معنى الشكر ويفيد ما هو اعم من ذلك
وهو التعظيم المطلق
وهو التعظيم المطلق وهو يحتمل اقسامه مرادها هنا لكون الكلام في معرض التمجيد المطلق
الذي لا يسع مدحته القائلون اذ تنزهه عن اطلاع العقول البشرية على كيفية مدحه
سبحانه كما هي وشان هذا الحكم ان الثناء الحسن على الرب انما يكون كما هو اذا كان ثناء عليه بما هو
كذلك في نفس الامر وذلك غير ممكن في حق الواجب الوجود سبحانه اذ لا تعقل حقيقته وما له
من صفات الجلال ونعوت الكمال كما هي وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام فالعقل وان
صدر عن المادحين بجودة المدح المتعارف بينهم وعلى ما هو دابهم من وصفه بما هو اشرف
طرفي النقيض فليس بكمال مدحته في نفس الامر لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحق في حقه
وان نصوا بجودة المدح الحق والى تاديب الخلق وتنبيههم على بطلان ما يحكم به اوهامهم
في حقه واستلزم ذلك ان من اجرى عليه حكما وهميا فليس لم يجد له على الحقيقة والى هذا النهي
اشار الباقر محمد بن علي عليهما السلام مخاطبا وهل سمى عالما قادرا الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة
للقادرين فكل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم والبارئ تعالى
واهب الحياة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانيتين كما لها فانها
يتصور ان عدمها نقصان لمن لا يكون له فهكذا شان الخلق فيما يصفون به باريهم فان اوهامهم
حاكمة له بكل ما يعدونه كمالا في حقهم ما لم تنته عقولهم على رد بعض تلك الاحكام الوهمية
ولولا ورود الشرع كقوله صلعم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق لحكموا بكثير من تلك الاحكام
في حقه سبحانه وتعالى عما يصفون ويحتمل ان يكون المراد تنزيهه عن بلوغ العقل والاوهام
تمام الثناء الحسن عليه واحصائه اي الحمد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء كان وراءها
اطوارا من استحقاق الثناء والتعظيم اعلى كما اشار اليه سيد المرسلين صلعم بقوله لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وفي تخصيصه علو القائلين دون المادحين بالذكر نوع لطف فان القائل
لما كان اعم من المادح وكان سلب العام مستلزما لسلب الخاص من غير عكس كان ذكر القائلين ابلغ
في التنزيه اذ التقدير لا واحد من القائلين بالغ مدحه الله سبحانه ولا يحصي نعماءه العادون
المراد ان حسبان نعم الله واافرادها لا يحيط بها حصر الانسان وعده لكثرتها وشان هذا الحكم
بالنقل والعقل اما النقل فقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه الآية من جنسها هذا الحكم
وحصر ذلك واما العقل فلان نعم الله على العبد كثيرة منها الظاهرة ومنها باطنة كما قال واسبغ عليكم نعمه ظاهرة

ظاهرة

ويكفيك في صدق هذا الحكم التنبيه على بعض حسبان نعم الله في على العبد فنقول ان من جملة نعمه تعالى على
الانسان ان اكرمه بملائكته وجعله مسجود الهم ومخدوما وجعلهم في ذلك مراتب ملكا ذكيا افهمهم اليه
واخصهم به وهم الملائكة الذين يتولون اصلاح بدنه والقيام بمهماته وحوائجه وان كانوا في ذلك
ايضا على مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا منوله كالوزير الناصح المشفق من شانه تيسير الاصلاح والنفع
له ولامته وجعل بين يدي ذلك الوزير ملكا اخر كالحاجب له والمتصرف بين يديه من شانه تمييز صداقة
الاصدقاء للملك من عداوة الاعداء له وجعل لذلك الحاجب ملكا اخر ليضبط عنه ما ينفعه من
الامور ليطالعها الوزير عند الحاجة اليها ثم جعل بين يديه ملكين اخرين ملك الغضب وهو صاحب
الشرط موكل بالخصومات والغلبة والبطش والانتقام والثاني ملك اللذة والمتولي لمشتهيات
الانسان بالطلب والامر بالاستحضار وبين يديه ملائكة اخرى يسعى في تحصيل ما يامر به ويطلبه
ثم جعله سبحانه وراء هولاء سبعة اخرى من الملائكة دابهم اصلاح غذاء الانسان فالاول
موكل بجذب الغذاء الى داخل المعدة اذ الغذاء لا يدخل بنفسه فان الانسان لو وضع اللقمة في
فيه ولم يكن لها جاذب لم تدخل والثاني موكل بحفظه في المعدة الى تمام نضجه وحصول الغرض منه
الثالث موكل بطبخه وتنضيجه والرابع موكل بتفريق صفوته وخلاصته في البدن سد البدل ما يتحلل
منه الخامس موكل بالزيادة في اقطار الجسم على التناسب الطبيعي بما يوصله اليه الخامس والرابع فهما
كالنامي والمتناول السادس موكل بنقل صورة الدم من الغذاء والسابع الذي يتولى دفع الفضلة
الغير المنتفع بها عن المعدة ثم وكل تعالى جماعة اخرى في خدمته شانهم ان يوردوا عليه الاخبار من خارج
وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا وعملا خاصا وجعل لهم رئيسا يبعثهم ويجمعون اليه ما علموه
وجعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنه ما يصل اليه من تلك الاخبار ثم جعل بين هذا
الخازن وبين الخازن الاول ملكا اخر قويا على التصرف والحركة سريعا لا سعال الحس يتنقل في
اللحظة الواحدة من المشرق الى المغرب ومن تخوم الارض الى السماء العليا قادرا على التصرفات العجيبة
وجعله مؤتمرا للوزير تارة وللحاجب اخرى وهو موكل بتفتيش الخزائن ومراجعة الخازنين
باذن الوزير وواسطة الحاجب اذا اراد استعلام امر من تلك الامور وغيرها من الملائكة
التي خص الله تعالى بها بدنه وجعلها اقرب الملائكة المتصرفين في خدمته اليه ثم ان وراء هولاء اطوارا
اخرى من الملائكة الارضية كالملائكة الموكلين بانواع الحيوانات التي سخرها للانسان وما يكون
له مسخرة وانواع النبات والمعادن والعناصر الاربعة والملائكة السماوية التي لا يعلم عددهم
الا الله سبحانه كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو فان كل واحد منها موكل بفعل خاص له

و له مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم وهم بامرهم متحركون
في مصالح الانسان ومنافعه من اول خلقه الى حين وفاته باذن المدبر الحكيم وفي سائر الملائكة من سائر
الموجودات في هذا العالم المشتملة على المنافع وما افاض عليه من القوة العقلية التي هي سبب الخيرات
الباقية والنعم الدائمة التي لا ينقطع موادها ولا يتناهى تعدادها فان كل ذلك في الحقيقة نعم الهية
ومواهب ربانية للعبد بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة ومعلوم انه لو قطع
وقته اجمع بالنظر الى اثار رحمة الله في نوع من هذه النعم لا ينتهي دونها فكره وقصر عنها احصاؤه
وحصره ومع ذلك كل غافل عن شكر الله جاهل لمعرفة الله مصر على معصيته فحق ان يقول سبحانه وتعالى
بعد تنبيهه له على ضروب نعمه والامتنان بها عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم
كفار ظلوم لنفسه بمعصية الله معتاد للكفر بالآء الله قتل الانسان ما اكفره اي الانسان
لكفور مبين فسبحان الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى آلاؤه وغاية هذا الكلام تنبيه الغافلين
من مرافق الطبيعة على لزوم شكر الله والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام اخطاره بالبال والوفاء
حقه المحتمد ون هذا الكلام ظاهر الصدق من وجهين احدهما انه لما كان اداء حق النعمة مقابل الاحسان
بجزاء مثله وسبق في الكلمة السابقة ان نعم الله سبحانه لا تحصى لزم منه ذكر انه لا يمكن مقابلتها الثاني
ان كل ما يتعاطاه من افعالنا الاختيارية مستند الى جوارحنا وقدرتنا وارادتنا
وسائر اسباب حركاتنا وهي بأسرها مستندة الى جوده ومستفاد من نعمته وكذلك
ما يصدر عنا من الشكر والحمد وسائر العبادات نعمة منه فكيف تقابل نعمته بنعمته وروي
ان هذا الخاطر خطر لداود النبي وكذلك لموسى عليه السلام فقال داود يا رب كيف اشكرك وانا
لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية اخرى وشكري نعمة منك
توجب علي الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت
ان النعم مني رضيت منك بذلك شكرا فما قال في الخبر من ان فلانا ادى حق الله تعالى
فليس المراد جزاء النعمة بل لما كانت المطالب لله تعالى من التكاليف الشرعية والعقلية
تسمى حقوقا قالوا لمن سعى واجتهد في امتثالها ادى حق الله وذلك لان الاداء في الحقيقة من
اعظم نعمه تعالى على عبده اذا كان الاعمال وسائر اسباب السلوك الموصل الى الله كلها
مستندة الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا
على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وما كان في الحقيقة
نعمة الله لا يكون اداء لنعم الله ولا جزاء لها وان اطلق ذلك في العرف اذ كان من شان
الحق المطلوب المتعارف بين الخلق لا يستلزم وجوب الجزاء والاداء ليس دعوا الى الايمان في

به رغبة ورهبة فيحصل المقصود من التكليف حتى لو لم يعتقدوا انه الحق لله بل سمعوه في نفوس خالص
لهم لم يهتموا به غاية الاهتمام اذا كانت غايته غير متصورة لهم كما هي وقلما يهتم النفوس بامر
لا تتصور غايته ومنفعته حضور صاحب المشقة الا رخصة في تحمله الا باعث ما هو من خارج قوله
الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن اقول اسناد الغوص هنا الى الفطن على سبيل
الاستعارة اذ الحقيقة اسناده للحيوان بالنسبة الى الماء وهو مستلزم لتشبيه المعقولات
بالماء ووجه الاستعارة هنا ان صفات الجلال ونعوت الكمال لما كانت في عدم تناهيها
والوقوف على حقائقها واغوارها شبيهة بالبحر الخضم الذي لا يصل السابح له الى ساحل
ينتهي الغائص فيه الى قرار وكان السابح لذلك البحر والخائض في تياره هي الفطن الثاقبة
لا جرم كانت الفطنة شبيهة بالغائص في البحر فاسند الغوص اليها وفي معناه الغوص
في الفكر والخوض في الوهم ويقرب منه اسناد الادراك الى بعد الهمم اذ كان الادراك
حقيقة في لحوق جسم لجسم آخر واضافة غوص الى الفطن وبعد الى الهمم اضافة لمعنى الصفة
بلفظ المصدر الى الموصوف والتقدير لا يناله الفطن الغائصة ولا يدركه الهمم البعيدة
ووجه الحسن في هذه الاضافة وتقديم الصفتين ان المقصود لما كان هو المبالغة في عدم
اصابة ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمة من حيث بعيدة كانت تلك الحيثية
مقصودة بالقصد الاول وقد تبين ان البلاغة تقتضي تقديم الاهم والمقصود الاول على ما ليس
كذلك وبرهان هذا المطلوب ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت مبرأة عن جهات التركيبات عرية
عن اختلاف الجهات متنزهة عن تلك الكثرات وكانت الاشياء انما تعلم بما هي من جهة المؤلفة
من اجزائها فاذا صدق ان واجب الوجود ليس له تركيب فليس له تركيب فليس يدرك الحقيقة صدق
ان واجب الوجود ليس يدرك الحقيقة فلا يدركه همة وان بعدت ولا يناله فطنة وان استغرقت فكل
سابح في بحار جلاله غرق وكل موج للوصول اليها فادكر بانه حق لا اله الا هو سبحانه عما يقولون
علوا كبيرا قوله الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود اقول المراد ليس لمطلق
ما تعتبره عقولنا له من الصفات السلبية والاضافية نهاية معقولة تقف عندها فيكون
حدا له وليس لمطلق ما يوصف به ايضا وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له ويحتمل انه اراد بالحد
الكبير كي يمكن ان يؤول قوله حد محدود على ما تأول له في كلام العرب ولا يرى الضبط بما يخصه اي ليس بصاحبه
فيصح حتى يكون المراد انه ليس له صفة فيحد وهو تعالى واحد من كل وجه منزه عن الكثرة بوجه فيمتنع
ان يكون له صفة يزيد على ذاته كما في سائر الممكنات وصفاته المعلومة ليست من تلك الامور الناشي

نسب واضافات لا يجب وصفه بها كشيء ذاته قال وجاز بعد هذا التأويل قوله بعد ذلك فهو وصف ابه
سبحانه فتدبر فيه وهذا التأويل حسن وهو راجع الى ما ذكرناه في المحدود وما وصفه احد بكونه محدودا
للمبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التأويل تكون قوله ولا نعت موجود سلبًا
للنعت عن ذاته سبحانه اذ التقدير ليس له صفة تحد ولا نعت وقيل معنى قوله ليس لصفته
حد اي ليس لها غاية بالنسبة الى متعلقاتها كالعلم بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات
وهو قريب مما ذكرناه قوله ولا وقت معدود ولا اجل ممدود اول وصف الوقت بكونه معدودا
كقوله تعالى في ايام معدودات وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وهو المعلوم الداخل في الاحصاء
والعد وذلك ان العد لا يتعلق بالوقت الواحد من حيث هو واحد فانه من تلك الحيثية
ليس معدودا بل مبدأ للعدد وانما يتعلق به من حيث انه داخل في الاوقات الكثيرة الموجودة
في الزمان اما بالقوة او بالفعل التي يلحقها جملتها عند اعتباره التفصيل كونها معدودة
اذ تقال هذا الفرد معدود في هذه الجملة اي داخل في عدها ومراده نفي هذين الحكمين نفي
نسبة ذاته وما يلحقها الى الكون في الزمان وان تكون ذات اجل ينتهي اليه فيسقط
وجودها بانتهائه وبيان ذلك من وجهين احدهما ان الزمان من لواحق الحركة التي هي من
لواحق الجسم فلما كان الباري سبحانه منزها عن الجسمية استحال ان يكون في الزمان الثاني
انه لو كان او جد الزمان وهو في الزمان لزم كون الزمان متقدما على نفسه وهو محال وان اوجده
بدون ان يكون فيه كان غنيا عن وجوده عنه وهو المطلوب بخلاف صدق هذين السلبين في حقه
تعالى معلوم وقد حصل في هذا الفرائد الاربع البحث المتواتر مع فوع من التخيص قوله الذي
فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اقول لما قدم
الصفات السلبية شرع في الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات الثلاث موجودة في القران
الكريم اما الاول فقوله تعالى الذي فطركم اول مرة واما الثاني فقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته واما الثالث فقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقوله والجبال
اوتادا اما فطر الخلائق بقدرته فاعتباره من حيث استناد المخلوقات الى قدرته
ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق في الاجسام كان نسبته هنا الى الخلق
استعارة ووجه الاستعارة ان في الاستعارة في امثال هذه المواضع بحث لطيف
قال بعد ذلك ان المخلوق قبل دخوله في الوجود كان معدوما محضا والعقل يتصور
من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فاذا اخرج الموجود المبدع من العدم
الى الوجود فكانه بحسب التخييل والتوهم شق ذلك العدم وفطره واخرج ذلك الموجود منه

عجب ... ...
منه فلس الا ان ذكر الشق والفطر على هذا التقريب لا يكون للموجود المخترع بل للعدم الذي
خرج هذا الموجود منه اللهم الا ان يقدر حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه حتى
يكون التقدير الذي فطر عدم الخلائق وهو استعمال سائغ في العرف والعربية كثيرا حسن بين
الناس ظاهر ومثله قال نعم في الذي على قول بعض المفسرين كما سنبينه وقال ابن الانباري
لما كان اصل الفطر الشق الشيء عند ابتدائه فقوله فطر الخلائق اي خلقهم وانشاءهم بالتركيب
والتاليف الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى البعض ثم
ان الفطر كما يكون شق افساد كقوله تعالى فاطر السموات والارض كذلك يكون شق افساد
كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وهل ترى من فطور واما قوله ونشر الرياح برحمته
فبيانه ان نشر الرياح وبسطها لما كان سببا عظيما من اسباب بقاء انواع الحيوان
والنبات واستعداد الامزجة للصحة والنمو وغيرهما حتى قال اكثر الاطباء انها
ستحيل دونها حيوانيا وكانت علة الله سبحانه وعموم رحمته شاملة لهذا العالم
وهو مستند كل موجود لاجرم كان نشرها برحمته ومن اظهار اثار الرحمة الالهية بنشر
الرياح حملها للسحاب المتراكم بالماء وما ثار تهماله على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة
فينبت بها الزرع ويملا الضرع كما قال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته وقال ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته وقال وارسلنا
الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب
نعم الله بذكر هذه النعمة الجليلة ليستديموها ودوام شكره والمواظبة على طاعته كما قال تعالى
واذكروا نعمة الله عليكم وكقوله لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال بعض الفضلاء ان العرب تستعمل الريح في العذاب والرياح
في الرحمة وكذلك نزول القران الكريم قال تعالى ريحا صرصرا وقال الريح العقيم وقال يرسل الرياح
مبشرات والرياح لواقح وامثاله قوله ووتد بالصخور ميدان ارضه اقول المراد تسبيه
بظاهر الارض الى قدرته سبحانه وههنا بحثان **البحث الاول** ان من القائل وتدت
كذا بكذا معناه جعلته وتدا له والموتود ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتود
ههنا ميدان الارض وهو عرض من الاعراض لا يتصور جعل الجبل وتدا له الا ان القول لما كان
من الميدان علة حاملة على ايجاد الجبل وايتاد الارض بها كان الاهتمام به اشد فلذلك قدمه
واضافه اضافة الصفة الى الموصوف وان كان التقدير ووتد بالصخور ارضه المائدة

الفائدة البحث الثاني في تعليل وجود الجبال بميدان الارض وقد ورد هذا في القرآن الكريم
في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله والجبال اوتادا ولا بد من البحث
عن وجه هذا التعليل وفيه عدة اوجه الوجه الاول قال المفسرون في تفسير هذه الآية ان السفينة
اذا القيت على الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتتحرك فاذا وضعت الاجرام الثقيلة فيها
استقرت على وجه الماء وسكنت قالوا فكذلك لما خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت
ومادت فخلق الله عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال
قال الامام فخر الدين ويتوجه على هذا الكلام ان يقال لا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل
من الماء يغوص فيه ولا يبقى طافيا عليه واذا لم يبق كذلك امتنع ان يقال انها تميد وتميل
بخلاف السفينة اذا كانت من الاخشاب وداخلها مجوف مملو من الهواء فلذلك تبقى طافية
على الماء فلا جرم تميل وتضطرب الى ان ترسى بالاجرام الثقيلة فاذن الفرق ظاهر الوجه الثاني
ما ذكره هو وقال انه قد ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرة وثبت ايضا ان
الجبال على سطح الارض جارية مجرى خشونات وتضريسات حاصلة على وجه الكرة فاذا ثبت
هذا فلو فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية
عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بادنى سبب لان الجرم
البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا انه بادنى
سبب يتحرك على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال وكانت الخشونات
الواقعة على وجه الكرة وكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك
الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة
الارض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة
المانعة لها من الحركة المستديرة الوجه الثالث انه لما كان من شان الوتد ان يحفظ الموتود
في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا وكان من لوازم ذلك السكون
في بعض الاشياء صحة الاستقرار على ذلك الشيء والتصرف فيه وكان من فائدة وجود الجبال
والتضريسات الموجودة في وجه الارض ان لا يكون مغمورا بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار
والتصرف عليها لا جرم كان سبب الاوتاد هو الجبال الخارجة من الماء في الارض استقرار
في كونها مستقلا في الصحة الاستقرار ما يعرض من عدمه فلا جرم صح استعارة لفظ الاوتاد
الى القصود والاعتبار واما استعارة المهاد فلان الحيوان كما يكون صار قادرا عليه انه يمكن

انه غير مستقر على الارض بسبب انغمارها في الماء لو لم توجد الجبال كونها يصدق على الارض انها غير مستقرة
له ومضطربة بالنسبة اليه وحاصله انه لولا وجود الجبال في سطح الارض لكانت مضطربة وكانت بالنسبة
الى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها الوجه الرابع قال بعض الحكماء انه يحتمل ان يكون الاشارة بالتعبير
الى الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التعبير بالقصود عن الانبياء والاولياء
والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التعبير بالقصود على الانبياء والعلماء فلان القصود والجبال
لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار مانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما
يلتجئ اليها من الحيوان عن ما يوجب الهرب فيسكن عن كل اضطرابه وقلقلته اشبهتها الاوتاد
من بعض هذه الجهات ثم لما كانت الانبياء والاولياء والعلماء هم السبب لانتظام امور الدنيا
وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد للارض فلا جرم صحت استعارة لفظ القصود لهم ولذلك
يحسن في العرف ان يقال فلان جبل منيع يأوي اليه كل ملهوف اذا كان مرجعا في المهمات والحوائج
والعلماء اوتاد الارض الوجه الخامس ان المقصود من جعل الجبال كالاوتاد للارض
ان يهتدى بها على طرقها والمقاصد فيها فلا تمتزج المشتبهة باهلها ولا يميل بهم سهولها
فيها عن طرقهم ومقاصدهم قوله اولئك الذين معرفة اقول لما كان الدين في اللغة الطاعة كما سبق
في العرف السوي عبارة عن الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم وكان اتباع الشريعة طاعة
مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد طرفي مسمياته وكثرة استعماله فيه صار
حقيقة دون سائر المسميات لانه المتبادر الى الفهم حال اطلاق لفظ الدين واعلم ان معرفة الصانع
سبحانه على مراتب فاولها وادناها ان يعرف الانسان ان للعالم صانعا الثانية ان يصدق بوجوده
الثالثة ان يترقى بجذب العناية الالهية الى التوحيد وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص
له الخامسة نفي الصفات التي تعتبرها الاذهان له عنه وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان
وكل مرتبة من المراتب الاربع الاولى مبدأ لما بعدها من المراتب وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها
ثم ان المرتبتين الاولتين ليس من كونهما في الفطرة الانسانية بل فيها من اعم منها وهو الفطرة الحيوانية ولذلك
لم يدع الانبياء عليهم الخلق الى تحصيل هذا القدر من المعرفة وانما لو كان حصول هذا القدر من المعرفة
متوقفا على دعوة الانبياء وصدقهم مع ان صدقهم مبني على معرفة ان للعالم صانعا للخلق اذ سلمهم للزم
الدور وانما كان اول مرتبة دعوا الناس الى المعرفة هو توحيد الصانع ونفي الكثرة عنه المشار اليها
اول كلمة نطق بها الداعي الى الله وهو قولنا لا اله الا الله دخل الجنة ثم لما استعدت اذهان الخلق
لما لطفه من التوحيد الظاهر نبههم الى ما فيها فوق اعداد التوحيد على ما هو اخفى من الاول فقال

من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة. وذلك اشارة الى حذف كل قيد عن درجة الاعتبار مع الوحدة
المطلقة واذا عرفت ذلك فاعلم انه يحتمل ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة الاولى من مراتب المعرفة
وحينئذ يكون معنى قوله اول الدين معرفته ظاهر فان ذلك القدر اول مستحصل من الشخص من
الدين الحق ويحتمل ان يكون مراده المعرفة التامة التي هي غاية العارف ونهاية مراتب المعرفة
وح يكون المراد من كونها اول الدين هو اوليتها في العقل وهو اشارة الى كونها علة غائية اذ
العلة الغائية متقدمة في العقل على ما هي علة له وان تأخرت في الوجود وبيان ذلك ان المعرفة
التامة هي غاية سعي العارف غير الحاصلة في مبدأ الامر بل يحتاج في كمال ما تحصل له من مراتب
المعرفة وتحصيل المعرفة التامة الى الرياضة بالزهد والعبادة وتلقي الاوامر الالهية
بالقبول التي هي سبب تمام الدين فيستعد اولا بسببها للتصديق بوجوده يقينا ثم
لتوحيده ثم للاخلاص له ثم لنفي كل ما عداه عنه معرفته بنار بحار العظمة. وكل مرتبة ادركها
من كمال لما قبلها الى ان يتم العرفان المطلوب له بحسب ما في وسعه وبكمال المعرفة يتم الدين وينتهي
السفر الى الله قوله وكمال معرفته التصديق به الى قوله نفي الصفات عنه اقول ترتيب
هذه المقدمات على هذا الوجه يسمى قياسا مفصولا وهو القياس المركب الذي يطوى فيه النتائج وعند
ذكرها يتبين ان المقصود منها بيان ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وهذا القياس مركب من
قياسات يشبه قياس المساواة لعدم الشركة من مقدمتي كل منها في تمام الاوسط ويحتاج
في انتاج كل منها الى قياس اخر والمطلوب من القياس الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق
به وكمال التصديق به توحيده ان كمال معرفته توحيده وانما يلزم عنه هذا المطلوب بقياس
اخر صورته ان معرفته كمالها كمال توحيده وكلما كان كمال كماله توحيده كان كماله توحيده
فينتج ان كمال معرفته توحيده اما المقدمة الاولى فلان التوحيد كمال التصديق وهو كمال المعرفة
واما الثانية فلان كمال الكمال للشيء وهذا الحكم باق في البواقي والمطلوب من تركيب هذه النتيجة مع المقدمة
الثالثة وهو قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له ومن تركيب هذه النتيجة
مع المقدمة الرابعة وهي قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه يحصل المطلوب واعلم ان
في اطلاق الكمال ههنا تنبيها على ان معرفة الله تقبل بحسب التشكيك اذا كانت قابلة للزيادة
والنقصان وبيان ذلك ان ذات الله سبحانه لما كانت بريئة عن انحاء التراكيب لم يكن معرفتها بحقيقته
الا بحسب رسوم ناقصة تتركب من سلوب واضافات تلزم ذاته المقدسة لزوما عقليا فتلك
السلوب والاضافات لما لم يكن متناهية وتتفاوت في خفائها وجلائها لاجرم كان كمال
التصديق

التصديق والتوحيد والاخلاص واذا تقرر ذلك فلنشرع في تقرير المقدمات اما المقدمة الاولى وهي
ان كمال معرفته التصديق به فبيان ذلك ان المتصور لمعنى اله العالم عارف به من تلك الجهة
معرفة ناقصة تمامها الحكم بوجوده ووجوبه اذ من ضرورة كونه موجدا للعالم كونه موجودا فاما
لم يكن موجودا استحال بالضرورة ان يصدر عنه اثر موجود فهذا الحكم هذا الحكم الاخير هو كمال معرفته
واما الثانية وهي قوله وكمال التصديق به توحيده فبيانها ان من صدق بوجود الواجب جهل مع
ذلك كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا ناقصا تمامه توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة
لازمة لوجود الواجب فان طبيعة واجب الوجود لو تعددت لكانت حقيقته بين اثنين فلا بد لكل
واحد منهما من مميز وراء ما به الاشتراك فيلزم التركيب في ذاتيهما وكل مركب ممكن فيلزم ان لا
يكون واجب الوجود وان فرض معا، وحكم بوجوده واما الثالثة وهي قوله وكمال توحيده
الاخلاص له ففيها اشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف انما يتم بالاخلاص له وهو الزهد
الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الاول عن سنن الاسرار وبيان ذلك انه ثبت
في علم السلوك ان العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء
سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيره حتى ان اهل الاخلاص ليعدون
ذلك شركا خفيا كما قال بعضهم من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم انه مريض
وانهم ليعتبرون في تحقيق الاخلاص ان يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال
الله وان لحظها فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزينة بزينة الحق فاذن التوحيد
المطلق ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وذلك هو المراد بالاخلاص له وكمال توحيده الاخلاص له
واما المقدمة الرابعة وهي ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه فقد بين علماء هذا الفن
بقياس برهان مطوي النتائج ايضا استنتج منه ان كل من وصفه فقد جهله وذلك
قوله عليه السلام لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة
الى قوله ومن جزاه فقد جهله وبيان صحة هذه المقدمات واما قوله لشهادة كل صفة
انها غير الموصوف بالعكس فهي قضية لا تستدل لبيان المغايرة بين الصفة والموصوف
والمراد بالشهادة ههنا شهادة الحال فان حال الصفة يشهد بحاجتها الى الموصوف
وعدم قيامها بدونه وحال الموصوف يشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات
بدونها فلا يكون الصفة نفس الموصوف واما قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه فهو
ظاهر لانه لما ثبت كون الصفة مغايرة للموصوف لزم ان يكون زائدة على الذات غير

منفكّة عنها فلزم من وصفه بها أن يكون مقارناً لها وإن كانت المقارنة على وجه لا يستدعي
زماناً ولا مكاناً وأمّا قوله ومن قرنه فقد ثنّاه فلأنّ من قرنه بشيء من الصفات فقد
اعتبر في مفهومه أمرين أحدهما الذات والآخر الصفة فكان واجب الوجود عبارة
عن شيئين أو أشياء فكانت فيه اثنينيّة أو كثرة وحسبك هذا التركيب من وصف
الله سبحانه فقد ثنّاه وأمّا قوله ومن ثنّاه فقد جزّأه فظاهر لأنّه إذا كانت الذات
عبارة عن مجموع أمور وكانت تلك الأمور أجزاء لتلك الكثرة من حيث إنّها تلك الكثرة
وهي مبادي لها وضمّ هذه المقدّمة إلى نتيجة التركيب الأوّل ينتج أنّ من وصف الله
سبحانه فقد جزّأه وأمّا قوله ومن جزّأه فقد جهله فلأنّ كلّ ذي جزء فهو مفتقر
إلى جزئه وجزؤه غيره فكلّ ذي جزء فهو مفتقر إلى غيره والمفتقر إلى الغير ممكن
فإنّ المتصوّر له جزءاً متصوّر في الحقيقة لأمر هو ممكن الوجود لا واجب الوجود بذاته
فيكون إذاً جاهلاً به وضمّ هذه المقدّمة إلى نتيجة ما قبلها ينتج أنّ من وصف الله
سبحانه فقد جهله وحسبك تبيين المطلوب وهو أنّ كمال الإخلاص له نفي الصفات
عنه إذ الإخلاص له والجهل به ممّا لا يجتمعان فإذا كان الإخلاص منافياً للجهل به الذي
هو لازم لإثبات الصفة له كان إذن منافياً لإثبات الصفة له لأنّ معاندة اللازم تستلزم
معاندة الملزوم وإذا بطل أن يكون الإخلاص في إثبات الصفة له ثبت أنّه في نفي الصفة عنه
وعند هذا يظهر المطلوب الأوّل وهو أنّ كمال معرفته نفي الصفات عنه وذلك هو التوحيد
المطلق والإخلاص المحقّق الذي هو نهاية العرفان وغاية سعي العارف من كلّ حركة حسّيّة
وعقليّة وما يكون في نفس الأمر من غير تعقّل شعور بكلّ ما عداه عنه معه فيولّي بحقّه المطلقة
المبرّأة عن كلّ لاحق وهذا مقام حرست عنه نوافذ الأبصار وكلّت في تحقيقه صوارم
الأفكار وأكثر الناس فيه لا قوال فاسدة لحال الإنسان العالي وارتكاب الأحوال فلزمهم
في ذلك الضلال ما ألزمهم من المحال فإن قلت هذا مشكل من وجهين أحدهما أنّ الكتب الإلهيّة
والسنن النبويّة مشحونة بوصفه تعالى بالأوصاف المشهورة كالعلم والقدرة والحياة
والسمع والبصر وغيرها وعلى ما قلتم يلزم أن لا يوصف سبحانه بشيء منها الثاني أنّه عليه السلام صرّح
بإثبات الصفة له في قوله ليس لصفته حدّ محدود ولو كان مقصوده نفي الصفات لما ذكره
لزم التناقض في كلامه فالأولى إذن أن يخصّ قوله نفي الصفات عنه بنفي المعاني كما ذهب إليه
الأشعري ونفي الأحوال كما يذهب إليه المثبتون من المعتزلة وبعض الأشعريّة لا بنفي الصفات
المشهورة

المشهورة الجارية عليه ولا نهاية لعلمه الصفة تعبد في موضع آخر مجمل أو يخصّ بنفي صفات المخلوقين كما أشار
في آخر الخطبة إلى الحدود عليه صفات المصنوعين وكما ذكره الشيخ المفيد من السبعة في كتاب
الإرشاد وعنه جلّ أن تحلّه الصفات لشهادة العقول أنّ كلّ من حلّته الصفات مصنوع
قلت قد سبق منّا بيان أنّ كلّ ما يوصف به من الصفات الحقيقيّة والسلبيّة والإضافيّة
اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسته ذاته سبحانه إلى غيرها ولا يلزم من ذلك تركيب
في ذاته ولا كثرة فيطلقون وصفه بها إذ لا معلوم من الدين ليعمّ التوحيد والتنزيه
كلّ طبقة من الناس ولمّا كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الإخلاص له الذي
ذكره على أقصى ما ينتهي إليه القوى البشريّة عند غور نهاية أفكار كبار أولياء الله وهو اعتبار ذاته
فقط من غير ملاحظة شيء آخر وكان إثباته عليه السلام للصفة في موضع آخر ووصفه في الكتاب
العزيز والسنن النبويّة إشارة إلى الاعتبارات التي ذكرناها إذ كان من هو دون
درجة الإخلاص لا يمكن أن يعرفه سبحانه بدونها وبالله التوفيق قوله ومن أشار
إليه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه أقول يشير إلى البرهان على الحدّ لأمرين أحدهما
أن يكون مراده امتناع الإشارة العقليّة وتعلّقها بعد هذا لكونه تقدّس المقدّمة
الأولى من هذا البرهان أنّ من أشار إليه وجّه ذهنه طالباً لكنه ذاته المقدّسة وزعم أنّه وجدها
وأحاط بها وأشار إليها من جهة ما هي فقد أوجب له حدّاً تقف ذهنه عنده لأنّ
الحقيقة إنّما تعلم من جهة ما هي ويشير العقل إلى كنهها إذا كانت مركّبة وقد علمت أنّ
كلّ مركّب محدود في العرف ولأنّ الإشارة العقليّة مسبوقة بالإشارة الوهميّة والخياليّة
مشوبة بها وهما مستلزمان لإثبات الحدّ كما سيأتي وأمّا تقرير المقدّمة الثانية فظاهر
إذ كان حدّ الشيء إنّما يأتلف من كثرة معتبرة فيه وكلّ ذي كثرة معدودة في نفسه
ونتيجة هذا البرهان أنّ من أشار إليه فقد عدّه وأمّا استحالة أن يكون معدوداً فلما
علمت فيما سبق أنّ الكثرة مستلزمة للإمكان الثاني أنّه يحتمل أن يكون مراده أيضاً نفي
الإشارة الحسّيّة الظاهرة والباطنة إليه وتنزيهه عن الوحدة العدديّة فيكون تقرير
المقدّمة الأولى أنّ من أشار إليه بإحدى الحواسّ فقد جعل له حدّاً أو حدوداً أي نهايات تحيط به
وذلك أنّ كلّ ما يشار إليه بالحسّ الظاهر أو الباطن فلا بدّ وأن يشار إليه في حيّز مخصوص وعلى
وضع مخصوص وما كان كذلك فلا بدّ وأن يكون له حدّ أو حدود فإذن لو كان مشاراً إليه بأحدها
لكان محدوداً وأمّا تقرير المقدّمة الثانية فالمراد بالعدّ هاهنا إمّا جعله مبدأ كثرة بحيث يصلح
أن يكون عاداً لها وذلك أنّ كلّ ما أدرك على وضع مخصوص أو في جهة فالعقل حاكم بإمكان وجود
أمثاله فمن حدّه بالإشارة الحسّيّة فقد جعله مبدأ الكثرة يصلح أن يعدّ بها ويكون معدوداً

بالنسبة الينا واما كونه في نفسه معدودا وذلك لكونه مركبا من امور لان الواحد بهذا المعنى لم يخرج
الوحدة فقط واما لما تعلقت الاشارة الحسية به لا بد من معاونة الوضع كما علمت وعلى الوجهين يكون
مجتمعا من امرين او امور فيكون مركبا وكل مركب ممكن على ما مر واذا استحال ان يكون واحدا
بهذا المعنى كانت الاشارة اليها مطلقا يستلزم الجهل من حيث هو واحد واجب الوجود واعلم
انه ليس اذا ابطل ان يكون واحدا بهذا المعنى بطل ان يكون واحدا فان للواحد معنيين اخر بها يقال
له واحد فانه تعالى واحد لما لا يشاركه في حقيقته الخاصة به غيره وتعالى واحد لما لا تركيب في حقيقته
ولا تألف من معاني متعددة لا اجزاء قوام ولا اجزاء حد وتعالى واحد لما نفيه من كماله شيء بل كل
كمال ينبغي ان يكون له فهو حاصل له بالفعل والباري سبحانه واحد بهذه الاعتبارات الثلثة
قوله ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه اقول اصل فيم فيما وعلى ما حرفان وعلام
دخلا على ما الاستفهامية فحذف الالفان لاتصالهما بها تخفيفا في الاستفهام وهاتان القضيتان
في تقدير شرطيتين متصلتين يادمنا تادس الخلق ان لا يستفهموا عنه سبحانه على هذين الوجهين
وبيان المراد منهما باستثناء نقيض تاليهما وحذف الاستثناء ههنا الذي هو ركن القياس على
ما هو المعتاد في قياس الضمير واعلم ان تقدير المتصلة الاولى لو صح السؤال عنه بفيم لكان له محل
يضمنه ويصدق عليه انه فيه صدق العرض في المحل لكنه يمتنع كونه في محل فيمتنع السؤال عنه بفيم بيان
الملازمة ان مفهوم في لما كان موجودا في ما كان الاستفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحل والظرف
ولا يصح الاستفهام عن محل للشيء الا اذا صح كونه فيه بيان بطلان التالي انه لو صح كونه في محل لكان
اما ان يجب كونه فيه فيلزم ان يكون محتاجا الى ذلك المحل والمحتاج الى الغير ممكن بالذات
وان لم يجب حلوله فيه جاز ان يستغني عنه والغني في وجوده عن المحل يستحيل ان يعرض له
واذا استحال ان يكون في محل كان السؤال فيه بفيم جهلا واما تقدير المتصلة الثانية فهو انه
لو جاز السؤال عنه بعلام لجاز خلو بعض الجهات والاماكن عنه لكنه لا يجوز خلو مكان عنه
فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمة ان مفهوم على هو العلوية والفوقية لما كان موجودا
في ما كانت ما استفهاما عن شيء هو فوقه وعال عليه وذلك يستلزم امرين احدهما بواسطة
الاخر واللازم له بلا واسطة ولازم لها هو اخلاء سائر الجهات عنه وهو ما ذكره عليه السلام واما
الواسطة الملزومة فهي اثبات الجهة المعينة وهي جهة فوق اذا كان اختصاصه
بجهة معينة يستلزم نفي كونه في سائر الجهات وانما حمل على اللازم هذه المتصلة لكونه متى
اخلى منه يستلزم من ابطال اللازم وهو الخلو عنه وبطلان اختصاصه بالجهة المعينة
فيلزم منه بطلان الملزوم وهو صحة السؤال عنه بعلام واما بطلان التالي فلقوله تعالى
وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وقوله وهو معكم اينما كنتم فان قلت ان مثـ

الجهل
مثبت الجهة لا محل لجهل بهذه الآيات بل له ان يقول انه لا منافي بين اثبات الجهة المعينة وبين نفي هذه الآيات
لان المقصود من كونه في السماء وفي الارض اي بعلمه وكذلك كونه معينه للخلق وكونه رابعهم فوقا انما
هو بوانه بحسبه لا يكون عدد الآيات منافية لخصمه قلنا انما حمل على قوله فقد اخلى منه لانه في هذه
القضية ان نفي هذه اللازم بهذه الآيات ظاهر وذلك ان مثبت الجهة انما يعتمد في اثباتها
على ظواهر الآيات الدالة على ذلك كقوله الرحمن على العرش استوى فكانت معارضة تقتضيها
انما بظواهر هذه الآيات ان نفحص الخطابة والحجة تلوبا العامة من الدلائل العقلية على نفي الجهة
ودلالة هذه الآيات على عدم خلو المكان من الامكنة منه تعالى يستلزم دلالتها على عدم
اختصاصه بجهة فوق والمعارضة كما يكون بما يقتضي ابطال مقتضى الدليل كذلك يكون بما يقتضي ابطال
لازم مقتضاه فكانت مستلزمة لعدم جواز الاستفهام عنه بعلام ولو قال ومن قال علام
فقد اثبت له جهة لم يكن ابطال هذا اللازم الا بدليل العقلي لكون الظواهر النقلية
مشعرة باثبات الجهة له تعالى فلذلك عدل عليه السلام الى هذا اللازم كما بيناه لوجود سلطته في القرآن
الكريم وهي آيات مذكورة حتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الآيات الى التأويل
باحاطة العلم مثلا الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن على العرش استوى فقلنا المراد
من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او العلم كما هو مذكور في الكتب الكلامية وانما خص
جهة العلو بالانكار اعتقادا والتحذير منه لكون كل معتقد للجهة مخصصة بها
لما يتوهم من كونها اشرف الجهات او لانها التي نطق بها القرآن الكريم فكانت
الشبهة في اثباتها اقوى فلذلك خصها بالذكر قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم اقول
الكائن اسم الفاعل من كان ويعلم ان مراده بكائن الثابت والحدث في اصطلاح
العلماء بمعنيين احدهما الحدوث الذاتي وهو كون الشيء من حيث هو لا يستحق لذاته وجودا
ولا عدما وانما يستحق احدهما بامر خارج عن ذاته وهو ملازم للامكان والثاني الحدوث
الزماني وهو كون الوجود مسبوقا بالعدم سبقا زمانيا وهو اخص من الامكان ويقابل القدم بمعنيين
فالقدم المقابل للمعنى الاول هو كون الشيء يستحق الوجود لذاته من حيث هو والمقابل الثاني
كونه غير مسبوق بالعدم وما يلازم ذلك من كونه لا اول لوجوده اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام
الى هاهنا [illegible] الى وجوده لم [illegible] عن الحدوث [illegible] بالكائن في [illegible]
الاولى على وجوده المجرد عن الزمان [illegible] العقل [illegible] لفظ كان من الزمان عنه ما دام انه علم
تقدس ذاته عن لحوق الزمان ودل بقوله لا عن حدث على تنزيهه عن الحدوث الذاتي فاستلزم
من ذلك اعتبار ما يقابله من القدم لوجوده تعالى وذلك يستلزم وجوب وجوده اذا علمت
ان الواجب لذاته هو الذي يستحق الوجود من ذاته وما يلازم ذلك من كونه لذاته غير قابل للعدم

ودل بقوله في الثانية لا عن عدم على تنزيهه عن الحدوث الزماني واستلزم ذلك اعتبارا مقابلة من معنى
العدم لوجوده فاذن هو الموجود المنزه عن لحوق الزمان المقدس عن الحدوث لعينيه
وما يلزمهما من الامكان ويجيء في اطلاق لفظ الكون عليه قول الرسول صلعم كان الله ولا شيء معه اعلم
ان في اطلاق لفظ الكاين مقصود آخر وراء لفظ الموجود وهو تعليم الخلق كيفية اطلاق
لفظ الكون عليه واشعارهم ان المراد منه ليس ما يتبادر اليه الفطن حال اطلاقه وهو الحدوث
قوله مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة **اقول** ان كونه مع غيره ايضا ما يعارضنان
له بالنسبة الى جميع الموجودات اذ كلها منه ويصدق عليه ان يقال انه معها وان صدق عليه انه تقدم
ولكن باعتبارين مختلفين فان المعية نفس اضافة تحدثها العقول بالنسبة الى اثاره ومساوقة
وجوده لوجودها ثم احاطة علمه بكليتها وجزئياتها كما قال وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون
بصير والتقدم اعتبار بالحقيقة من جهة ما هو علة لها ثم لما كانت المعية اعم من المقارنة لاعتبار
الزمان والمكان في مفهومها المتعارف لم يكن معيته للاشياء على سبيل المقارنة
~~لاعتبار الزمان والمكان في مفهومها المتعارف لم يكن معيته للاشياء على سبيل~~
المقارنة لما ثبت من براءة ذاته المقدسة عن الزمان والمكان والمصاحبة فيهما لعين خلاصة
المعنى ان ذاته مساوقة لوجود الاشياء وحاضرة معها لا على وجه المصاحبة لها في زمان او محل
او المجاورة لها في مكان فلذلك احترز بقوله لا بمقارنة واما اثبات غيره لا بمزايلة فيحتمل وجهين
احدهما وهو الاظهر ان المغايرة لما كانت اعم من المزايلة لوجود الزمان والمكان في مفهومها
ايضا كانت مغايرة للاشياء غير مفهوم معنى منها ما اعتبر في المزايلة لتقدس ذاته عن الزمان والمكان
فلذلك احترز بقوله لا بمزايلة الثاني ان يقال ان كونه غير كل شيء معناه انه متميز بذاته عن كل شيء
اذ لا يشاركه شيء من الاشياء في معنى جنسي ولا نوعي فلا يحتاج ان يفصل عنه بفصل ذاتي
او عرضي بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة وتكون معنى المزايلة المفارقة باحد المذكورة
بعد الاشتراك في احد المذكورة واعلم ان هذين التنزيهين كسائر الاحكام الوهمية باعتبارها المكان والزمان
(الزمان في)
والاوصاف المتعلقة المتغايرة للخلق العشرة سبب في مفهوم المعية والغيرية منبهان للعقول
ماوراء حكم الوهم من عظمة الله سبحانه وتعالى وتقدس ذاته عن صفات الممكنات وكذلك قوله
(فاعل في)
كاين حدث موجود لا عن عدم فانه رد للوهم الحاكم بتثليثه في المحدثات **قوله** لا بمعنى الحركات
والآلة **اقول** الحركة عبارة عن حصول الجسم في حيز بعد ان كان في حيز آخر ان ملابستها للجسم
الفرد والاداة عبارة عن الة المتغير الجزئي او غير من التعريفات ولا لهي ما يتوسط الفاعل
في فعله القريب منه بواسطة والمراد انه فاعل لا بالة ما صدر عنه من الاثار لكن لحسب حركة
ولا يتوسط آلة كما تنفق عنه في نسبة صدور الفعل عنه اليه اما انه لا يفتقر الى الحركة فلان معنى الحركة

انما يعرض للجسم والباري منزه عن الجسمية فيستحيل صدق مسمى الحركة في حقه واما ان فعله
ليس بتوسط الة فبيانه من وجهين احدهما انه لو كان كذلك لكانت تلك الالة ان كانت
من فعله فاما بتوسط آلة اخرى او بدونها فان كانت بدونها فقد صدق انه فاعل بغير
الالة وان كان فعله لها بتوسط الة اخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل
والتمام يكن الالة من لم يمكنه الفعل بدونها كان الباري تعالى مفتقرا في تحقيق فعله الى
الغير والمفتقر الى الغير ممكن بالذات فالواجب بالذات ممكن بالذات هذا خلف الثاني انه
لو فعل بالالة لكان بدونها غير مستقل بايجاد الفعل فكان ناقصا بذاته مستكملا بالالة
والنقص على الله تعالى محال فتوقف فعله على الالة محال فاذن هو الفعل المطلق بالابداع
ومحض الاختراع المبرا عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات والالات **قوله**
بصير اذ لا منظور اليه من خلقه **اقول** البصر يطلق بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقة
في حاسة العين مجاز في القوة التي بها العلم والمنظور اليه هو المشاهد بتقليب الحدقة
نحوه والمراد وصفه بكونه بصيرا حال ما لا تحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا بمعنى ان
له آلة البصر لتنزهه عن الحواس وجب العدول الى المجاز وهو ان يكون بصيرا بمعنى انه عالم
وقوله وكذلك قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان الابصار اضافي يلحق ذاته بالنسبة الى
مبصر وهو امر يلحق ذاته لو اذ لا وابدا ولا شيء من المبصرات بالحس موجود ازلا لقيام البراهين
العقلية على حدوث العالم حتى يمكن ان يلحقه النسبة بالقياس اليه فوجب ان يكون من
حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل ان يكون الاشارة بالرمز في قوله اذ لا منظور اليه الى
اعتبار كونه تعالى متقدما على اثاره من جهة ما هو متقدم فانه متقدم فانه بالنظر الى تلك
الجهة لا منظور اليه من خلقه معه وهو عالم لذاته وبذاته مطلقا واذ ليس بصيرا بالمعنى
المذكور فمراده بصير بالصفة التي يكشف بها كمال النعوت للمبصرات وبها يطلع الاسرار والخفيات
من الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى
وهذه الالة وان قدست كالا فانما هي كالاخلق بالحيوان وكماله بها وان كان ظاهرا الا انه ضعيف
قاصر اذ لا يمتد الى ما بعد ولا يتغلغل الى باطن وان قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن
وقد قيل ان الحظ الديني للعبد من البصر امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الايات
وعجائب ملكوت السموات فلا يكون نظره الا اعتبارا حكي انه قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق
مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته تفكرا وكلامه ذكرا فهو مثلي الثاني ان يعلم انه مرائي لله
بمرآى ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى من غيره ما لا يخفيه من الله
فقد استهان بنظر الله تعالى والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة قوله فارق

معصية ومن يعلم ان الله يراه فاجسره وما اخسه ومن ظن ان الله لا يراه فما اكفره قوله متوحد
اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده اقول المراد وصفه بالتفرد بالوحدانية واشار
بقوله اذ لا سكن الى اعتبار ان تفرده بالوحدانية ~~واشار بقوله اذ لا سكن الى اعتبار ان تفرده~~
~~بالوحدانية~~ اذ لا ذات سوى تلك الحقيقة متفرد بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن مثل له كما هو المفهوم
المتعارف من الانفراد لبعض الناس عن بعض ممن عادته مشاركته في مشاوراته ومحادثاته والانفراد
احد المتآلفين من الحيوانات عن الآخر وهو لا ينبسط الى سكن يستانس بوجوده معه ويستوحش
لفقده وغيبته عنه اذ كان الاستيناس والاستيحاش من تعليقين ميل الطبع الى الشيء وتفرقه عنه وهما
من توابع المزاج ولما كان البارى تعالى منزها عن الجسمية والمزاج وجب ان يكون منزها عن
الاستيناس والتوحش فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس الى شيء يعقل ذلك التفرد بالنسبة
اليه واعلم ان الفصول السبعة الزايدة على قوله فاعل وبصير ومتوحد والفصول التي قبلها مستلزمة للتنبيه
على عظمة الله كما بيناه في لا المقارنة ولا المزايلة ونحو ذلك لان الاوهام البشرية حاكمة
بحاجة الفاعل الى الآلة والبصير الى وجود المبصر والمتوحد الى ان يكون في مقابلة انيس يشذ عنه التفرد
عنه ولما كانت ذات الله تعالى منزهة عن جميع ذلك اراد عليه كرم الوجه ومعارضة احكامه تنبيه
العقول عليها بذكر هذه التنزيهات والله ولي التوفيق **الفصل الثاني** في كيفية
ايجاد العالم التي تورده في جملة وتفصيله على كيفية ذلك وممن انتصار من الشارح **قوله**
انشا الخلق انشاء وابتداه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها
ولا همامة نفس اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها
والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها
واحنائها ثم انشا سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكائك الهواء فاجرى فيها ماء
متلاطما تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فامرها
برده وسلطها على شده وقرنها الى حده الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ثم
انشا سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها واعصف مجراها وابعد منشاها فامرها
بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء
ترد اوله على اخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء
منفتق وجو منفهق فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن
سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها ثم زينها بزينة الكواكب
وضياء الثواقب واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك داير وسقف ساير ورقيم
ماير ثم فتق ما بين السموات العلى فملاهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون وركوع

وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسامون لا يغشاهم نوم العيون
ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة
الى رسله ومختلفون بقضائه وامره ونهيه ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب
جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم
والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم
متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون
ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المخلوقين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر
اقول لم اجد لاهل اللغة فرقا بين الانشاء والابداء وهو الايجاد الذي لم يسبق
الا انه يمكن ان نفرق ههنا سيما صونا لكلامه عليه السلم عن التكرار بان نعني بالمفهوم من
الانشاء هو الايجاد الذي لم يسبق غير الموجد الموجد اليه والمفهوم من الابتداء هو الايجاد
الذي لم يقع من الموجد قبل والروية الفكر وهامة النفس اهتمامها بالامر وقصدها وروي
همامة النفس والمراد بها العزم ماخوذ من الهمهمة وهي ترديد الصوت الخفي وروي
ايضا همة النفس والاحالة التحويل والنقل والمعنى الانقلاب من حال الى حال وروي اجال
بالجيم وروي ايضا اجل لكل منها اجلا اي احل المدة والوقت المخصوص لكل شيء والملائمة الجمع
والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة التي طبع عليها الانسان كانها غرزت فيه والسنخ
الاصل وروي اسناخها والاشباح جمع شبح وهو الشخص والقرائن جمع قرينة وهي ما يقترن بالشيء والاحناء
جمع حنو وهي الناحية والسكائك جمع سكاكة كذا ابو دواد وهي الفضا ما بين السماء والارض
ولكل مكان حال وهو هواء واجاز اي اجرى ومن روى اجاد اي ادار ومتلاطم الماء
تراد امواجه وضرب بعضها بعضا والزخار مبالغة في الزاخر وهو الممتلي ومتن كل شيء ما صلب واشتد
وعصف الريح شدة جريانها والزعزع التي تحرك الاشياء بشدة وتزعزعها والريح العاصفة
العاصفة الشديدة كانها لشدة تكسر الاشيا وتقصفها وسلطها اي جعل لها سلطانا وهو
القهر والفتيق المنفتق والدفيق المندفق والاعتقام الشد والعقد واعتقم مهبها
اي جعل خاليا لا تنتج به من حمل علقما الريح ادام تعهد ربها ولزومه وروي مرتها اي جعلها عقيمة
لا يلقح سحرا ولا سحابا والموت الملح والعصف الجري لقوة وشدة والتصفيق والتصفيق
الضرب المتتابع الصوت والثاني التي في دفعه وهيجه واصل الماء المتسل العزمدنا
خصه في العرف بالماء والزخ البحر اضطرابه وهو جه ما او ليع منه حال هيجانه وحركته والمخض
التحريك والسقاء وعاء اللبن والماء ايضا والماير المتحرك والعباب بالضم معظم الماء
وعب اي علا وتدفق والركام الماء المتراكم والمنفهق الواسع والتسوية التعديل

والمكفوف الممنوع عن السقوط والحفظ ولذلك السقف اسم للسماء ويقال البيت سقفه والسموك الارتفاع
والعمد جمع كثرة لعمود البيت ودعامة البيت عموده ايضا وما يمنعه من السقوط والوساد
يمكن ان ادخلنه في لشدة لسماء وجبل ونحوها والمستطيل المنتشر والفلك من اسماء السماء
وقيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة والرقيم اسم للفلك ايضا واشتقاقه من الرقم وهو
الكتابة والنقش لان الكواكب يشبه الرقوم والاطوار الحالات المختلفة والمتباينة الانواع
قال الكسائي اصل الملك المالك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام
فقيل ملاك ثم تركت الهمزة لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا ملائكة وملائك
والسامر الملازم والسدنة جمع سادن وهو الخازن وحرف السهم من الوجهة اذا اخرج
من جانب الاخر والقطر الناحية والركن الجانب وملع يشق به التحف به والنطاق الاحمال
وللرجوع الى المعنى **قوله** انشاء الخلق انشاء وابتداء ابتداء يشير الى كيفية ايجاد الخلق
على الجملة عن قدرة الله بعد ان نبه على اصل الايجاد بقوله فطر الخلائق بقدرته واتى
بالمصدرين بعد الفعلين تاكيدا لنسبة الفعلين الى الله تعالى وصدقها ثم ابتغا القضيتين فان
الباري لما لم يكن مسبوقا بغيره لا جرم صدق الانشاء عنه ولما لم يكن العالم موجودا قبل وجوده
لا جرم صدق ابتداؤه له **قوله** بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها ولا همامة
نفس اضطرب فيها **اقول** لما كانت هذه الكيفيات من شرائط علوم الناس وافعالهم الاختيارية
حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده للعالم موقوفا على شيء منها اما
الروية والفكر فلما كانت عبارة عن حركة القوة المفكرة في تحصيل مبادي المطالب والانتقال
منها اليها او عن تلك القوة نفسها كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان القوة
المفكرة من خواص نوع الانسان الثاني ان فائدتها تحصيل المطالب المجهولة والجهل على
الله تعالى محال واما التجربة فلما كانت عبارة عن حكم العقل بامر على امر بواسطة مشاهدات متكررة
معدة لليقين بسبب انضمام قياس خفي اليها وهو انه لو كان هذا الامر اتفاقيا لما كان دائما ولا
اكثريا كان توقف فعل الله تعالى على استفادة الاحكام منها محالا لوجهين احدهما ان التجربة
من معنيي الحس والعقل وذلك ان العقل بعد مشاهدة الحس وقوع الاسهال مثلا عقيب شرب
الدواء مرة ومرة يحكم حكما كليا بان ذلك الدواء مسهل ومعلوم ان اجتماع العقل
من خواص نوع الانسان الثاني ان التجربة انما تفيد علما لم يكن والمحتاج الى التجربة لاستفادة
العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على ما مر وذلك على
الله تعالى محال واما الحركة فقد عرفت انها من خواص الاجسام والباري سبحانه منزه عن
الجسمية فيمتنع صدق المتحرك عليه وان صدق انه محرك الكل لا المتحرك كما تمدحت به الحركة

والمحرك اعم من ذلك واما الهمامة او الهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام وحقيقته الميل النفساني
الجازم الى فعل الشيء مع التالم والحزن بسبب فقده كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين
احدهما ان الميل النفساني وجلب المنافع الثاني انه مستلزم للتالم بفقد المطلوب والتالم
على الله تعالى محال واذ ليس ايجاده للعالم على احد الانحاء المذكورة فهو اذن بمحض الاختراع
والابداع والبريء من الحاجة الى امر خارج ذاته المقدسة بديع السموات والارض واذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون واعلم انه عليه السلام اردف كلامه هذه الامور بما هو كيفية في
وجوده فاردف الروية بالاجالة والتجربة بالاستفادة والحركة بالاحداث والهمامة
بالاضطراب لينتفي الكيفية بانتفاء ما هي له عن ذاته المقدسة **قوله** اجال الاشياء لاوقاتها
ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها اشباحها **اقول** لما نبه على نسبة ايجاد
العالم الى الله تعالى جملة اشار بعده الى تنبيه وما هو عليه من بدائع الصنع والحكمة كان مفصلا
في علمه وعلى وفق حكمته البالغة قبل ايجاده والمراد بقوله اجال الاشياء لاوقاتها الاشارة
الى ربط كل ذي وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي بحيث لا يتاخر متقدم منها
ولا يتقدم متاخر وهو معنى الاجالة فجعل كلا منها الى وقته وتحويله من العدم والامكان الى حال
الى مدة المضروبة لوجوده واللام في لاوقاتها لام التعليل اي لاجل اوقاتها اذ كان كل وقت
يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا يكون في غيره ويحتمل الاخرى تاجيلها جعل
اوقاتها اجالا لها لا تتقدم عليها ولا تتاخر عنها كما قال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون وتنبيه لقوله ولاءم بين مختلفاتها على كمال قدرة الله تعالى وسابق حكمته وتصويره
احدها ان العناصر الاربعة متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة الله تعالى
على وفق حكمته انكسرت سورة كل واحد منها بالاخر وهو المسمى بالتفاعل حصلت كيفية متوسطة
بين الاضداد متشابهة وهي المزاج فاحسن في اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضاد الكيفيات
وغاية البعد بقدرته التامة من اعظم الدلائل على كمالها الثانية ان الملائمة بين الارواح
اللطيفة والنفوس المجردة التي لا حاجة بها في احدائها الى الوجود المادة اصلا وبين هذه الابدان
المظلمة الكثيفة واختصاص كل نفس ببدن منها وتدبيرها واستعمالها اياها لتعود اليها من الصالح
على النظام الاقصد والطريق الارشد مما يشهد بكمال قدرته ولطيف حكمته **قوله** وغرز غرائزها
اشارة الى ذكر القوى الجسمانية والنفسانية فيما هو قوى له وخلق كل ذي طبع على خلقه وخصص
قوله التي غرزت فيه من لوازمه وخواصه مثلا كقوة التعجب والضحك للانسان وكقوة الشجاعة
للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب وغير ذلك وعبر عن ايجادها فيها بالغرز وهو الركز استعارة
لما يعقل من المشابهة بينها وبين العود الذي يركز في الارض من جهة المبدا او من جهة الغاية وذلك

ان الله سبحانه لما غرز هذه الغرائز في محالها واصولها وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها من الآثار الموافقة
لمصلحة العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود في الارض لغاية ان يثمر ثمرة ينتفع بها وقوله
الزمها اسناخها اشارة الى انها لا تفارق اصولها ولا يمكن زوالها عنها لان اللازم هو ما — النسخ الاصل
ثباته وحق دوى اشباحها المشتبه المعنى .. والمراد ان كل غريزة لاشخاص من اللوازم والغرائز لا تفارقها
سواء كانت تلك الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة
والغفلة الى آخر من لوازم الماهيات وطبائعها كوجود الماهيات في اشخاصها وهذا ان قلنا ان الضمير
في قوله والزمها عائد الى اما ان قلنا انه عائد الى الاشياء كان المراد ان الله سبحانه لما احال الاشياء — الى الغرائز ظ
لاوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها في علمه وقضائه الزمها بعد كونها جملة اشخاصها
الجزئية التي وجدت فيها لا انفكاك لها لولا انها الماهيات تقتضي الماهيات فيكون بالنسبة الزامها
لاصولها الى قدرة الله تعالى لا القول المستند الى الماهية الملزوم لبيان الماهية لازمة ولما كان
وجوده فبقدرة الله تعالى فيكون معنى الزامها لاصولها ايجادها في اصولها فتنفعا الايجاد وصولها
على تقدير وجودها قوله عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها
واحنائها اقول المنصوبات الثلاثة وهي قوله عالما ومحيطا وعارفا منصوبة على الحال فالعامل
فيها قوله والزمها اعمالا للاقرب ولا احوال الثلاثة صفة لمثلها عقيب الافعال الاول
اذا كانت صالحة لان تكون احوالا عنها والمراد في القضية اثبات الافعال له
حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها حاضرة في علمه بالفعل بكليتها وجزئيتها وفي
القضية الثانية نسبة تلك الافعال اليه حال احاطة علمه بحدودها وخفايها المميزة
لبعضها عن بعض وان كلا منها منته بحده واقف عنده وهو نهايته وغايته ويحتمل ان
يريد بانتهائها انتهاء كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل في سلسلة الحاجة الى الله وفي القضية
الثالثة نسبة الافعال الى قدرته حال علمه بقرائن الاشياء من لوازمها وعوارضها وعلمه بكل
شيء يقترن باخر على وجه التركيب او المجاورة كاقتران بعض العناصر ببعض في اجسادها الطبيعية
على النسب الطبيعي وعلمه باحنائها وجوانبها التي بها تنتهي وتفارق وبيان هذه الاحكام
له تعالى بيان انه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات وذلك ما علم في علم الالهي
فان قلت اطلاق اسم العارف على الله تعالى لا يجوز لقول النبي صلعم ان لله تعالى تسعة
وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة واجماع علماء النقل على هذا الاسم ليس منها قلت لا شبهة
ان اسماءه تعالى تزيد على التسعة والتسعين لوجهين احدهما قول النبي عليه الصلوة والسلم
اسئلك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك واستاثرت به
في علم الغيب عندك فان هذا صريح في انه استاثر ببعض الاسماء الثاني انه صلعم بالمعدود [illegible] اسم ليس

وكذلك كانت الصحابة يقولون فلان اوتي الاسم الاعظم وكانوا ينسبون ذلك الى بعض الانبياء والاوليا
وذلك يدل على انه خارج من التسعة والتسعين واذا كان كذلك كان كلام في قوله عليه السلم ان لله
تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة قضية واحدة مع ما جاء في الاخبار بان من اسماء الله
تسعة وتسعين من احصاها يدخل الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها بمزيد شرف لا يكون
لباقي الاسماء وهي كونها مثلا جامعة لانواع من الانواع المنبئة عن الكمال الحسنى لا يكون لغيرها
لا ينفي ان يكون لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك جاز ان يكون العارف من تلك الاسماء
لا يقال ان الاسم الاعظم غير داخل فيها لاشتهارها واختصاص معرفته بالانبياء والاوليا
واذا كان كذلك فكيف يصدق عليها انها اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل ان يكون داخلا
فيها الا انا لا نعرفه بعينه ويكون ما يختص به النبي والولي انما هو بعينه منها قوله
ثم انشا سبحانه فتق الاجواء الى قوله فسوى منه سبع سموات اقول لما اشار عليه السلم الى الفصل
المتقدم الى نسبة خلق العالم الى القدرة على سبيل الاجمال شرع بعده في تفصيل الخلق
وكيفية ايجاده والاشارة الى الجبادية ولذلك حسن ايرادهم ههنا وفيه ابحاث البحث الاول
اعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل ان الله تعالى خلق قبل خلق الماء ريحا عاصفا عزيزا
ثم خلق كان خارجا من الكاجة على اسهها وقدر لذلك الماء اجبارة والمكنه احوا وفيها
وجعل تلك الريح محيطة به حافظة له من جميع جوانبه فسلط على ضبط في تفاده ونوديد بعضه على
بعض وجعلها فوق وتحتها الريح لا يكون سبها حجم احرفها ادا الماء من فوق الريح حتى قفا
والخلاء من فوقها منفتق واسع وتلك الريح محفوظة بقدرة الله تعالى كما جاء في الخبر ثم
ثم خلق سبحانه ريحا اخرى لاجل تموج ذلك وتحريكه فارسلها وعقد مهبها اي ارسلها
بمقدار مخصوص على وفق الحكمة والمصلحة التي ارادها باجرائها ولم يرسلها مطلقا ومن روى عقم
بالتاء فالمراد انه اخلى مهبها عن العوائق او انه ارسلها بحيث لا يعرف مهبها وادام
حركتها واطلق مهبها لتحريك الماء واعصف جريانها وابعد منتهاها سلطها على تموج ذلك الماء
واثارة امواج البحار التي امتلات به فلما تدفق معظمه ورمى بالزبد وركامه رفع الله سبحانه
ذلك الزبد في الفضا وكون منه السموات العلى البحث الثاني ان هذه الاشارة وردت في
القران الكريم فانه اشير فيه الى ان السموات تكونت من دخان كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي
دخان والمراد بخار الماء وكذلك وردت في اقوال كثيرة الاول ما روي عن الباقر محمد بن علي عليهما السلم
قال لما اراد الله سبحانه ان يخلق السماء امر الرياح فضربن البحر حتى ازبد فخرج من ذلك الموج والزبد
دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء الثاني ما نقل انه جاء في السفر الاول من
التورية ان مبدا الخلق جوهر خلق الله ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء

فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض
ثم ارساها بالجبال وفي رواية اخرى فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض من تحت الكعبة ولذلك تسمى
مكة ام القرى الثالث نقل عن كعب الاحبار ما يقرب من ذلك قال ان الله خلق ياقوتة خضراء
ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على
الماء كما قال وكان عرشه على الماء الرابع ما نقل عن ثاليس الملطي وكان من مشاهير الحكماء
القدماء فانه نقل عنه بعد ان وحد الصانع للعالم ونزهه انه قال لكنه ابدع العنصر
الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كل مبدع
وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض وقيل انه اخذ
من النبوة الخامس ما وجدته في كتاب بليناس الحكيم الذي سماه الجامع لعلل الاشياء
في بيان هذه الاشارة وذكر انه قال ان الخالق تبارك وتعالى كان قبل
واراد ان يخلق الخلق فقال ليكن كذا وكذا فكان ما اراد بكلمته فاول الكلمة امر الله الحركة
المطاعة التي كانت بها الحركة ثم قال اول ما حدث بعد كلام الله تعالى الفعل فدل بالفعل
على الحركة ودل بالحركة على الحرارة ثم لما نقصت الحرارة جاء السكون عن فنائها فدل بالسكون
على البرد ثم ذكر بعد ذلك ان طبايع العناصر الاربعة انما كانت من هاتين القوتين اعني الحر والبرد
قال وذلك ان الحرارة حدث عنها اللين ومن البرودة اليبس فكانت اربع قوى مفردات فامتزج
بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبايع الاربع وكانت هذه الكيفيات قائمة بانفسها
غير ممازجة فمن امتزاج الحرارة واليبس حصلت النار ومن الرطوبة والبرد حدث الماء ومن
الحرارة والرطوبة حدث الهواء ومن امتزاج البرد واليبس حصلت الارض ثم قال ان الحرارة
لما حركت طبيعة الماء والارض تحركت النار للطفها عن ثقل الارض وانقلبت بسببه الى
اصابة من الحرارة فصار بخار الطبيعتين اثناء انقيادهما دخانا وهوا ودخان طلع من اسفل
وامتزج بالهواء فسما الى العلو لخفته ولطافته وبلغ الغاية في صعوده على قدر
قوته ونفوذه من الحرارة فكان منه الفلك الاعلى وهو فلك زحل ثم حرك النار ثانيا ايضا فطلع
منه دخان هو اثقل لطفا فصعد اولا واضعف فلما صار بخارا سما الى العلو بجوهره
ولطافته ولم يبلغ فلك زحل لعلة لطافته عما قبله فكان منه الفلك فكان منه الفلك الثاني
وهو فلك المشتري وهكذا استمر طلوع الدخان حتى وقعت وتكونت الافلاك السبعة الباقية عنه
فهذه الاسنادات كلها متطابقة على ان الماء هو الاصل الذي تكونت عنه السموات والارض
وذلك مطابق لكلامه عليه السلام البحث الثالث قوله وادام مربتها قال قطب الدين الراوندي
قال قطب الدين الراوندي اي ادام جمع الريح تحرك ماءها [illegible] لكن ان
المعنى انما كان معنى الريح الذي [illegible] اليه [illegible] كان ذكر [illegible] اي المراد

مطلب نقل از كتاب جامع الاشيا بلينوس حكيم

الذي لم يعتد وانافت به فقوله وادام مربتها اي ادام حركتها واضطرابه ومخضه وهو مجاز
اذ ربابها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم المفعول استعمال المصدر والتقدير وادام اربابها
اي ملازمتها التحريك الماء وايضا فيحتمل ان يكون قد شبهها بملازمتها سببا لانشاء الجنوبة
وفي كثرتها وقوتها بالدائمة فكان محلها ومقرها الذي اتصل اليه ويقوم به فقد ادامه اي
اي سقاها دائما قوله واسعد منشاها اي ابعد ارتفاعها تلك المنشا محل النشو وهو
الموضع الذي انشاها منه فلا يعلم منه الا ارتفاع اللطيف الاعلى فقد يستعمله لموضع الانشاء
استعمال المصدر اي بلغ بانشائها غاية بعيدة والاقرب انه يشير الى انها نشأت
من مبدأ بعيد لا يمكن الوقوف عليه وهو قدرة الحق سبحانه وجوده قوله وامرها
قال [illegible] اي امر موكلين بها من الملائكة فضرب الماء بعضها ومخضه كمخض اللبن لزبد
فاطلاق الامر عليها مجاز لان الحكيم لا يأمر الجماد بل حمله على امر الريح اولى لانه
التقدير الذي ذكره يكون التجوز في لفظ الامر لعدم القول المخصوص هناك فيحمل على
ملائكتها وفي نسبته الى الريح ايضا اذا اريد ملائكتها الا اذا حملناه على ظاهره كان التجوز
في لفظ الامر فقط دون النسبة فكان اولى وقوله محض السقاء وعصفها بالفضاء اي مثل
محض السقاء ويحتمل عصفها بحذف المضاف الذي هو صفة المصدر واقامة المضاف
اليه مقامه فلذلك نصبه نصب المصادر واعلم ان الامر في قوله فتق الاجواء وهو
السابق في قوله ثم خلطا لان الماء بين واحد ومثل هذا الشكل لم يجار في كلام الفصيح
كقوله كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فان قلت ان الاجواء والارجاء
وسكائك الهواء امور عدمية فكيف يصح نسبتها الى الانشاء عن القدرة قلت ان هذه
الاشياء عبارة عن الخلاء والاحياز والخلاف في ان الخلاء والحيز والمكان هل هي امور وجودية
او عدمية مشهور فان كانت وجودية كانت نسبتها الى القدرة ظاهرة ويكون معنى فتقها
وشقها شقها لعدم عنها كما مر في قوله فطر الخلائق بقدرته وان كانت عدمية كان معنى
فتقها وشقها نسبتها الى القدرة تقديرها وجعلها احيازا للماء ومقرا له لانه
لما كان تميزها عن مطلق الخلاء والخلاء بايجاد الله تعالى فيها الماء صار تعيينها له
بسبب قدرته فصحت نسبتها الى انشائه فكانه سبحانه شقها وفتقها بحصول الجسم
فيها وروي ان زرارة وهشاما اختلفا في الهواء اهو مخلوق ام لا فرفع بعض موالي الصادق
جعفر بن محمد عليهما السلام ذلك وقال له اني متحير وارى اصحابنا يختلفون فيه فقال صلعم ليس هذا
الخلاف يؤدي الى الكفر والضلال واعلم انه انما اعرض عن بيان ذلك لان اولياء الموكلين
بايضاح سبيله وتثبيت خلقه على صراط المستقيم لا يتعرضون بالذات الا لاحد الامرين

احدهما ما يؤدي الى الهدى اذا اخذ بظاهرها واضحا والثاني ما يصرف عن الضلال ويرد الى سواء السبيل
وبيان ان الله هو الخالق وغيره مخلوق مما لا ينبني كثير في امر المعاد فلا يكون الجهل به مما يضر وذلك
فكان ترك بيانه والاشتغال بما هو اهم منه اولى **البحث الرابع** ان القرآن الكريم نطق بان
السماء تكونت من الدخان وكلامه عليه السلام ناطق بانها تكونت من الزبد وما ورد في الخبر ان ذكر الزبد
هو الذي تكونت منه الارض فلا بد من بيان وجه الجمع بين هذه الاشارات فنقول وجه الجمع بين كلامه عليه السلام
وبين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر عليه السلام وهو قوله فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع
من وسطه من غير نار فخلق منه السماء فلا شك ان القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لان ذلك
انما يكون عن النار واتفق المفسرون على ان هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتبخره
بسبب [illegible] لوجه [illegible] استعارة [illegible] للبخار الصاعد من الماء واذا كان كذلك [illegible] ان كلامه
عليه السلام مطابق للفظ القرآن الكريم وذلك لان الزبد ايضا بخار تصاعد على وجه الماء من حرارة حركته
الا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه وهو باق على وجه الماء ولم ينفصل فانه يختص باسم الزبد ولما لطف
وغلبت عليه الاجزاء الهوائية ما ينفصل خص باسم البخار واذا كان الزبد بخارا والبخار هو
المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصوده عليه السلام مطابقا للقرآن واحدا وكان البخار المنفصل
هو الذي تكونت عنه السموات والذي لم ينفصل هو الذي تكونت عنه الارض وهو الزبد واما وجه
المشابهة بين الدخان والبخار الذي صحت لاجله استعارة لفظ احدهما للآخر فهو امران احدهما حسي
وهو الصوت والمشاهدة من الدخان والبخار حتى لا يكاد يفرق بينهما الحس البصري
والثاني معنوي وهو كون البخار اجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة
الحركة كما ان الدخان كذلك وهو عن حرارة النار فان الدخان ايضا اجزاء مائية انفصلت
من جرم المحترق بسبب لطافتها عن حرارة النار وكان الاختلاف بينهما ليس الا بالسبب فلذلك
صح استعارة اسم احدهما للآخر وبالله التوفيق **البحث الخامس** قال المتكلمون ان هذه الظواهر
من القرآن وكلام علي عليه السلام لما دلت على ما دلت عليه من كون الماء اصلا تكونت عنه السموات
والارض وغير ذلك وثبت ان الترتيب المذكور في المخلوقات امر ممكن في نفسه وثبت
ان الباري تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات ثم لم يقم عندنا دليل عقلي يمنع من اجراء
هذه الظواهر على ما دلت عليه بظاهرها وجب علينا تصديق تلك الظواهر ولا حاجة بنا الى التاويل
لا يقال الجمهور المتكلمين متفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام مركبة عنه فبعضهم يقول
ان الجواهر كانت ثابتة في عدمها والفاعل المختار كساها صفة التاليف في الوجود وبعضهم وان منع
ثبوت ذوات العدم الا انه يقول ان الله تعالى يوجد اولا تلك الجواهر ثم يؤلف بينها فيوجد منها الاجسام
فكيف يقال ان السموات والارض تكونت من الماء لانا نقول هذا ظاهر لجواز ان يخلق الله تعالى

اول الاجسام من تلك الجواهر ثم يكون باقي الاجسام عن الاجسام الاولى واما الحكماء فلما لم يكن الترتيب
الذي اقتضته هذه الظواهر في تكوين الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لتأخر وجود العناصر
عندهم عن وجود السموات لا جرم عدل بعضهم الى تاويلها على مقتضاها ومن [illegible] ادلتهم وذكروا
من التاويل وجهين **الوجه الاول** قالوا العالم عالمان عالم يسمى عالم الامر وهو عالم الملائكة الروحانية
والمجردات وعالم يسمى عالم الخلق وهو عالم الجسمانيات وعلى ذلك حملوا قوله تعالى الا له الخلق
والامر ثم قالوا ما من موجود في عالم الجسمانيات الا وله نسبة الى العالم الروحاني وهو مثال له
بوجه ما ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى العالم الروحاني ولتعذر السفر الى الحضرة الالهية ثم
كان من بحثهم ان ضبطوا ان قدرة الله سبحانه [illegible] الكون [illegible] عالمة بالكل علما [illegible]
الكل مبدائية بالذات غير خارجة عن شيء ولا يتوقف على وجود شيء ثم لما دل دليلهم
على ان [illegible] صدور عالم الخلق انما هو بواسطة عالم الامر كان اعتبار ايجاد عالم
الامر من القدرة امرا اولا واعتبار ايجاد عالم الخلق عنها امرا ثانيا متاخرا عنه فعند
ذلك قالوا ان الذي اشار اليه عليه السلام ههنا موافق لما اصلناه ومناسب له وذلك
انه اشار بالاجواء والارجاء وسكائك الهواء الى سلسلة وجود الملائكة المسماة بالعقول
الفعالة على انها متنازلة وبانشائها الى ايجادها وبفتقها وشقها الى وجودها بالماء
المتلاطم المتراكم الى الكمالات التي وجبت عنه سبحانه وباجرائه عنها الى افاضته على كل واحد
منها ما استحقه بواسطة ما قبله وبالريح العاصفة الى الامر الذي اشرنا اليه عن القدرة
واما وجه [illegible] هذه الامور وبين ما ذكره عليه السلام فاما التعبير عن العقول بالارجاء والاجواء
والسكائك فمن جهة انها قابلة للفيض والكمالات عن مبدأها الاول كما ان الارجاء والاجواء
وسكائك الهواء السلسلة وجود الملائكة المسماة بالعقول الفعالة على انها متنازلة
وبانشائها الى ايجادها وبفتقها وشقها الى وجودها بالماء المتلاطم المتراكم الى الكمالات
التي وجبت عنه سبحانه وباجرائه فيها الى افاضته على كل واحد منها ما استحقه بواسطة
ما قبله وبالريح العاصفة الى الامر الذي اشرنا اليه عن القدرة واما وجه المناسبة
فبين هذه الامور وبين ما ذكره عليه السلام فاما التعبير عن العقول بالارجاء والاجواء وسكائك
الهواء قابلة لكل [illegible] عنه سبحانه [illegible] واما تشبيه الفيض بالماء فلانه لما كان
[illegible] الاعلى امام القابل بحيث [illegible] اليه كذلك الفيض الالهي لا ينقطع
صدوره عن واهبه الا [illegible] تمام القابل لكون الفاعل تام الفاعلية في ذاته ولا بالماء ولما
كان به قوام كل حي جسماني في عالم الكون كذلك الفيض الالهي هو مبدأ قوام كل موجود قالوا
ومثل هذا التشبيه جاء في القرآن الكريم قال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس في قوله تعالى انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها ان المراد بالماء العلم وبالاودية قلوب العباد

وبالريح العاصفة على القلوب وبقوله فسالت اودية بقدرها ان كل منها يصل اليه مقدار
ما استحقه وبقلبه قال الواو ذلك ان الله سبحانه انزل من سماء الكبرياء والجلال والاحسان
ماء من القران وعلومه على قلوب العباد لان القلوب يستقى منها انوار علوم القران
كما ان الاودية يستقى منها المياه النازلة من السماء وكما ان كل واد انما يحصل منه من
مياه الامطار ما يليق بسعته وضيقه فكذلك ههنا كل قلب انما يحصل منه من انوار علم القران
القران ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه وقوة فهمه وقصر فهمه وتمام التشبيه في
الآية مذكور في التفاسير واطوى تشبيه الامر الاول بالريح العاصفة فلان وقوعه لما كان دفعة
غير منسوب الى زمان يتوقف عليه كان انسب ما يشبه به من الاجسام في السرعة والنفوذ هو الريح
العاصف لكونها اسرع الاجسام حركة ولذلك اكدها بوصف العصف نفيا للسرعة
التامة وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وبوصف الزعزعة والعصف تحسينا للقوة
الغالبة الشديدة وما امر به وتسلطها على شئ فلانها لما صدرها بصورة الريح
ساغ ان يقال انه امرها وهو عبارة عن نسبة ذلك الامر الى ذاته تعالى لنسبة التي
نحو بها عن لنا الضعيفة وفائدة الرد والسد ههنا هو ضبط امره سبحانه على
وفق حكمته الكمالات الفائضة عنه على كل مورد مورد بحسب نوعه المستلزم لوجه
عمن ليس له ذلك الكمال المعين واما في بها الى بعده فاشارة الى احاطة امره سبحانه
بها لتلك القوابل من الكمالات الفائضة واستناده عليها وقوله الهواء تحتها فتيق
اشارة الى قبول القوابل المذكورة والماء من فوقها دفيق اشارة الى ما حمله امر الله
من الفيض المذكور ويلقيه على تلك القوابل وذلك بترتب عقلي لا انه كان يعقله فيه الواحد بالخصوص كل و
واما الريح الثانية فاشارة على الامر الثاني وصفها باعتقام مهبها اشارة الى
عقد ذلك الامر وانقاءه على وفق الحكمة الالهية او العوم المانع عن ذلك الامر وبادامة
مهبها الى افاضة متعادة بعد ذلك الامر فكانه شبه الفيض الصادر بعد الامر على هيولي الاجسام
الفلكية بالامة العاطلة على الاماكن التي يجتمع بها وتعتصم او اراد ان المحال القابلة لذلك
الامر المستلزمة له دائمة باقية واساد تعصف مجراها اعلى شيء عقد ذلك الامر كما وصف الريح
الاولى وبعد منشاها الى عدم اولوية مبدائيته وبالامر لهذا الريح الى نسبة ذلك الامر
الى ذاته كامر وتصفيق الماء الزخار واثارة امواج البحار الى نسبة تمام
صورة الافلاك وكمالاتها الى امره سبحانه بواسطة تلك الكمالات العقلية للملائكة
وانها غير مستقلة باعداد شيء بل هي شرايط بعضها لبعض ولغيرها والبحار الى تلك
الملائكة ولحصها له مخض السقاء عصفها به كعصفها بالفضاء وترد بعضه على بعض
اشارة الى قوة امر الله سبحانه عليها وتصريفها على حسب علمه بنظام الكل ونفوذ ربها لكل ذلك مرادا

ملا

من الكمالات في ذات كل جزء من تلك المبادي وفي قوله حتى عتب عبابه اشارة الى بلوغ كمالات تلك
الملائكة الحاصلة لها بالفعل عن امر الله الى امر الله ان تعطي بواسطتها الفيض لغيرها
وكذلك قوله ورمى بالزبد ركامه اشارة الى اعطاء صور الافلاك وكمالاتها بواسطتها ولما كانت
صور الافلاك محتاجة في قيامها الى الوجود الى الهيولى كانت نسبتها الى الملائكة المجردة نسبة
اخس الى اشرف فبالحري ان اطلق عليها اسم الزبد ولان هذه الصور حاصلة عن تلك
الكمالات العقلية وفائضة عنها كما ان الزبد منفصل عن الماء ومتكون عنه فشابهها
واما رفعه في هواء منفتق وجو منفهق فاشارة الى الحاق صورة الافلاك لموادها
المستعدة او الى تخصيص وجودات الافلاك باحيازها ورفعها الهواء وقوله فسوى منه
سبع سموات اشارة الى كمال الافلاك بما هي عليه من الوضع والتعديل والتسوية اما
تخصيصه بالسبع فلان الفلكين الباقيين في الشريعة معروفان باسمين اخرين وهما العرش
والكرسي ثم قال لنا والذي هو اشارة تحكيها اليونانيون ايضا فان مراد ثاليس الملطي
العنصر الاول هو المبدع الاول وكونه هو الماء لان المبدع الاول واسطة في ناتي الموجودات
وفيه صورها وعنه تفاض كمالاتها كما ان الماء قوام كل حي عنصري وبواسطته يكون
ولذلك سبق ما جاء في التورية فان المراد بالجوهر المخلوق لله اولا هو المبدع الاول وكونه
تعالى نظر اليه نظر الهيبة وذوبان اجزائه اشارة الى صدور الفيض عنه بامر الله سبحانه وقدرته
والزبد الذي تكونت منه الارض والدخان الذي تكونت منه السموات اشارة الى الكمالات
السموات والارض وصورها الصادرة عن كمالات عللها وصعود البخار والزبد عن الماء
وكل هذه تجوزات واستعارات يلاحظ فيها وتحسنها قرب المناسبة وبعدها الوجه الثاني
قالوا يحتمل ان يكون مراده بالريح الاولى هو العقل الاول فانه الحاصل للفيض الالهي الى ما بعده
وهو المحيط بصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق
فان الهواء اشارة الى القوابل التي بعده وبواسطته واما اشارة الى الفيض الصادر على الاول
سبحانه فان التدفيق لما كان مستلزما للسرعة حركة الماء وجريانه فعبر به عن الفيض الذي
لا توقف فيه والريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة في افاضة امر الله سبحانه
على ما بعده من العقول التي بواسطتها تصدر السموات ووصف الريحين بالعصف والعصف
اشارة الى ما تحقق في هذين المبدئين من القدرة وامر الريح الثانية بتصفيق الماء الزخار
واثارة موج البحار اشارة الى تحريك العقل الثاني للعقول التي بعده الى افاضة كمالات الافلاك
امر الله وباقي التأويل كما في التأويل الاول [illegible] حجل سفلا و[illegible] ملكفي [illegible]
الى قوله ويستغف ساكن [illegible] من افضل هينا الثالث البحث الاول [illegible] الكلام

بما هو محكي الزهد والتفسير لقوله فسويهن ان التسوية عبارة عن التعديل والوضع والهيئة
التي عليها السماء كما نبين والغرض من هذا الفصل تنبيه الاذهان لا دهان الغافلة
عن الحكمة الصانع سبحانه في ملكوت السموات وبدائع صنعه وظهور نعمه ليتذكروا
نعمة ربهم فيواظبوا على عبادته وحمده على تمام ذلك الاحسان كما قال ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فان كل هذه
نعم على العباد وهي وان كان فيها ما يبعد عن الاذهان الضعيفة كونه نعمة على العباد
كحركات السموات مثلا فاني احسب ان كثيرا من الغافلين يقولون وما فائدة السماء
في حقنا لكنه اذا انتبهت اذهانهم لذلك علمت انه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات
في هذا العالم اصلا فلم يكن العبد نفسه فضلا عما يجري عليه من النعم الخارجة عنه الا ان
تلك الحركة قد تستلزم نعمة هي اقرب الى العبد من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب
والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر واعدادها الابدان للصحة وتخرج لكم وقد تستلزم
نعما اخرى الى ان تتصل بالعبد كاعدادها الارض مثلا لحصول المركبات التي منها تمام
حسن العبد واعلم ان الله سبحانه ذكر امر السموات في كتابه في مواضع كثيرة ولا شك
ان الكتاب من ذكرها دليل عظم شانها وعلى ان له سبحانه فيها اسرارا لا تصل اليها
عقول البشر اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلام وجعلها سقفا محفوظا وقوله تعالى
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم وقوله تعالى
وحفظا من كل شيطان مارد وقوله عليه السلام وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها كقوله تعالى
خلق السموات بغير عمد ترونها وقوله تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وقوله
ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
وقوله واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا وقوله ثم فتق ما بين السموات العلى كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات
والارض كانتا رتقا ففتقناهما **البحث الثاني** في هذا الفصل استعارات الاولى
قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة
في العلو والارتفاع وما يتوهم من اللون وقال بعض الشارحين اراد انها كانت في الاول
موجا ثم عقدها وكفها اي منعها من السقوط الثانية قوله سقفا محفوظا استعارة
لفظ السقف من البيت للسماء والاصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة
ثم كثر ذلك الاستعمال حتى صار اسما من اسماء السماء ويحتمل ان يكون منقولا او مجازا وحقيقة له
محفوظا اي من الشيطان قال ابن عباس كانت الشياطين لا تحجب عن السموات وكانوا يدخلونها

يخبر

ويخبرون اخبارها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلعم منعوا من
السموات كلها فما منهم احد استرق السمع الا رمي بشهاب فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها
من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب وستسمعه في الرد لكن
ان شاء الله تعالى **قوله** بغير عمد يدعمها ولا دسار ينتظمها لما كان منتهى قدرة العبد
وغايتها اذا امكن من بناء بيت وانشاء سقف انه لا بد من اساطين وعمد تقوم عليها
ذلك السقف وروابط يشد بعضه الى بعض وكانت قدرة الحق سبحانه اجل واعلى
من ان تحتاج الى مثل ذلك اراد ان ينبه الى عظمة سبحانه وقوة قدرته بسلب صفات
المخلوق عنه وبترابط اثار وهم عن قدرته والمعنى ان هذه الاجرام العظيمة ثقيلة
واقفة في جو العالي ويستحيل ان تكون وقوفها هناك لذواتها لان الاجسام متساوية
في الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب كل جسم في ذلك الحيز ولان الاحياز والخلا
متشابهة فلا اختصاص بعضها لموضع اخر ولا لجوز ان تعالى
ان وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار ومن قوله ترونها يفهم ان و
ان هناك عمدا ولكنها غير مرئية لنا وذلك ينافي سلبه عليه السلام العمد مطلقا والجواب عنه من
وجوه احدها انه يحتمل ان يكون قوله ترونها كلاما مستأنفا والمعنى بغير عمد وانتم
ترونها كذلك الثاني يحتمل ان يكون في الكلام تقديم وتأخير كما نقل عن الحسن البصري انه قال
التقدير ترونها بغير عمد الثالث وهو الطف ما ذكره الامام فخر الدين رحمه الله فقال ان العماد
هو ما يعتمد عليه والسموات معتمدة قائمة على قدرة الله تعالى فكانت هي العمد التي لا ترى
وذلك لا ينافي كلامه عليه السلام الرابع وهو الاحق ما ذكرته وهو انه قد ثبت في اصول الفقه ان تخصيص
الشيء بحكم لا يدل على حكم غيره بخلاف ذلك الحكم تخصيص العمد المرئية بالسموات بالسلب لا يستلزم
ثبوت العمد غير المرئية لها الثالثة الثواقب استعارة في الاصل للشهب عن الاجسام
التي تثقب ما تمر وتنفذ فيه ووجه المشابهة التي لاجلها سمي الشهاب ثاقبا انه
يثقب جسما يسيرا في الهواء كما يثقب لكنه لكثرة الاستعمال فيه صار اطلاقه عليه حقيقة
او في بياضها الرابعة قوله سراجا مستطيرا استعارة للشمس ووجه المشابهة ان السراج
الذي المستطير لما كان من شانه ان يضيء ما حوله ويهتدى به في ظلمة البيت ويستدل
به في الظلمة كذلك الشمس يضيء لهذا العالم ويستدل بها المتصرفون الخامسة
قوله رقيم استعارة اطلقه للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثم كثر استعمال هذا
اللفظ في الفلك حتى صار اسما من اسمائه **البحث الثالث** اعلم ان هذه الاستعارات
تستلزم ملاحظة اخرى وهو تشبيه هذا العالم بالبيت في احد فالسماء كقبة خضراء

ويمكن ان يقال ان العمد كالدعائم بها ان يكون مرئية فعدم العمد المرئية يستلزم عدم العمد مطلقا ١٢ م

صح

تثبت على الارض وجعلت سقفاً محفوظاً محمياً عن ان يصل اليه مردة الشياطين كالحمى
عن والبيت بالسهام والحجاب عن مردة اللصوص ثم من جملة علوه وارتفاعه عن محل العبد
بعد محمه ولا منظوم بدستار نشده بل بقدرة صانعه ونجد بعد ان ملك القبة مزينة
بالكواكب مثل مصابيحها التي هي احسن الزينة واكملها فلو لم يحصل صور الكواكب في الفلك لبقي سطحاً
مظلماً فلما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطحه اجرام استنارة وازداد به ذلك
التنوير والضوء كما قال ابن عباس في قوله زينة الكواكب اي بضوءها واذا تاملت هذه الكواكب
المشرقة المضيئة في سطح الفلك وجدتها عند النظر اليها جواهر موضوعة في سطح زبرجد على
اوضاع اقتضتها الحكمة كما قال الشاعر وكان اجرام النجوم لوامعاً درر نثرن على بساط
ثم جعل من جملتها كوكبين هما اعظم الكواكب جرماً واشدها اشراقاً وانماها ضياءً وهو اسنا لهما
على تمام الحسن والزينة جعل احدهما ضياءً للنهار والاخر ضياء لليل ثم لم يجعل ذلك السقف
طبقاً واحداً بل طباقاً فاسكن في كل طبق ملأ من جنوده وخواص ملائكته الذين ضرب بينهم
وبينه من دونهم حجب الغيرة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلاً
عن ان يتشبه بالكهم وخالقهم سبحانه وهو عما يقول الظالمون علواً كبيراً هذا من الحكمة
الظاهرة التي يتنبه لها من له ادنى فطنة فيحصل منها غير شاطه الاصناف الخلق بحيث
اذا لاحظوا مع حركاتهم آثار هذه القدرة انهم استعظم واستحسن من اي ملك فرض
من ملوك الدنيا لم يكن بينهما من المناسبة الا خيال ضعيفة فان اي ملك فرض اذا اهتم بوضع بستان
وبالغ في تحسينه وتزيين سقفه وترصيعها بفاخر الجواهر وتزيينه بالاوضاع المعجبة
لابناء نوعه وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن غايته الا ان يلحظ ما عمله نسبة خيالية
بعيدة الى هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا اما اشتمل عليه من الحكم الخفية ولا تدرك
الا بالبينة التي يعجز الفكر البشرية عن ادراكها ويحتاج فيما لاح منها الى لطف قريحة وتوقد
ذهن فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فانظر ايها المستبصر بعين بصيرتك المناسبة
بين بيتك الذي بنيته وهذا البيت العظيم ومن اجل الراحة وشكل الدينية ولاحظ
مع ذلك انه انما خلقه لكم لابناء نوعك ليكونوا فيه ومنه قوام حياتكم ومجدكم ولتستدلوا
بملكوت ما خلق الله على كمال قدرته وحكمته لتنجعوا بذلك الى حضرة الطاهرين من الرجس
منتهكي سكان سقف هذا البيت وعمى عنه لا انه له حاجة اليه فانه الغني المطلق الذي
لا حاجة به الى شيء والعجب من الانسان انه اذا رأى خطاً حسناً او نقشاً على حائط مال الى التعجب
من حسنه وحدق صانعه ثم يرى هذا الصنع العجيب والابداع اللطيف فلا يدهشه عظمة
صانعه وقدرته ولا تحير في جلاله وحكمته البحث الرابع في ان الشرع والبرهان قد تطابقا

تطابقا على ان ههنا تسعة افلاك بعضها فوق بعض منها سبع سموات ثم الكرسي
والعرش بعبارة الناموس الالهي ثم الكثير ما يستعمل على الكواكب وهي اجرام نورانية
مستديرة متضمنة مركوزة في اجرام الافلاك فاول الافلاك ما يلينا وليس فيه من الكواكب
الا القمر وليس في الثاني الا عطارد وليس في الثالث الا الزهرة وليس في الرابع الا الشمس
وليس في الخامس الا المريخ وليس في السادس الا المشتري وليس في السابع الا زحل وهذه
هي المسماة بالكواكب السبعة السيارة وما سواها من الكواكب فمستقر الفلك الثامن
واما التاسع فخال عن الكواكب ان كان فليس يحدث لنا ثم قد دل البرهان على ان الافلاك
هي المتحركة بما فيها من الكواكب وان تلك الحركة دورية وكان كلامه على مطابقا لذلك
حيث قال في فلك دائر وسقف سائر ودفتر طائر اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه
خلق الموجودات كلها على اتم انحاء الوجود واكمله جميع الموجودات من الافلاك ومقاديرها
واعدادها وحركاتها المختلفة وهيئاتها وهيئة الارض وما عليها من الحيوان والنبات
والمعدن ونحوه انما وجد على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي للعالم
ولو كان بخلاف ما عليه لكان شراً ونقصاً فخلق الافلاك والكواكب وما هي عليه من
الحركات والاوضاع وجعلها اسباباً لحدوث الحوادث في عالم الكون والفساد
بواسطة كيفيات تحدثها فيها من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة توجب
ذلك امتزاج بعضها ببعض امتزاجات مختلفة مستعدة لقبول صور
مختلفة من حيوان ونبات ومعدن واظهر الكواكب تاثيراً هو الشمس والقمر فان
حكمة الشمس التوجيه يحصل النهار والليل والنهار هو زمان طلوعها يكون
زمان التكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام الحيوة ويكون سبباً الى
السعادة الاخروية ثم انما في مدة حركتها اليومية لا يزال نور وضعف شيء بعد
جنة حتى ينتهي الى الغروب فقد احدث بكل حصة خطأ من الاشراق ولا يستعد داوا الليل
وهو زمان غيبتها فان فيه هدوء الخلق وقرارهم الذي به يحصل الراحة وانبعاث القوة
الناهضة وتنفيسها لعن اي الى الاعضاء كما قال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً ثم كانت الشمس جهة ضوءها كراً وبرفع
لاهل كل بيت لمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم فضلاً والنور والظلمة على تضادهما قد تظاهرتا
على ما فيه مصلحة هذا العالم واما بحسب حركتها الجنوبية والشمالية فقد جعل سبحانه
ذلك سبباً لاقامة الفصول فيحصل لشتاء تخمد الحرارة في النبات فيتولد منها مواد الثمار
وتكثر السحاب والامطار وتقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية فيها

في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات
وينوّر الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار ويحلّ
فضول الابدان ويجف وجه الارض فيتهيأ للبناء والعمارة وفي الخريف فيظهر اليبس والبرد
فيعتدل هذه الابدان على التدرج الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة لهلكت وفسدت واما
القمر فانحركته تحصل الشهور والاعوام كما قال سبحانه ولتعلموا عدد السنين والحساب
فيتمكن العبد بالحساب من ترتيب معاشه بالزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف
وباختلاف حاله في زيادته ونقصانه تختلف احوال الرطوبات في هذا العالم فلولا انه سبحانه
خلق الافلاك دون الكواكب لكان خلقها خطلا .. لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول في الحر والبرد
فلم يتم في هذا العالم ما كانت اسبابا منه من الاستعدادات ولم تتهيأ لنا تقصد عن قصد كما قال
تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر وان خلقها مضيئة تتشابه اجزاؤها في الامكنة والاوضاع بل خلق فيها الكواكب ولم يخلقها
ساكنة والا افرطت اثارها في موضع بعينه فيفسده ويخلو عن موضع اخر عن التاثير ولما
تميزت فصول السنة ولما حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات
والحيوان وعلى الجملة فان النظام الكلي لا يحصل الا بهذا الوجه فهو اكمل انحاء الوجود وكل ذلك
يدل على كمال رحمته مستندا الى علو تدبيره وكمال الحكمة كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار لا يقال السؤال على ما ذكرتم من وجهين احدهما ان الترتيب الذي ذكرتموه
في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله
تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الثاني ان الشهب الثواقب التي جعلت رجوما للشياطين
على ما نطق به القرآن الكريم اما ان تكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا تكون والاول
باطل لان هذه الشهب تبطل بالانقضاض وتضمحل فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء
الكواكب ونقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد ذلك النقصان البتة والثاني يشكل
بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فانه نص على كون الشهب
التي هي تلك المصابيح والكواكب التي زينت بها السماء لانا نجيب صح
عن الاول بانه لا ينافي ظاهر الاية ويثبت ما ذكرناه وذلك ان السماء الدنيا لما كانت لا تحجب صور
الكواكب وكانت اوهام الخلق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة الكواكب بانها مزينة بها
لا جرم صح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب الزينة بها انما هي بالنسبة الى اوهام
الخلق للسماء الدنيا وعلى الثاني انا نقول ان هذه الشهب غير تلك الثوابت الباقية واما قوله ولقد

زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل مضيء حصل في الجو العالي
او في السماء فهو مصباح لاهل الارض الا ان تلك المصابيح منها باقية على طول الزمان وهي الثوابت
ومنها متغيرة وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق
عليها انها زينة السماء ايضا بالنسبة الى اوهامنا قوله ثم نفتق ما بين السموات العليا الى
قوله ولا يسامون مما يليه بالظاهر ومعه ابحاث البحث الاول هذا الفصل ايضا من تمام التفسير
لقوله فسويهن سبع سموات اذ كان ما اشار اليه ههنا من فتق السموات الى سامعها واسكان
كل طبقة منها ملاء معينا من ملائكته هو من تمام التسوية والتعديل لعالم السموات فان قيل
لم اخر ذكر فتق السموات واسكان الملائكة لما عن ذكر اجراء الشمس والقمر فيها وتزيينها بالكواكب
ومعلوم ان فتقها متقدم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب قلت ان اشارته على
الى تسوية السموات اشارة جلية فكأنه قد ذكر اولا ان الله خلق السموات كرة واحدة كما
عليه بعض المفسرين لقوله ان السموات والارض كانتا رتقا ثم ذكر عليها فصلها هن
بجريانها مجرى السطحين الداخل والخارج اراد التفصيل فاشار الى تفصيلها وتميز بعضها
عن بعض بالفتق واسكان كل واحدة منهن ملاء معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل
الملائكة ولا اشكال ان تقديم الاجمال في الذكر وتعقيبه بالتفصيل اولى في الفصاحة والبلاغة
والخطابة من العكس اذا عرفت ذلك فنقول قوله تعالى ثم نفتق ما بين السموات العليا كقوله اولم
ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وقوله وله يسجدون ونحوه
وقوله وهم لا يستكبرون كقوله وانا لنحن الصافون والصافات صفا وقوله يسبحون
لا يسأمون كقوله يسبحون الليل والنهار وقوله ولا فترة الابدان كقوله لا يفترون
وقوله ومنهم امناء على وحيه كقوله نزل به الروح الامين وقوله والسنة رسله كقوله
جاعل الملائكة رسلا وقوله مختلفون لقضائه وامره كقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن
ربهم من كل امر وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله ومنهم
الحفظة لعباده كقوله ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله له معقبات من بين
يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله والسدنة لابواب جنانه كقوله وقال لهم خزنتها وقوله
المناسبة لقوائم العرش اكتافهم كقوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقوله باجنحتهم
كقوله اولي اجنحة البحث الثاني اعلم ان للناس في تفسير قوله اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما اقوالا احدها قال ابن عباس في رواية الضحاك وعطاء وقتادة ان السماء والارض كانتا
شيئا واحدا ملتزقين ففصل الله بينهما بالهواء الثاني قال كعب خلق الله السموات والارض
بعضها على بعض ثم خلق ريحا فتوسطتها ففتقها بها الثالث قال مجاهد والسدي كانت السموات

طبقة واحدة ففتقناها فجعلناها سبع السموات وكذلك الارض **الرابع** قال عكرمة وعطية وابن عباس في
رواية اخرى عنه ان معنى كون السماء رتقا كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا اي لا تنبت نباتا ففتق
السماء بالمطر والارض بالنبات ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله والارض ذات الصدع وقوله انا صببنا الماء صبا ثم شققنا
الارض شقا فانبتنا فيها حبا **الخامس** قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا رتقا اي كانت امورا كامنة في
علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اشارة الى تشخصها بلباس الوجود الخارجي
وتميز بعضها عن بعض وهذا القول مناسب للقول الاول ويصلح جمعهما لما في محل التوجيه التي
ذكرها كجميع ما اراد الله تعالى استعارة لما بينهما من المشابهة في الشرعة **السادس** قال بعضهم
ان معنى الرتق في هذه الاية هو انطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج ثم ان الفتق بعد
ذلك عبارة عن ظهور الميل قال وهذا يناسب ذلك قول ابن عباس وعكرمة فانهما لما قالوا
ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا انها لا تنبت كان الرتق
والفتق بالمعنى الذي ذكرناه اشارة الى اسباب ما ذكروه اذ انطباق الدائرتين هو الرتق
موجب خراب العالم السفلي وعدم المطر والنبات وظهور الميل الذي هو الفتق يوجب
وجود الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله
عليه السلام ثم فتق ما بين السموات العلى موافق للقول الاول من القول الخامس والتحقيق
الذي واما القول السادس فمع بعيد المناسبة لقوله عليه السلام وبيان ذلك ان قوله ثم فتق
ما بين السموات العلى انما هو في معرض بيان كيفية تخليق العالم الاعلى ولو اراد فيه معقبه
بالفاء حالا هو اطوار من ملائكته والرتق والفتق هذا القول متاخر عن كمال الاجرام العلوية
بانفسها وما يتعلق بها ولا يعقل تقدم الظهور الميل بوجه ما على وجود الملائكة الساكنة
واسكانها اطباق السموات وبالله التوفيق **البحث الثالث** الملائكة على انواع كثيرة ومراتب
ومراتب متفاوتة والمرتبة الاولى الملائكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا
لله ولا الملائكة المقربون الثانية الملائكة الحاملون للعرش كقوله تعالى الذين يحملون العرش وقوله
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الثالثة الحافون حول العرش كما قال تعالى وترى الملائكة حافين
من حول العرش وقوله ومن حوله الرابعة ملائكة السموات والكرسي الخامسة ملائكة العناصر السادسة
الملائكة الموكلون بالمركبات من المعدن والنبات والحيوان السابعة الملائكة الحفظة الكرام الكاتبون
كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليهم بقوله له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله الثامنة ملائكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى وقال لهم خزنتها
سلام عليكم التاسعة ملائكة النار كما قال تعالى ملائكة غلاظ شداد وقال عليها تسعة عشر وقال وما جعلنا

في قوله

اصحاب النار الا ملائكة اذا عرفت ذلك فنقول اتفق الكل ان الملائكة ليس عبارة عن اشخاص
جسمانية كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهائم بل القول المحصل فيها قولان **الاول** وهو قول المتكلمين
انها اجسام لطيفة نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات الرفيعة السابقة ذوات عقول
وافهام وبعضها عند الله اقرب من بعض ولكل درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له
مقام معلوم **والقول الثاني** قول غيرهم وهو انها ليست باجسام لكن منها من هو مجرد عن
هيئة وعن تدبير الاجسام ومنها من له الامران الاول والثاني ومنها من ليس بمجرد بل
جسماني حال في الاجسام وقائم بها ولهم في تنزيل المراتب المذكورة على قولهم تفصيل فالمقربون
اشارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة وعن حاجتها الى القيام بها وعن تدبيرها واما
حملة العرش فالارواح الموكلة بتدبير العرش وقيل هم الثمانية المذكورة في قوله ان الكرسي ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء الملائكة المدبرين للكرسي والسموات السبع وذلك
ان هذه الاجرام لما كانت كالابدان فهي ابدا انما اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما الحافون
حول العرش وقيل هم صفوف في افق الى العرش هي الارواح الحاملة للكرسي الموكلة به
والمتصرفة فيها واما ملائكة السماء فالارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك والارادة
باذن الله عز وجل وكذلك ملائكة العناصر والجبال والبحار والبراري والقفار وساير
المركبات من المعدن والنبات والحيوان والحيوان المسخر كل منها لفعله المخصوص على
مراتبها واما الملائكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال احدها قال بعضهم
ان الله سبحانه خلط الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد ذلك
الممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة القوى الحسية والحركية فتلك الحفظة
التي ارسلها الله تعالى هي تلك النفوس والقوى التي تحفظ تلك الطبايع المقهورة على امتزاجاتها
وهي الضابطة على انفسها اعمالها والكتبة الواجبة وما تفعله ليشهد به على انفسها
يوم القيمة كما قال تعالى قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين وهي المعقبات من بين يدي الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وقيل الحفظة
العباد عن الحفظة على العباد والكاتبين لاعمالهم وسنشير الى ذلك **الثاني** قال بعض الفضلاء ان هذه
النفوس البشرية والارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خبيثة وبعضها شريرة وكذلك
القول في البلادة والذكاء والبخل والعفة والحرية والنذالة والرغبة والدناءة وغير ذلك من الصفات
ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها
على مهماتها في يقظتها ومقاماتها تارة على سبيل الرؤيا والاخرى على سبيل الالهامات وهو حبيبها
لما يحدث فيها من خير وشر ويعرف تلك المبادي في مصطلحهم بالطبايع التامة يعني ان تلك الارواح

العقلية وبتلك الطباع والاخلاق تامة كاملة بالنسبة الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة
لما وعليها وقال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة الثالث قال بعضهم ان للنفوس سفرة
المتعلقة بهذه الاجساد مشاكلة ومشابهة مع النفوس المفارقة عن الاجساد فيكون لتلك
المفارقة ميل الى النفوس التي لم تفارقه فيكون لها تعلق ايضا بوجه ما بهذه الابدان بسبب
ما بينهما من نوع من المشابهة والموافقة فتصير معاونة لهذه النفوس على حسب طباعها
وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد واما ملائكة الجنة فاعلم ان الجنان المذكورة في القران الكريم ثمان وهي جنة
النعيم وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن ودار السلام ودار القرار وجنة
عرضها السموات وهي وراء الكل عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام واذا عرفت ذلك فاعلم ان
لهذه الجنان سكانا وخزانا من الملائكة اما السكان فهم الذين عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم الذين يتلقون عباد الله الصالحين
بالشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان الطائع اذا كملت طاعته وبلغ النهاية في الصورة
الانسانية واستحق باعماله الصالحة ما اكتسبه من الافعال الزكية صورة ملكية ودرجة سماوية
تلقته الملائكة الطيبون بالرافة والرحمة والشفقة ويقبلونه بالروح والريحان فتلقوه
كما تقبل القوابل والدايات اولاد الملوك تغافلا من الدنيا وطيبات دواعيها من ساير النسب
ولا يستبشرون بالفرح والسرور وسروا به الى الجنة فيها من البهجة والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ويبقى معهم على المدى ابدا كما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ويتصل بالخزنة المؤمنين في الدنيا
احبائه واحواله ويبشره لهم كرامتهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب فاذا كان يوم القيامة
الكبرى عرجت به ملائكة الرحمة الى جنان النعيم والسرور المقيم ابدا وفي فيها الموت الا الموتة الاولى
في غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
قال بعض حكماء الاسلام ان تلك الملائكة الملقبة بالروح والريحان هي روحانيات الزهرة
والمشتري وكان هذا القائل يقول ان النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها وحلت القوة
المتوهمة معها والهيئات المتخيلة التي حصلت لها من الوعد الكريم في دار الدنيا من الجنان والحور
والانهار والثمار والحور العين والكاس المعين واللؤلؤ والمرجان والولدان والغلمان فانه تفاض عليها
حسب استعدادها وطهارتها وجارية ثوابا لاخرة صور عقلية في غاية البهاء والزينة متناسبة لما تمثلت
بتخيله من الامور المذكورة مناسبة ولما كان لهذين الكوكبين اثر تام في امداد النفوس بالمتخيلات
البهيجة الحسنة وللفرح والسرور كما ينسب في المشهور الى روحانيتهما من الافعال الحسنة نسب
تلقي الانسان بعد المفارقة بالرافة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما والله اعلم واشارة

الجنان فيشبه ان يكون هم السكان لها ايضا باعتبار اخر وذلك انه لما كان الخازن هو المتولي
لاحوال ابواب الخزانة بفتحها وتغليقها على مستحقها باذن رب الخزانة وما لكها وغلقها
ومنعها عن غير مستحقها والمستعد للطاعة لها باذن الله وحكمه لا جرم صدق انهم خزان الجنان
بهذا الاعتبار وهم الذين يدخلون على المؤمنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال
بعض الفضلاء ان العبد اذا راض نفسه حتى استكمل مراتب القوة النظرية ومراتب القوة العملية
فانه يستعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض عليه من الله ويأتيه به الملائكة فيدخلون عليه
من كل باب من تلك الابواب بالسلام والتحية والاكرام ثم ان الرضا نقضا الله من خير عشرة باب عظيم
من تلك الابواب فالملك الذي يدخل على الانسان منه رضا الله كما قال رضي الله عنهم ورضوا عنه
هو رضوان خازن الجنان والله اعلم واما ملائكة النار فقال بعض الفضلاء هي تسعة عشر من
الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الخمسة الذين ذكرنا انهم يردون عليه الاخبار من خارج
ورئيسهم الخازن ثمان والحاجب والملك المتصرف بين يديه باذن ربه وملكا الغضب والشهوة
والسبعة الموكلون بامر الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان ممن طغى
واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى كانت اولئك التسعة عشر من الزبانية هم الناقلين
له الى الهاوية بسبب ما استكسب من الشهوات واقترف من السيئات واعرض عن قوله تعالى وان
ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى واعلم
فيقول الله ان هؤلاء الذين ذكر هذا القائل انهم ملائكة النار لا كانوا ايضا في الانسان اخرى من ملائكة
الجنة وذلك اذا استخدمهم ذلك الانسان في دار الدنيا على وفق اوامر الله ونواهيه وقصرهم على طاعة الله دون ان
يطلب منهم فوق ما خلقوا لاجله وامروا به من طاعته ولم يعرضهم الى معصية الله وارتكاب نواهيه
ومحارمه وبالله التوفيق   انه عليه السلم ذكر من الملائكة واشار بالسجود
والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم في الخضوع وذلك ان الله سبحانه خص كلا في العبادة
منهم بمرتبة معينة من الكمال في العلم والقدرة لا يتصل بالمرتبة التي فوقه وكل من كانت نعمة الله
عليه اكمل واتم كانت عبادته اعلى وطاعته اوفى ثم ان السجود والركوع والصف والتسبيح
عبادات متفاوتة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع ولا يمكن حملها
على ظواهر المفهومة منها لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في الخضوع والخشوع
بكرها الله وعظمة الملائكة اللفظ الملزوم على لازمه على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع
كما مر اذا عرفت ذلك نقول يحتمل ان يكون قوله عليه السلم منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين
لان درجتهم اكمل درجات الملائكة فكانت نسبة عبادتهم وخضوعهم الى خضوع من دونهم كنسبة
خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد تقدم ان الملائكة المقربين منزهون عن تدبير

الاجسام والتعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات ومن اطوار الذين جليتهم
ملك العلاقة التي بالشيء واضافته اليه يكفي فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة هنا حاصلة
بين الاجرام السماوية وبين هذا النوع من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول والشرط للمشروط فكما
جاز ان ينسب الباري جل جلاله الى الاختصاص بالعرش والاستواء عليه في لفظ القران الكريم مع تنزهه تعالى
وتقدسه عن هذا الظاهر ولم يجز في الحكمة ان يكشف يتعلق من عظمة الحق سبحانه اكبر من هذا القدر
فكذلك جاز ان ينسب الملائكة المقربون الى الكون في السموات بطريق الاولى وان تنزهوا عن الاجسام
وتدبيرها ان يطلعنا على الكلم فاصر فهم الرسول صلعم وقصد القران الكريم وناطق به فليس لنا ان نفصح
بما نبؤا منه لا فنا م والله التوفيق قوله وركوع يشبه ان يكون اشارة الى حملة العرش اذ كانوا
اكمل من دونهم وكانت نسبة عبادتهم الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع الى خضوع الصف قوله
وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملائكة الحافين من حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء
العبادة كما اخبر الله عنهم وانا لنحن الصافون ويحتمل ذلك ان لكل واحد منهم مرتبة معينة ودرجة
معينة من الكمال يخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف ومما يؤيد القول
بانهم الحافون حول العرش ما جاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام وقد وضعوا ايديهم على
عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد
الا وهو يسبح قوله ومسبحون يحتمل ان يكون المراد بهم الصافون وغيرهم من الملائكة والواو العاطفة
وان اقتضت المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم مسبحون
وتعدد هذه الاعتبارات يسوغ تعديد الاقسام جميعها وعطف بعضها على بعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم
صافين وبين كونهم مسبحين في قوله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يراد نوعا
اخر من ملائكة السموات واما سلب الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين وسلب
الملالة عن الصافين وسلب السأم عن المسبحين فاشارة الى كمال مراتبهم المعينة كما بالنسبة
الى من هو دونه وتاكيد لها بعدم النقصانات اللاحقة فان الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان
بالنسبة الى السجود والانتصاب نقصان في درجة الركوع بالنسبة الى الركوع وكذلك السائل الانفصال
عن مرتبة الصف نقص فيها وكذلك السأم في التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة
به وايضا فالسأم والملال عبارة عن اعراض النفس عن امر ما بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن
افعالها وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية واما سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم
نوم العيون فهو ظاهر الصدق وبيانه ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل
في حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس
الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني اليها او رجوعها بعد الكلال او الضعف

والملائكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب لاسباب والالات فوجب ان يكون النوم غير صحيح
في حقهم فوجب ان لا يغشاهم واما سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن
عدم التفطن للشيء وعدم تعقله بالفعل وهي اعم من السهو والنسيان وكالجنس لهما فان ذلك ان
السهو هو الغفلة عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها
الى بعض مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته او معناه عن احدى الخزانتين
بالكلية ولذلك يحتاج الناسي للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا وهو ايضا الفرق
بين الغفلة والنسيان والسهو واذا عرفت ذلك ظهر ان هذه الامور الثلاثة من لواحق القوى النفسانية
الانسانية فوجب ان تكون مسلوبة عن الملائكة السماوية لعروضها عنهم ولما ذكر سهو العقول
ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان وقد كان ذكر
كما ينبغي سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه ليتاكد سلبه بسلبها واما قوله ولا فترة الابدان
الابدان فلان الفترة هي وقوف الاعضاء البدنية عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية
وضعفها ورجوعها الاستراحة وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فلاجرم صدق سلبها عنهم
قوله ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه وامره يشبه ان يكون هذا القسم
داخلا في الاقسام السابقة من الملائكة وانما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على الوحي والرسالة
والاختلاف بالامر الى الانبياء عليهم السلام وغيرهم لان من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السلام وهو من الرسل
الملائكة المقربين واعلم انه لما ثبت ان الوحي وسائر الافاضات من الله تعالى على عباده انما هي
بواسطة الملائكة كما علمت كيفية ذلك لا جرم صدق ان منهم امناء على وحيه والسنة الى رسله
اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه محفوظا عما هو عليه ليؤديه الى مستحقه واما ان الوحي
النازل بواسطة الملائكة نازلة كما هي جارية على حال التمام دون سهو لعدم معروضات السهو هناك او
عن عمد لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة
الى رسله فهي استعارة حسنة اذ لسان الانسان قومه الى الفهم عن احواله والمخاطب عنهم فيطلق عليه
اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس ولما كانت الملائكة سفراء بين الحق سبحانه وبين رسله في تادية
خطابه الكريم اليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة والمراد هنا بالاختلاف
التردد بامر الله وما قضى به مرة بعد اخرى والقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضاء الله
اي مقضي الله ولا يراد به المصدر فان معنى ذلك هو سطر ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم
الالهي وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلعم جف القلم بما هو كائن فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم
داخلا في السجود لان من كان منهم ساجدا كيف يتصور ان يكون ذلك من دابه في الرسالة والنزول
والصعود ومختلفا بالاوامر والنواهي الى الرسل عليهم السلام قلت انا بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة

من وضع الجبهة على الارض الكيفية التي نحن عليها وانما هو عبادة من كمال عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم
تحت قهر قدرته وذلهم برق الامكان والحاجة تحت ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس من السجود
ابدا المعهود وسن تردد بهم بامر الله تعالى واختلافهم تتضاعف وفق مشيته او امره مشافاة بل كل ذلك
من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته قوله ومنهم الحفظة لعباده اعلم ان هذا
القسم منطو من احدهما الحفظة والثاني ما المراد منه ثم الحفظة منهم حفظة على العباد كما قال تعالى له
معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم
حفظة المراد من الاولين حفظ العباد بامر الله من الآفات التي تعرض لهم ومن الآخرين ضبط الاعمال
والاقوال من الطاعات والمعاصي كما قال تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد والمعاصي قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره فاذا تكلم
الانسان بحسنة كتبها من على يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب
منها فان لم يتب كتب عليه قال المقرب فائدة ذكرها انه المكلف اذا علم ان الملائكة موكلون يحصرون
عليه اعماله ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيامة كان ذلك ازجر عن القبائح
واعلم انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور للحفظة بعدد بحسب الذوات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار
وقال بعض من زعم ان الحفظة للعباد هي القوى التي ارسلها الله من سماء جوده على ابدان البشر ويحتمل
ان يكون الحفظة على العباد هي مبادي تلك القوى ويكون معنى كتبه السيئات وضبطها على العباد
اما اعتبارات ما يصدر ويعدد عن العبد من السيئات والحسنات في علم تلك المبادي او يكون
معناها كتبه صور الافعال الخيرية والشرية المنسوبة الى العبد تعلم افاضته في لوح نفس بحسب
استعدادها لذلك قال ويشبه ان يكون اشارة ابن عباس بانتظار ملك اليسار كاتب السيئات
توبة العبد الى توبة ما دامت لنفسه حالة غير ممكنة من جوهر نفس العبد فان رحمة الله وسعته
فاذا تاب من تلك السيئة لم يكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة
في نفسه كتبت وعوقب يوم الساعة وقال ويحتمل ان يكون الحفظة على العباد هم باعيانهم
من الحفظة لهم فان النفس تحفظ ما تفعله من خير وشر وتحصيه يوم البعث على نفسها
اذا زالت عنها الغواشي البدنية وتجرده مصور انفصالها لا يغيب عنها منه شيء كما قال تعالى يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعالى
ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال تعالى
افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور قال وانا معنى كونهم من الملائكة الكتبة فلان
اصلهم من ملائكة السماء ثم ادخلوا الى الارض والله اعلم واما السبعة الا بواب جناته فقد عرفت
ما قيل فيه ووقف ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة

والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ما علم ان هذه الاوصاف وردت في
صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار فيشبه ان يكون اهم المقصودون بها هنا وروى
بعضهم انه قال ان حملة العرش في الارض السفلى رؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون
طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء السادسة
وهكذا الى السماء الدنيا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم لا تتفكروا في عظمة ربكم وتفكروا فيما
خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض
السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع والوصع
طائر صغير وعن ابن عباس ايضا قال لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال
لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا ذلك استقل عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض
السابعة على متن الثرى فلم يستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه معهم اسرار
هذا الخبر ان وجود الملائكة وبقاؤهم وحملهم وقوتهم التي بها هم انما هي من حول الله وقوته وجهته
فلو انه سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي ولم يكن لهم استعانة ولا امداد بحول الله وقوته
ومعونته لم يثبتوا فضلا ان يحملوا ذرة من ذرات مصنوعاته فكيف بانه فضلا عن تدبير العرش الذي
هو اعظم الاجرام الموجودة في العالم اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال بان الملائكة اجسام
كان حمل صفاتهم المذكورة في هذه الاخبار وفي كلامه عليه السلام على ظاهرها امرا ممكنا والله تعالى
قادر على جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة السماوية
مسخرين لاجرام السماوات مدبرين لعالمنا عالم الكون والفساد واسبابا لما يحدث فيه كان في المخلوقين
بإذن الله عالمنا [illegible] كان منهم من ثبتت في تخوم الارض السفلى اقدامهم
ادراكاتهم التي ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاعز الاكرم ونفذت في باطن
الموجودات خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها اركان
قواهم العقلية وهذه المناسبة لقوائم العرش اكتافهم بين يديه متشبهون ومناسبون
لقوائم العرش في نفاسهم وثباتهم عن التنازل من تحته ابدا الا ما شاء الله فان قلت هل هناك
قوائم غير الحاملين للعرش الذي اشار اليهم ويكون هذه الطائفة من الملائكة مناسبة لتلك القوائم
ام لا قلت قد جاء في الخبر ان للعرش قوائم وروي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عليهم انه قال
ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقال بعض
المحققين ان هناك قوائم ثمان متوقفة على كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة
منها وحملها وكلها اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قد اشار عليه السلام بقوله مناسبة لقوائم
العرش اكتافهم الى اثبات قوائم العرش واثبات مناسبة اكتاف هؤلاء الملائكة مع تلك القوائم
ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعار عليه السلام هنا للقدرة والقوة التي يحفظ

كل ملك من تلك الملائكة وبما تدبير تلك القائمة من العرش ولا شك ان من كل قائمة من تلك القوائم وسر كل قدرة
من تلك القدرة مناسبة ما لاجلها خص الله تعالى ذلك الملك بحمل تلك القائمة وذلك معنى قوله المناسبة
لقوائم العرش اكنافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ الاقدام استعار ايضا لهم لفظ الاكتاف
ثم شبه ثباتهم بامر الله تعالى في حملهم للعرش بقيام الاساطين التي تبنى عليها من غير ان يكون
هناك تعرض لاثبات قوائم بما شبه القوائم وقوله ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم
الضمير في دونه وتحته راجعان الى العرش وقد جاء في الخبر عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من
حملة العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما
جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكنى عليه بنكس ابصارهم عن كمال خشيتهم
الله تعالى واعترافهم بقصور ابصار عقولهم عن ادراك ما وراء كمالاتهم المقدرة لهم وضعفها عن قبول
ما لا تحتمله من انوار الله في عظمته المشاهدة في خلق عرشه وما فوقهم من مبدعاته فان شعاع ابصارهم
منته واقف دون حجب عزة الله وعن يزيد الرقاشي ان لله تعالى ملائكة حول العرش يسمون المجلجلين
تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيامة يميدون كما تنتفضهم الرياح من خشية الله فيقول
لهم الرب جل جلاله ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك
على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحاري يخورون كما يخور
الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطائر وللانسان عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش
صح ان يستعار للملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرتهم وقوتهم التي بها يطيرون في بيداء
جلال الله وعظمته وتفردهم بواسطتها كمالات دونهم من مخلوقات الله وجاز ان يوصف تلك الاجنحة
بالقلة والكثرة في احادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة كمال بعضهم
على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم ذلك ان تكون نفوسهم بالطائر ذي الجناح ثم
لما كان الطائر عند سكونه يشبه المتلفع بثوبه والملتحف به وكانت اجنحة الملائكة
التي هي عبارة عن كمالهم في قدرتهم [illegible] منقبضة قاصرة عن التعلق بمثل مقدوراته تعالى
ومبدعاته الواقعة دون جلاله وعظمته في ضعفه لاجرم اشبه ذلك نقص الاجنحة التشبه
للتلفع بالثوب ما استعار عليه لفظ التلفع ايضا وكنى به عن كمال خضوعهم وانقيادهم تحت
سلطان الله وقوته المشاهدة وصورة عرشه فان قيل اليس ثبت ان المراد بالركوع
منهم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذكره تعالى ان هذا القسم هم حملة العرش ايضا فان من كان
اقدامهم في تخوم الارض واعناقهم خارجة من السموات السبع ومن اركان العرش كيف
يكون مع ذلك راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في قوله ومنهم امناء على وحيه فان الركوع
ايضا المقصود منه الخشوع لعزة الله وعظمته وذكر عن جماعة الاوصاف المذكورة هاهنا
وبالله التوفيق ولكن مضروبة بينهم وبين ربهم حجب العزة واستار القدرة اشارة الى انه

الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول اليهم وذلك لتنزههم عن الجسمية والجهة
وفي بعضهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله وبعدا القوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم
المختلفة ومراتبهم المتفاوتة واذا كان الحال في ملك العظيم من ملوك الدنيا اذا بلغ
الغاية في التعظيم الى حيث لا يراه الا احاد خاصته وكان الحال ايضا في بعض خاصته كذلك
كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل فانهم لا يصل اليهم كل الناس بل لا يصل اليهم الا من
كانت له منهم وسيلة تامة وعلاقة قوية وكان منشأ ذلك انما هو عظمة وفي بعضهم منه وكان
الحائل بينهم وبين غيرهم انما هو حجب عزة الملك واستار قدرته وقهره فكيف بحال جبار
الجبابرة ومالك الدنيا والاخرة وحال ملائكته المقربين ومن بينهم من حملة العرش الروحانيين
فبالحري ان يثبت عجزنا عن وصول قوانا الضعيفة اليهم واذا اكتنا لجنابهم الحجب عزة الله
وعظمته لهم وكمال ملكه وتمام قدرته وما اهلهم له من قربه ومطالعة انوار كبرياء عزة
سلطانه ولا انهم لا [illegible] ولا يتوهمون ربهم بالتصوير بالتشابه التي تنزههم عن ادراكات
الوهمية والخيالية في حق مبدعهم عن سلطانه اذ كان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسة
واما الصور والاحيات والمحال الجسمانية فالوهم وان ارسل طرفه الى قبلة وجوب
الوجود وبالغ في تقليب حدقته فلن يرجع الا بعجز حيث يتعلق بمحسوس حتى انه لا يقدر
نفسه ولا يدركها الا ذات مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لاجرم
سلب التوهم هذا التوهم من الملائكة لعدم قوة الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت
موجودة للانسان لاجرم كان يرى ربه في جهة وتشير اليه متخيلا ذا مقدار وصورة ولذلك
وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعية مشحونة بصفات التجسيم كاثبات العين واليد
والاصبع والاستواء على العرش ونحو ذلك خطابا للخلق بما يدركه اوهامهم وتوطينا لهم
وايناسا حتى ان الشارع لو اخذ في [illegible] الامر بان يعلمهم ان الصانع الحكيم ليس
داخل العالم ولا خارجه ولا في جهة وليس بجسم [illegible] لسبق نفارا اكثرهم عن قبول ذلك
وعظم انكارهم له فان الوهم بطبيعته لا يتصور [illegible] د احسن الصفة ولا يتصوره ومن شأنه
ان ينكر ما لا يتصوره فكان شكرا لهذا القسم من الموجودات والخطابات الشرعية
وان وردت بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك لما كانت قابلة للتاويل
محتملة له كانت وافية بالمقاصد اذ العامي المحجوب في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره ويحصل
بذلك مقصوده من تثبيت اعتقاده وذو البصيرة المترقي في تلك الدرجة يحمله على ما يحتمله بعقله
من التاويل وكذلك حال غيرهم على حسبه والناس في ذلك على مراتب كانما يرادها [illegible] ولا
يحرون عليه المصنوعين اقول اذا صفات المصنوعين عليه انما يكون لمناسبته ومماثلته
مع مصنوعاته ومكوناته ولكن نفينا من الوهم [illegible] كالقائم من المتخيلة له بصورة

المصنوع فكان الوهم يحكم اولا بكون البارى سبحانه مثلا لمصنوعاته التى تتعلق ادراكه
بها من المتحيزات وما يلزم بها ويمثله بصورة جسمانية ليساعده العقل في مقدمة اخرى
وهو ان كلما هو كذلك حكم مثله فيجرى عليه صفات مصنوعاته التى حكم بمثليته لها ولما كانت
الملائكة السماوية منزهين عن الوهم والخيال لاجرم وجب تنزيههم ان يجروا عليه صفات
مصنوعاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكل ذلك يحقق له ولا يجوزونه بالاماكن
ولا يشيرون اليه بالنظائر فان الحاكم بجزء مكانه وتحيزه هو والمشير اليه بالمثل المتصور
له بالقياس الى نظائره لمشاكلته وتشابهه انما هو الوهم والخيال فلما عرفت انهما يخصان
بالحيوان العنصرى لاجرم كانت هذه الاحكام مسلوبة عن الملائكة السماوية مطلقا وبالله التوفيق

الثالث

الفصل السابع في كيفية خلق ادم عليه السلام وقوله

منها خلق ادم ثم جمع سبحانه من حزن الارض الى قوله وتناسل الذرية اول الحزن من الارض ما غلظ
منها واشتد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب منها واستعد للنبات والزرع والسبخ
مالح منها والمسنون الطين المنتن قال ابن عباس وعن ابن السكيت عن ابى عمرو وانه المتغير
وقول ابن عباس انسب الى كلام على عليه السلام لان قوله وسنها بالماء حتى لزبت اى انه خلطها
بالماء حتى صارت طينا رطبا يلتصق وصلصلت وقال العضيم هو المنتن من قولهم صل اللحم واصل
اذا انتن وقيل هو الطين اليابس غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت في صوته
مدا فهو صليل واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة ولاطها بالبلة اى خلطها بالرطوبة ومزجها
بها والبلة بالكسر الندواة بالفتح واحده الندى والازب الالصق واصل الباء ميم وجبل
اى خلق والاحناء جمع حنو وهو الجانب والوصول جمع كثرة للوصل وهو المفاصل وجمع القلة
اوصال والاعضاء جمع عضو بالكسر وال[illegible] والرجل للحيوان واصلدها اى جعلها صلبة
وهى الصلبة الملساء والذهن [illegible] الفطنة والحفظ وفى الاصطلاح العلم عبارة
عن القوى المدركة من العقل و[illegible] الفكر جمع فكرة وهى قوة للنفس بها تحصل
الادراكات العقلية ويشبه [illegible] اصل الانسان من انس وهو لا انيس والالف والنون
في اصل الحرفين للتشبيه وذكر ان [illegible] من نسى لا يتحقق الاس بين مصاعدا ولما كان كل
واحد من الناس يانس بصاحبه قيل انسان ثم كثر استعماله حتى فاجرت على النون
وجوه الاعراب والمساة الغم والجوارح الاعضاء والاختدام والاستخدام بمعنى
واحد والادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك ردت في الجمع والاستنباء طلب
الاداء والخنوع الخضوع واشتقاق ابليس من الابلاس وهو الياس والبعد من رحمة
الله والحمية الانفة واعترتهم اى غشيتهم والوهن الضعف والنظرة بفتح النون
وكسر الظاء الامهال والسخط الغضب واغتره اى استغفله ونفست عليه بالامر نفاسة

نفاسة اذا لم تره مستحقا له والخزلة الاهتمام بالشئ والجذل المرور [illegible]
واذا عرفت ذلك فيقول للناس في هذه القصة طريقان احدهما هو
من المفسرين والمتكلمين حمل هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا

الطريق الاول البحث الاول

ان هذه القصة قد ذكرها سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهى سورة البقرة
والاعراف والحجر وسورة بنى اسرائيل والكهف وطه وسورة ص وذكرها لما يشتمل عليه
من تذكر الخلق وتنبيههم من مراقد الطبيعة التى جذبهم اليها ابليس والتحذير من
فتنته وفتنة جنوده والجذب الى جناب الله ومطالعة كبريائه كما قال تعالى يا بنى
ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية وهو قوله عليه السلام تربة كقوله تعالى
خلقه من تراب وقوله سنها بالماء كقوله تعالى من حمإ مسنون وقوله ولاطها بالبلة حتى
لزبت كقوله تعالى من طين لازب وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ
فيه من روحه كقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وقوله واذهان يجيلها
وفكر يتصرف فيها وجوارح يختدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
وقوله واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى
فقعوا له ساجدين وقوله اسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس وقوله اعترته الحمية الى قوله وتعزز بخلقة النار واستوهن خلق
الصلصال كقوله تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وقوله
ءاسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله فاعطاه الله النظرة فيه حذف تقديره فسال
النظرة وذلك قوله وانظرنى فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى قال
انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه ادم دارا ارغد فيها
عيشه كقوله وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله
وحذره ابليس وعداوته كقوله تعالى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من
الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله تعالى فوسوس
اليه الشيطان وقوله فدلاهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله تعالى
فنسى ولم نجد له عزما وقوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا
ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقوله ثم بسط الله له في توبته
ولقاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الاية وقوله ووعده المرد الى جنته
ذلك الوعد في قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى فمن
تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاهبطه الى دار البلية كقوله تعالى قال اهبطا

فيها جميعا البحث الثاني ان الله تعالى اشار في عشر مواضع من كتابه الكريم الى خلق ادم
من تراب قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقال في مواضع اني خالق بشرا
من طين وقال في موضع آخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون وقال بعض العلماء
وجه الجمع من هذه الآيات ان يقول انه تعالى خلقه اولا من تراب ثم من طين ثم من حمإ مسنون
ثم من صلصال كالفخار وانما خلقه على هذا الوجه لمحض المشيئة او لما فيه من دلالة الملائكة على
كمال قدرته وعجيب صنعته لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه من جسم اذا
عرفت ذلك فاعلم ان كلام علمائنا هاهنا يجري الى التوسعة والتعبير لهذه الآيات فانه اشار اولا الى
كونه من تراب بقوله ثم جمعه سبحانه من سهل الارض وحزنها وعذبها وسبخها ونحو ذلك ما روي
عن رسول الله صلعم انه قال ان الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء
بنو ادم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل
والحزن والخبيث والطيب اعلم ان جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين هو ابونا ادم ونقل عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام
انه قال قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم او اكثر قال بعض العلماء وهذا
لا ينافي حدوث العالم فانه كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان هو اول الناس واما
ان ذلك الانسان هو ابونا ادم فلا طريق الى اثباته الا من طريق السمع والله اعلم البحث الثالث
اجمع المسلمون على ان سجود الملائكة لادم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله كفر
ثم اختلفوا على ثلاثة اقوال احدها ان ذلك السجود كان لله وادم كان كالقبلة وكذلك يجب
ان يقال سجدوا الى ادم كما يحسن ان يقال اسجدوا للقبلة بدليل حسان بن ثابت
قوله في البيت ... صلى لقبلتكم واعرف الناس بالآيات والسنن فقوله صلى لقبلتكم
نص على المقصود الثاني ان السجود كان لادم تعظيما له وتحية كالسلام منهم عليه
وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيي المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب ان معاذا
لما قدم من اليمن سجد للنبي صلعم فقال له يا معاذ ما هذا قال رأيت اليهود يسجد
لعظمائها وعلمائها ورأيت النصارى يسجد لقسيسيها وبطارقتها فقلت ما هذا
قالوا تحية الانبياء فقال صلعم كذبوا على انبيائهم الثالث ان السجود في اصل اللغة
عبارة عن الانقياد والخضوع كما قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر اي ان تلك
الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والقول
الثاني هو مختار كلامه علوا لان السجود لله تعالى والخضوع لكرامته في باب التوفيق البحث الرابع
اختلفوا في الملائكة الذين امروا بالسجود لادم فقال بعضهم سجود ملائكة الشام له وقالوا

وقالوا انما هو دون بولكهم الملائكة الذين اهبطوا مع ابليس الى الارض قالوا وذلك ان الله تعالى
لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط منهم ملأ الى الارض يسمون بالجن واسمهم ابليس
واسكنهم اياها وكانوا اخف الملائكة عبادة فاعجب ابليس بنفسه وتداخله الكبر فاطلع
الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له ولجنده اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المامورين بالسجود لادم هم
كل الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاكد جمعهم باكمل وجوه التاكيد البحث الخامس
اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملائكة وقال جمهور المفسرين منهم ابن عباس
انه كان من ملائكة الارض الذين اهبطوا قبل ادم حجة الاولين قوله تعالى الا ابليس كان
من الجن والجن لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
وقول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واحتج من
قال باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القرآن الكريم والاستثناء يخرج
من الكلام ما لولاه لدخل فيه وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة واجابوا عن حجة الاولين
الا ابليس من الجن والجن لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقول
الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واحتج من قال انه منهم استثناء ابليس من الملائكة
في غير موضع من القرآن لان الملائكة يصدق عليهم اسم الجن لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الاستتار
ومنه سمي الجن لاستتاره في بطن امه ومنه المجنون لاستتار العقل منه والملائكة مستترون عن
الاعين فوجب جواز اطلاق لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي فانه اذا ثبت ان الملائكة اهبطوا الى
الارض قبل ادم هم المسمون بالجن وابليس من الجن ثبت ان ابليس من الملائكة وليس النزاع في انه من ملائكة
الارض او من ملائكة السماء بل في كونه من الملائكة مطلقا فاذن ليس بينهم خلاف في المعنى احتلفوا
في سبب عداوة ابليس لادم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما رأى ما اكرم الله به آدم من اسجاد الملائكة
له وتعليمه ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال آخرون ان السبب تباين اصليهما ولتنافر الاصل
اثر قوي في منافرة الفرعين قالوا وتباين اصليهما هو منشأ القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك
قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فكانه في خطابه يقول ان ادم جسماني كثيف وانا روحاني
لطيف والجسماني ادون حالا من الروحاني والادون كيف يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل
ادم من صلصال من حمإ مسنون في غاية الدناءة واصلي من اشرف العناصر واذا كان اصلي خيرا من اصله
وجب ان اكون خيرا منه واشرف والاشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون قالوا ولهذا ذكر قياسا منه
فاول من قاس ابليس فاجابه الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح بقوله اخرج منها مذموما مدحورا قال
بعض الفضلاء وتحقيق ان الذي قاله تعالى في علم الحكمة كان حجة ملحوظا احمعت الاشعرية
على ان الله تعالى هو خالق الكفر في الخلق من هذه القصة وحين احتجوا على ان الله تعالى انظر ابليس مع انه يعلم انه انما قصده الاغواء

بني ادم ولو اهلكه لاستراحوا وعدم الشر الحاصل منه ومن ذريته وهذا صريح في انه تعالى فعل الاغواء اجابت
المعتزلة عن الاول بان الله تعالى خلق ادم وذريته قادرين على دفع ابليس عن انفسهم فهم الذين اختاروا
الكفر والفساد اقصى ما في الباب انه تعالى لا يحترز عن القبيح حال عدم ابليس سهل منه حال وجوده الا ان على
هذا التقدير يصير وسوسته سببا لزيادة المشقة في اداء الطاعات فيزداد المكلف بتكليفه ثوابا
كما قال عليه السلام افضل الاعمال احمزها اي اشقها وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال المشاق والاوامر وانزال المتشابهات
صار سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى وهذا الوجه قريب من قوله عليه السلام [illegible] بالبلية
وعن الثاني ان المراد من قوله بما اغويتني اي بما خيبتني من رحمتك وقيل معناه بما اصابه عن امر الله تعالى لانه
لما امره بالسجود لادم عصى وغوى فكان البادي من الاصل في حصول الاغواء له فلذلك نسبه الى الله وجه
ايضا من جوز الخطاء على الانبياء عليهم السلام تمسك من هذه القصة بقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى واجاب
من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب حمل هذا اللفظ ونحوه على
ترك الاولى وهو في حقهم سيئة ومعصية وان كان في حق غيرهم حسنة كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
ومن اوجب عصمتهم من حين الرسالة فله ان يحمل هذه المعصية على ما قبل الرسالة. والمسئلة مستقصاة
في الكلام
قال القفال اصل التلقي في قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وفي قوله عليه السلام ولقاه
كلمة رحمة هو التعرض للقادم وضع في موضع الاستقبال للمسيء والجاني ثم وضع القبول والاخذ قال تعالى وانك
لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه وتقول تلقينا الحاج اي استقبلناهم وتلقيت هذه الكلمة من فلان
اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد منهما صاحبه واضيف
الاجتماع اليهما معا صلح ان يشتركا في الوصف بذلك وكل ما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان يقال تلقى ادم من
ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول ولقاه الله اياها اي ارسلها اليه وواجهه
بها ثم ذكر المفسرون في تلك الكلمات الاول روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان ادم عليه السلام قال يا رب الم
تخلقني بيدك بلا واسطة قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى
قال ان تبت واصلحت اتردني الى الجنة قال نعم وهو قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الثاني قال النخعي
اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقاها ادم من ربه قال علم الله تعالى ادم وحوا امر الحج والكلمات
التي تقال فيه فحجا فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما الثالث قال مجاهد وقتادة في احدى الروايتين
عنهما هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الرابع قال سعيد بن جبير انها
قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك عملت
سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب
علي انك انت التواب الرحيم الخامس قالت عائشة لما اراد الله ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ
ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي
فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا تباشر به قلبي ويقينا صادقا حتى

انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني
احد من ذريتك فيدعوني بمثل ما دعوتني به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين
عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها قال الامام الغزالي رحمه الله التوبة عبارة
عن معنى مركب من ثلثة امور مرتبة علم ثم حال ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونها حجابا
بينه وبين الله تعالى ومانعة من دخول الجنة فاذا علم ذلك يقينا غالبا على قلبه فان ذلك يوجب له تالما
نفسانيا بسبب فوات الجنة العظيم والمطلوب لكل عاقل فيسمى تالمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه
ومطلوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب اوجب له القصد الى امرين احدهما ترك الذنب الذي كان ملابسا
لها اولا والثاني العزم على ترك الذنب المفوت لمطلوبه في المستقبل الى اخر العمر فهذه حقيقتها وينشا
من ذلك تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر والعلم الاول هو الاصل في اظهار هذه الخيرات
فان القلب اذا ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة والحجب الحائلة بينه وبين محبوبه فلابد ان يثير نور
ذلك اليقين فيشتعل نيران الندم فيتالم به القلب ويحدث وينبعث من تلك النار طلب الانتهاض للتدارك
والعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي له معان مترتبة يطلق
اسم التوبة على مجموعها وربما اطلق اسم التوبة على الندم وحده وجعل العلم كالباعث والترك كالثمرة
والمتاخر ولهذا الاعتبار قال صلعم الندم توبة اذ الندم مستلزم للعلم الموجب وللعزم بعده واما
وجوبها ففي وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة لابواب الجنان معدة
لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس مستدعية لمواهب الدائمة من الملك القدوس
الثاني الاوامر الواردة بها في القرآن الكريم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا والوعد
صادق على فعلها عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار والوعيد
الحتم على تركها ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ونحوه مما يدل على وجوبها واما قبولها فوجهين
احدهما قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب
الثاني قال رسول الله صلعم الله افرح بتوبة العبد المذنب من الفرح وذكر الفرح منه دليل على القبول وقال صلعم
لو عملتم الخطايا الى السماء ثم ندمتم عليها لتاب الله عليكم [illegible]
المسئلة في هذه القصة الاول الوديعة والنصيحة والوصية التي اسندها الله سبحانه وتعالى من
الملائكة في قوله علم واستادى الله سبحانه الملائكة وبعثه لديهم اشارة الى قوله تعالى فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين وكان في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون او صاهم عصاه من اسناده
منهم باذكر عليه من قوله تعالى اسجدوا لادم الثاني قوله فاعتزه ابليس والاعتزاز طلب الغرة من ادم
والتسهامه بالوسوسة التي القاها اليه كما سنبين معنى الوسوسة ان شاء الله تعالى الثالث قوله دار
المقام ومصاحبة الخلان وموافقة الابرار المصاحبة للملائكة في مقعد صدق عند مليك مقتدر الرابع قوله
ما لم يتبين بسكناه الشاخص في افعاله اولا لما ان معيشة ادم كانت في الجنة على حال يعلمها يقينا وما كان يعلم

كيف محاسنه في الدنيا اذا انتقل اليها لا محالة مفارقة للجنة ثم ان ابليس كله نصح مقالة اني لكما لمن
الناصحين فقد كان عدوا لهما خاص فيه من البحر الدائم وسكن في نصح ابليس فكانه باع النفس بالسكن فتابعه
وهي استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استبعاد آدم السكن عن اليقين الثاني قوله لما اخبره الله في
عن عداوة ابليس له فتبعه فلذلك فلما وسوس اليه ابليس نصحه وكانه باع يقين عداوته بالشك في ذلك الثالث
قوله من نبي الله آدم عليه السلام ان ذلك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يغنيه وترك ما ينبغي له ان يفعله تمثل به امير
المؤمنين علي عليه السلام هنا ولم يرد ان آدم مثل من امر الله في الرابع قوله والعزيمة يعني قال ابن عباس في قوله
ولم نجد له عزما اي لم نجد له حفظا لما امره الله به وقال قتادة صبرا وقال الضحاك صريمة امر وحاصل هذه
الاقوال يعود الى انه لم يكن له قوة على حفظ اوامره فكانه باع العزم الذي كان ينبغي له والقوة التي كانت
ينبغي ان يحفظ بها عن متابعة ابليس بالضعف والوهن عن تحمل اوامر الله في الخامس قوله دار البلية يعني دار الدنيا
اذ كانت دار المحنة والابتلاء بمقاساة ابليس ومجاهدة وسجن الصالحين كما قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر واعلم ان في هذه القصة تحذيرا عظيما عن المعاصي وذلك من وجوه احدها ان من اتفق وطلع
على آدم بسبب اقدامه على هذه الزلة كان على وجل شديد من المعاصي قال الشاعر

يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله اخرج آدم منها الى الدنيا بذنب واحد

وعن شيخ الموصلي انه قال كنا قوما من
اهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها الثالث
التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص عن قتادة في قوله ابى واستكبر قال حسد عدو الله ابليس
آدم على ما اعطاه الله من الكرامة فقال انا ناري وهذا طيني ثم القى الحرص والحسد في قلب
ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهي عنه الرابع التنبيه على شدة العداوة الشديدة بين ذرية آدم وابليس
وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر وبالله التوفيق

واعلم ان من الناس من سلط الله وبال على هذه القصة وقيل بيان تاويلها ذكروا مقدمات
في الاشارة الى اجزاء التركيب الخارجي للانسان قالوا ان العناصر الاربعة اجسام بسيطة وهي اجزاء
اولية لبدن الانسان فمنها اثنان خفيفان وهما النار والهواء واثنان ثقيلان وهما الارض والماء
قالوا والموضع الطبيعي للارض هو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها في الكائنات
ليفيد الاستمساك والثبات وحفظ الشكل والهيئة والموضع الطبيعي للماء ان يكون شاملا
للارض وثقله اضافي وطبعه بارد رطب ووجوده في الكائنات ليسهل هيئات التي يراد
تمكينها من التشكيل والتخطيط والتعديل فان الرطب كما انه سهل الترك للهيئات الشكلية
فانه سهل القبول لها كما ان اليابس عسر القبول للهيئات الشكلية عسير الترك لها واذا امتزج
اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التمديد والتشكيل سهولة واستفاد الرطب من
اليابس حفظا لما حدث فيه من التعديل بقوة فاجتمع اليابس بالرطب عن تسييبه واستمسك

واستمسك الرطب باليابس عن سيلانه والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته
اضافية وطبعه حار رطب ووجوده في الكائنات ليتخلخل ويلطف ويستقل والموضع الطبيعي
للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها الطبيعي هو مقعر فلك القمر وخفتها مطلقة
وطبعها حار يابس ووجودها في الكائنات ليطبخ المركبات ويحرك منها الجوهر الهوائي ويكسر من
برد العنصرين الثقيلين ويردهما عن العنصرية الى المزاجية والثقيلان انفع في تكوين الاعضاء وفي
سكونها والخفيفان انفع في تكوين الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء وفي سكونها والخفيفان انفع
في تكوين الارواح وتحريكها ثم قالوا والمزاج كيفية تحدث من تفاعل الكيفيات المتضادة في
هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في بعض فانكسرت سورة كل واحد منها بالاخر حتى حدثت
منها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى الاولية في تلك الاركان اربع الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة وهي التي تكون عنها المزاجات الكائنة الفاسدة ثم ان واجب الوجود اعطى
كل حيوان وكل عضو من المزاج ما هو الاليق به والاصلح لافعاله واحواله بحسب احتمال الامكان له واعطى
الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبة لقواه التي بها يفعل وينفعل واعطى
كل عضو ما يليق به من افعاله فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد وبعضها ارطب وبعضها
ايبس واما الاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء اولا وهي منحصرة
في اربعة اجناس احدها الدم وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء ثم قسموا
الاعضاء الى العظام وغضاريف واعصاب واوتار وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم
وخلق صلبا لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم الغضروف وهو الين من العظم وفائدته
ان يحسن به اتصال العظام بالاعضاء اللينة فلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغط والضربة
بل يتوسط بينهما ما يناسب كليهما ولتحسن به مجاورة المفاصل المتحاكة فلا يتراض لصلابتها ثم العصب
وهي اجسام تنبت من الدماغ والنخاع بيض لدنة في الانعطاف صلبة في الانفصال وفائدتها
ان يتم بها للاعضاء الاحساس والحركة ثم الاوتار وهي اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب
تلاقي الاعضاء المتحركة فتجذبها تارة ويبسطها اخرى بحسب انبساط العضلة وانقباضها ثم
الرباطات وهي ايضا اجسام شبيهة بالعصب في الخلقة بعضها ظاهر وهو ارتباط بعض الاعضاء
الى بعض واستمساكها وليس لشيء منها حس لئلا يتاذى بكثرة ما يلزمه من الحركة والكل ثم الشريانات
وهي اجسام نابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية رباطية الجوهر لها حركات منبسطة
ومنقبضة خلقت لترويح القلب ونفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن
ثم الاغشية وهي اجسام منتسجة من ليف عصباني غير محسوس رقيقة منتعرضة تغشي سطوح
اجسام اخرى ولها فوائد منها ان تحفظ جملتها على شكلها وهيئتها ومنها ان تعلقها على اعضاء
اخرى وتربطها بها بواسطة العصب ومنها ان تكون للاعضاء العديمة الحس حس في جواهرها سطح

حساس بالذات لما يلاقيه وبالعرض لما يحدث في الجسم الملتصق فيه كالرئة والطحال والكبد والكليتين فانها
لا تحس بجواهرها وانما تحس الامور الصادمة لها الاغشية التي عليها بالذات وتحس ايضا بالعرض الحادث
فيها مثل الوجع للتمدد والذي يحدث منها في اللحم وهو حشو خلل مواضع الاعضاء وفي البدن مشتملا على ثلثة
ضروب من الاعضاء احدها آلات الغذاء وهي المعدة والكبد وحدها او لها كالعروق في الطرق اليها كالفم
والمرئ وعنها كالامعاء والثاني آلات الحرارة الغريزية وحفظها وهي القلب والشرايين والرئة والصدر
وسائر آلات التنفس والثالث آلات الحس والحركة والافعال العقلية وهي الدماغ والنخاع والعصب
والعضل والاوتار ونحوها فاحتاج البدن في المعونة على تمام الاوتار ونحوها فاحتاج في المعونة على تمام
فعل العقل ثم لما كانت من ضرورة البدن ان تتم فيه افعال مختلفة وجب في الحكمة ان تكون هناك استعداد
لقوى متعددة هي مبادي تلك الافعال احدها النفس الطبيعية وتحتها قوى منها مخدومة ومنها خادمة
اما المخدومة فجنسان احدهما ما تتصرف في الغذاء وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالغاذية وفائدتها
ان تغذو الشخص مدة بقائه باحالة الغذاء الى مشابهة المغتذي ليخلف بدل ما يتحلل والثاني القوة المسماة
بالنامية وغايتها ان يزيد في اقطار البدن على التناسب الطبيعي الى تمام النشوء والجنس الثاني تتصرف
في الغذاء لبقاء النوع وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالمولدة وهي المتصرفة في امر التناسل لتفصل
من امشاج البدن جوهر المني والثاني القوة المسماة بالمصورة وهي التي تفيد المني بعد استحالته في
الرحم الصور والقوى والاعراض الحاصلة للنوع الذي انفصل عنه المني واما الخادمة الصرفة في القوى
الطبيعية فهي خادم القوى الغاذية وهي اربع احدها الجاذبة وخلقت لجذب النافع الى محلها وهي
موجودة في المعدة والمرئ والكبد والرحم وسائر الاعضاء والثاني الماسكة وخلقت لتمسك النافع
ريثما تتصرف فيه القوى المغيرة والمحيلة والثالث الهاضمة وهي التي تحيل ما امسكته الماسكة الى قوام صالح
لفعل القوة المغيرة فيه والى مزاج صالح للاستحالة الى الغذائية والفعل الرابع الدافعة وهي التي تدفع
الفاضل من الغذاء الذي لا يصلح للاغتذاء او يفضل على الكافي او يستغنى عنه بعد الفراغ من استعماله كالفضول
وهذه الاربع ولهذه الاربع ايضا خادم اربع اعني الكيفيات الاربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة على تفصيل يعلم في مظانه والثاني النفس الحيوانية ويختص بها قوتان محركة ومدركة والمحركة
اما باعثة او فاعلة والباعثة هي القوة التي وعنه المدرك بحصول مدركات كالوهم والخيال والنفس فيحمل الادراك
لها على البعث الى طلب ما هو بحسب المستلذ ولها شعبتان شهوانية وهي الباعثة على التحريك الى جانب
الاشياء ضرورية او نافعة نفعا ما طلبا للذة وغضبية وهي الحاملة على دفع ما يتوهم ما لا يلائم طلبا
للغلبة ويخدمها القوة المسماة بالقدرة وهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضل من شانها
ان تشنج العضلات لجذب الاوتار والرباطات وارخائها والقوى المدركة قسمان ظاهرة وباطنة
اما الظاهرة فالحواس الخمس احدها اللمس وهو قوة منبثة في جلد البدن كله يدرك ما يماسه ويؤثر فيه بالمضادة
كالكيفيات الاربع وغيرها وثانيها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على سطح اللسان بها يدرك
الطعوم

من الاجرام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ
الشبيهتين بحلمتي الثدي بها يدرك الروائح بتوسط الهواء المنفعل عن ذي الرائحة ورابعها السمع
وهي قوة في العصب المفروش في باطن الصماخ وهي يدرك الاصوات والحروف بواسطة الهواء وخامسها
البصر وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين يدرك ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من الصور بتوسط
جرم شفاف واما الباطنة من القوى فهي ايضا خمس فهي اما مدركة فقط اما للصور الحسية وهي القوة
المسماة خيالا او هي خزانة الحس المشترك وهي في اخر التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها مثل
المحسوسات وتبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس واما مدركة للمعاني الجزئية الغير المحسوسة الموجودة في
المحسوسات كادراك الشاة معنى الذئب فيجب لها الهرب واما الحافظة وهي قوة مرتبة في التجويف
الاخير من الدماغ تحفظ الاحكام الجزئية المدركة للوهم وهي خزانة له واما مدركة متصرفة وهي القوة
المسماة متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها ومفكرة باعتبار استعمال العقل لها ومحلها مقدم البطن الاوسط
من الدماغ من شانها التركيب والتفصيل لبعض الصور ببعض او عن بعض وكذلك المعاني والمعاني بالصور
وهي المحاكية للمدركات في الحالات المناجية والحكمة الالهية اقتضت ان يكون متوسطة بين بعض الصور
الحسية والمعاني الروحانية متصرفة في خزانتها بالحكم والاستخراج للامثال المتنحنحة من الجانبين ثم ان لكل
واحد من هذه الالات روحا يختص به وهو جرم حار لطيف يتكون عن لطافة الاخلاط على النسبة المكملة الى المزاجية
والبدن وجميع اجزائه وقواه المذكورة الات لها وروحها انه جوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق
التدبير والمشار اليها بقوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبقوله علم الارواح
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وفي هذا الجوهر قوتان يختص بها نظرية وعملية
وقد سبقت الاشارة اليهما وتفصيله في الكتاب في تحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده
وكمالاته من العلوم والاخلاق مستقصى في محالها فتدبر والله الموفق **المقدمة السادسة** قد علمت
ان الملك عندهم اسم مشترك يقع على حقائق مختلفة فاما لفظ الجن فهو وان صدق في اصل اللغة على
كل الملائكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون الملائكة مستترين عن الاعين فانهم
يخصون في عرفهم هذا اللفظ بالارواح التي تختص بعالم العناصر فتارة يطلقون عليها انها ملائكة باعتبار
كونهم مرسلين من عند الله فاعلين لما امر الله جارين على نظام العقل وتارة يطلقون عليها انها جن
باعتبار الاجتنان ومنهم من يسمون باعتبار موافقة العقل والتصرف على وفق مصلحة العالم ونظامه
وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك فاما صدق اسم الجن على النفوس الناطقة الانسانية فقد
يعرف من جهة اخرى وهي كونها عالمة تدرك بنور العلم من حيث لا يرى فهي محتجبة محجوبة عن ابصار الجاهلين
ثم هي اما ان تكون عالمة او جاهلة وعلى التقديرين فاما ان تكون موافقة لظواهر الشريعة او مخالفة

انما متمسكة ابليس كذلك فهذه اقسام اربعة اولها النفوس العالمة العاملة المقتضية للخير وهذه الطائفة
هم الجن المسلمون والمؤمنون قالوا وهم الذين امر الله تعالى نبيه بالاخبار عنهم في قوله قل اوحي الي انه
استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به الى آخر الآية قالوا ومما يبين
ذلك ان الاسماء التي اخبر الجن عنها انهم التمسوها هي سماء الحكمة وهي الشريعة التي يشرف فيها قالوا ولمسهم
لها عبارة عن اعتنائهم بامر الشريعة وجد طلوبهم لها حال تصحح لهم معها اظهار الحكمة وتمكنهم اخذها واعطاءها
بالتعلم والتعليم كما كان تفعل قبل ذلك ايام لا وقولهم فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة
الى حفظة الشريعة وهم علماء الشريعة والملوك الصالحون الذائدون لناموس الشريعة وقوانينها وقولهم
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرائع يتدارسون الحكمة ويتعلمونها
ولم يكن عليهم انكار وقولهم فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اشارة الى ان المظهر للحكمة بعد وجود
الشريعة التارك لظواهر ما جاءت به الانبياء يجد من جهة الذين حفظتها شهابا يحرقه ويؤدبه وثانيها
النفوس العالمة المخالفة للشريعة والنواميس الالهية التابعة لغيرها المقتضية طبائعها للشر وهم
الشياطين الجن ومردتها وثالثها النفوس الجاهلة الا انها متمسكة بظاهر الشريعة منقادة لها وهؤلاء
المسلمون من الانس ورابعها النفوس الجاهلة التاركة للشريعة والعمل بها التابعة لمقتضى الطبيعة وهؤلاء
هم شياطين الانس قالوا وبعد البيان لا يبقى من قول الله سبحانه الا ابليس كان من الجن ومن استثنائه
من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم كونه منهم فرق بل هو من الملائكة باعتبار ومن الجن باعتبار ومن الشياطين
باعتبار والشيطان قد يكون في اصله [illegible] ثم ينتقل الى الشيطانية باعتبار فهو قد عرف مرتبته وكذلك الجني
والله اعلم **المقدمة الثالثة** قالوا لما ثبت الى هنا لا يستحيل في اصله ان تكون متولدا اتم من بعد ذلك
اسئلة فقالوا ان العقرب يتولد من الباذروج وذباب الخيس والنحل من العجين المحترق المكرر غطاؤه
والفارة من المدر والطين ونحو ذلك ثم يبقى الدهر هذا المتولد ثم اشخاص اخرى يبقى نوعه متناكحا
فلا مانع اذن ان يكون الانسان في اول خلقه كذلك فيحدث شخص من نوعه ويتكون من التراب ثم
حل ما بعد من نوعه عنه التناسل اذا عرفت ذلك فان لفظ آدم اذا اطلق في عباراتهم فتارة يراد به معنى [illegible]
وتارة يراد به امر كلي اما الجزئي فيراد به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك يحملون قوله ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ويحملون انا خلقنا الانسان من نطفة وما في معناها على الذرية وقد يراد به
اول شخص استخلف في الارض من يبشر بالحكمة في ناموس الشريعة واما الكلي فتارة يراد بآدم مطلق
نوع الانسان وعلى ذلك قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي فهو يراد به صنف الانبياء والدعاة الى الله
كما نقل عن سيد المرسلين كل نبي هو آدم وقوله صلعم انا وانت يا علي ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قول الباقر
محمد بن علي عليه قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم واكثر على هذا المعنى اذا [illegible] انهما معا ان لكل آدم المعاني
المذكورة ملائكة تخصه وهي مأمورة بالسجود له وابليس مخالفته ومعارضته اما آدم بالمعنى الاول والثاني فملائكة

ملائكته المأمورون بالسجود له هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المأمورين باتباعه المستعين لعقله وسائر
القوى في اقطار هذا العالم فانها باسرها ملائكة مأمورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوائجه من يديه والعزلة
على مراده واما ابليس المعارض له [illegible] القوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله الجلي التابعة لا ردى
مراداته والنفوس المتمردة عن قبول الحق والاستماع لقوله الخارجة عن طاعته وهم شياطين الجن والانس
الذي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكذلك ملائكة آدم وابليسه لآدم الذي هو صنف الانسان وكل الملائكة
الذين ذكرنا انهم في هذا العالم هم المأمورون بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهمه المعارض
لعقله وجنوده ما يخصه من القوى الشهوية والغضبية وغيرها اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن
معولا [illegible] الى ان تحمل آدم فيما ذكر عليه هنا من هذه القصة على مطلق الانساني فقوله ثم جمع سبحانه
من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت
اشارة الى اصل امتزاج العناصر وانما خص هذين العنصرين وهما الارض والماء دون الباقين لانهما الاصل
في تكون الاعضاء المشاهدة التي يدور عليها صورة الانسان المحسوسة وقوله حتى خلصت وحتى
لزبت اشارة الى بلوغها كمال الاستعداد لغاية التي معها تفاض صورة ما يتكون منها وقوله فجبل
منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصورة الانسانية وافاضتها
بكمال اعضائها ومفاصلها وما تقوم به صورة وقوله منها الضمير راجع الى التربة ويفهم من ظاهر
اللفظ ان الصورة الانسانية هي الفائضة على كمال استعداد التربة بغير واسطة انتقالات اخرى واطوار
الخلقة وانما يتم ذلك اذا حملنا آدم على اول شخص تكون من هذا النوع فاما اذا حملناه على مطلق النوع
فان المراد انه جبل منها الصورة الانسانية بوسائط من صور تحدث في اطوار الخلقة كما قال تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جبلت من
النطفة المتولدة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية
تنتهي الى النباتية والنباتية يتولد من صفو الارض والماء وهي التربة المستعدة للانبات وما ذكر
فحاله الظاهر فان تلك التربة بعد ان توارد عليها اطوار الخلقة والادوار الفطرية صار [illegible] منها
نصدق عليها ان الصورة الانسانية جبلت منها وقوله اصلدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت
الضمير للشيء راجع الى الصورة وما يتعلق بها من الاعضاء في الاجاد لغاية الاستمساك راجع الى الاعضاء
كاللحم والاعصاب والعروق واشباهها والاصلاد لغاية [illegible] راجع الى الاعضاء كالعظام والاسنان والاشياء
وذلك الى الله سبحانه لانه العلة الاولى وان كان هناك ايضا لا بد من اسباب قريبة طبيعية كالحار
الغريزي فانه المستعد لتحليل المواد ويتبعه البرد لسكنه عند الكمالات من الحلو وكالرطوبة فانها هي
التي تعلق وتتشكل وتتبعها اليبوسة لحفظ الاشكال وافادة التماسك وقوله لوقت معدود
واجل معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب تركيب بدن الانسان وانتقاله في ادوار الخلقة
وقتا معدودا لا يتم فيه واجلا معلوما لا يتم به ويحتمل ان يراد بالوقت المعدود والاجل المعلوم الوقت

الذي يعلم الله سبحانه الخلال هو الذي كتب فيه كما قال لا وما نؤخره الا لاجل معدود وقوله ثم نفخ
فيه من روحه اول الضمير للموت راجع الى الصورة وقد علمت انه هو لاشارة جاء به في
القرآن الكريم قال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والمراد بالتسوية افاضة تمام
اعداد البدن وتهيئته لقبول النفس والمراد بالنفخ هنا هو افاضة النفس عليه
عند كمال ذلك الاستعداد واستعمال النفخ هنا استعارة حسنة فان النفخ له
صورة وهو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه ليشتعل فيه النار ولما كانت
حقيقة النفخ ممتنعة في حق الله سبحانه وتعالى وجب العدول الى الحمل لفظ على ما يشبهه
ولما كان اشتعال نور النفس في فتيلة البدن عن الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه
يشبه بحسب محاكاة حالنا الضعيف ما يشاهد من اشتعال النار في المحل القابل
لها عن صورة النفخ احسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عما افاضه الجود الالهي
للنفس على البدن لمكان المشابهة المخيلة وان كان الامر اجل مما عندنا واعلى واما نسبة
الروح الى الله فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلاثة معان الاول جبرئيل ع ومنه
روح الله الامين ونسبته اليه ظاهرة واما نسبة النفخ الى الله حسن لكونه العلة
العلة الاولى حيث ان جبرئيل ع وجود روح الامر ونسبته اليه ظاهرة واما نسبة النفخ الى الله
في كونه العلة الاولى وجبرئيل واسطة جعله الله في مبدأ هذا اللفظ لنفخ النفس في صورة
ادم منه الثاني جود الله ونعمته وفيضه الصادر على ادم وغيره وانما كان ذلك روحا
لانه مبدأ الحياة في الروح الكلية التي بها قوام كل موجود ونسبته اليه ظاهرة ويكون
من هنا للتبعيض الثالث ان يراد الروح النفس الانسانية ويكون من ابتدائية وانما نسبت
اليه دون سائر مصنوعاته اللطيفة لما علمت ان الروح منزه عن الجهة والمكان وفي قوته
العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها وهذه مضاهاة ومناسبة بوجه ما مع العلة لست حاصلة
لما عدا هذا الجوهر من جسم او جسماني فلذلك شرفها باضافتها اليه وقوله فقلت انسانا
اشارة الى الصورة المجبولة وفيه لطيفة وهي انها انما كانت انسانا بنفخ الروح فيها ولم تك ترب
صيرورتها انسانا بالفعل بنفخ الروح فيها وقوله ذا اذهان يجيلها اشارة الى ما للانسان
من القوى الباطنة المذكورة والمتصرفة ومعنى احالتها تحريكها وتجنبها اسرع الصورة
الجزئية كالحس المشترك او المعاني الجزئية كالوهم وقوله وفكر يتصرف بها اشارة الى القوة
المفكرة في احاد نوع الانسان وتصرفها في نقش الحواس وتركيب بعض مودعاتها ببعض
وتحليلها وقوله وجوارح يختدمها اشارة الى عامة الاعضاء التي جعلها الله خدما للنفس
والادوات التي تقلبها من تلك يشبه ان يختص بالايدي كقوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق
فيها ويمكن ان يكون اعم من ذلك كالبصر والقلب كقوله علي يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها

عليها اسم التقلب وقوله ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل اشارة الى استعداد النفس لادراك المعقولات
الثانية المسمى عقلا بالملكة بحسب ما لاحظه العادة من البديهيات فان الحق والباطل امور كلية
وليس للقوى البدنية في ادراك الامور الكلية حظ ويحتمل ان يشير بالمعرفة الى القوة الاستعدادية
الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا وقوله والاذواق والمشام والالوان والاجناس نبه بها هنا
على انه امور احدها ان للانسان آلة بها يدرك المذوقات واخرى بها يدرك المشمومات واخرى
بها يدرك الالوان وقد سلف ذلك الثاني فيه على ان النفس يدركه بالجرمانية بواسطة هذه القوى
ادعو هاهنا بستة ما يتصرف فيه النفس في قرب بينه وبين غيره الثالث انه اخر قوله والاجناس نبه بها
على ان النفس تنتزع الامور الكلية من شخص الجزئيات فان الاجناس امور كلية والنفس بعد ادراك
الجزئيات وتصفحها تنتبه لمشاركات بينها ومباينات وينتزع منها تصورات كلية وتصديقات
كلية وكانه عني بالاجناس هنا الامور الكلية مطلقا لا بعضها كما هو في الاصطلاح العلمي
وقوله معجونا بطينة الالوان المختلفة المنصب على الحال من قوله انسانا او صفة له والمراد
الاشارة الى ان اختلاف ابدان النوع بعضها مع بعض بالالوان بسبب قوة استعدادها
لذلك كما قال صلعم فجاء منها الاحمر والاسود والابيض كما سبق وطينة الالوان اصلها ومعجونه بها
ممتزجة بها ومخمرة واعداده لقبولها على اختلافها وكذلك الحال في البدن الواحد فانه ليس لجملة
اجزائه لون واحد فان امتزاج بعض الاعضاء يقتضي ان تكون ابيض كالعظام والاسنان
وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود كالحدقة والشعر وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات الخلقية
بما عن اختلاف الوارد في تمام الخبر من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب يعني الارض
لما كانت اكثر العناصر في هذه الابدان كان الاختلاف بانواعها اتم مما في تفاوت امتزاج
لقبول الاختلاف بالسهولة والحزونة والخبث والطيب وقوله والاشباه المؤتلفة والاضداد
المتعادية والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور اما الاشباه المؤتلفة
فكالعظام والاسنان وما اشبهها فانها اجسام متشابهة اسلف بعضها مع بعض وبها قامت الصورة
البدنية واختلجت بطينتها واما الاضداد المتعادية فكالكيفيات الاربع التي ذكرها عليه السلام وهي
الحرارة والبرودة والرطوبة التي هي البلة واليبس الذي هو الجمود وعبر عنه بالانه وهو الجمود على الجمود في
اللغة هو اليبس ايضا واما الاخلاط المتباينة فهي الاخلاط الاربعة كما عرفت الدم والبلغم والصفراء
والسوداء واما المساءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية وماهية كل منهما ظاهرة اما
اسبابهما فاعلم ان للسرور اسبابا معدة ويكون حالة لزيادة الروح النفساني على كمال اعتداله
في الكمية لان زيادة الجوهر في الكم توجب زيادة القوة وفي الكيفية وهو ان يكون معتدلا في اللطافة والغلظ
وان يكون شديد الصفاء واما السبب الفاعلي له فالاصل منه تخيل الكمال كالعلم والقدرة والاحساس بالمحسوسات
الملائمة والتمكن من تحصيل المرادات والقهر والاستيلاء على الغير والخروج عن المولم وتذكر الملذات

واما اسباب الغم فمقابلات هذه اما السبب الغير الجسماني فمثل الغفلة والروح كالناقصين والمنهوكين والامراض
والمسايح اما غلظة كالنسوداوية واما رقة كالنساء واما الفاعلي فمقابل اسباب الفرح ومنه مستعد
للحزن بعد الاسباب المذكورة فكر وبغض الفرح والغم ملكة ويسمى صاحبه مزاجا محزانا
ومقصوده علمه التنبيه على ان قوة وقبول واستعداد لملكة الكيفيات وامثالها وتلك القوة هي
المراد بطينة المساواة الروح والفرق بين هاوس الاستعداد ان القوة تكون على الضدين و الاستعداد
لا يكون الا لاحدهما او لذلك واشار الى سبحانه الملائكة بعد بعيدة لديهم وعهد وصية اليهم القوله
الا ابليس ابى لما كان الذي يشير اليه الانسان بقوله انا هو النفس الناطقة كان ادم عنوانهم
عبارة عن النفس الناطقة ثم قالوا ان المراد بالملائكة الذين امروا بالسجود لادم هي القوة البدنية التي امرت
بالخضوع والخشوع لكرامة النفس العاقلة والانقياد تحت حكمها وهو الامر الذي لاجله خلقوا اما عهده اليه
لديهم ووصيته اليهم فهو المشار اليه بقوله واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والخطاب ههنا هو خطاب الحكمة الالهية بالقضاء الازلي
قبل الوجود والاستعداد لو ثكرا للعهد وتلك الوصية هو طلب المامور به او لامن الانقياد والخضوع
من تلك القوى بعد الوجود وعلى السنة الرسل عليهم الوحي المنزل وهو قوله اسجدوا لادم وقوله
سجدوا اشارة الى القوى المطيعة لنفوسها العاقلة واشخاص عباد الله الصالحين وقوله الا ابليس
وقبيله اشارة الى الوهم وسائر القوى التابعة له في معارضة العقل واشخاص الكفار والفاسقين
عن اوامر الله سبحانه وقد عرفت ان الوهم هو رئيس القوى البدنية فهو اذن عند معارضة العقل
ومتابعته الجنود ابليس وقبيله واما قوله اعترته الحمية وغلبت عليه الشقوة وتعززوا
بخلق النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون ابليس وقبيله خلقوا من نار ان
الارواح الحاملة لهذه القوى كما عرفت اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط وحرارة حرارة
مائلة الى الافراط والنارية والعواسه عليها اغلب وتولدها عندنا اسفل ومجاري اجزاء البدن وكذلك القلب
الذي هو منبعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسب ابليس الى النار معالى سبحانه
عنه خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم اي قدرنا قبل وجودهم ان يكون النارية
والهوائية على وجوده اغلب وقال بعضهم انه لما كانت النار الطف العناصر كانت هذه القوى وارواحها
الطف الاجرام الجسمانية وبكونها تناسب الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار اولى من سائر العناصر فكان
المناسبة لطافة جاز ان يطلق على اصله انه نار لا يقال اذا كان آدم هو النفس الناطقة فما معنى كون
ابليس خلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار لمعنى ان الغالب على الروح الحامل له هو عنصر
النار كذلك يصدق ان ادم من طين لمعنى ان الغالب على بدنه الارضية وايضا فان الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية
المتعلقة بالمحسوسات فلا يصدق حكمه وساعده الا فيما كان محسوسا ولما سلب السجود محجوج لم يكن
اعتقاد ابليس الا ان الانسان شيء غير هذا البدن المكون من الطين اذا اسجد لك يعقوبه اعتدى الحمية التعزر

الانسان

الانتساب الى عنصر النار ونسبة مجازية اذ العادة جارية بان يأنف الانسان من الاصل الناقص وان يفتخر
ويعتز بالاصل الشريف والانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى المتابعة له تقول
على جهة الاستكبار والاستكبار اسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون وانا المخلوق من
النار التي هي اشرف العناصر قالوا ولما علم الله ذلك من حال ابليس لعنه الله وطرده واخرجه من
الجنة وذلك قوله اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قالوا وذلك انك علمت ان
الجنة لعود الى معارف الحق سبحانه والابتهاج بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة هي المراتب التي يصعد
العقل فيها من مقامات السلوك الى حضرة القدس ومجاورة الملأ الاعلى وعلمت ان هذا الوهم قاصر عن
الاستكمال بتلك المراتب فطرده ولعنه وتحريم الجنة عليه يعود الى كونه على طبيعة التي هو عليها القاصرة
عن ادراك العلوم الكلية التي هي ثمار الجنة وقطوفها والقضاء عليه بذلك قالوا وقد نبه على ذلك قوله
قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اي خلقتني على هيئة
لا اهتدي لدخول الجنة ولا املك منها الا حرص المشتهيات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يصيروا الى
الجنة التي لاجلها خلقتهم ولا تنفقوا السنا الا من عصمته مني وجعلت له سلطانا على
قهري وغلبني وهم عبادك المخلصون اي الكاملة المطهرة عن متابعة قواها المتسلطة على جهر
شياطينها وكذلك قوله فانظرني الى يوم يبعثون فانه لما كان البعث الاول هو مفارقة النفوس
لابدانها وانبعاثها الى عالمها وكان من طبيعة الوهم فايضة لمحبة البقاء في دار الدنيا اذ لاحظ له في
غيرها حسن من لسان حاله ان تطلب ان ينظر الى يوم يبعثون فقوله فاعطاه النظرة لما كان الوهم
باقيا في البدن في البدن هو وجنوده الى يوم البعث حسن لسان الحكمة الالهية ان تطلب انك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم وذلك معنى اعطائه النظرة وقوله استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية
وانجازا للعدة فقد عرفت ان البلية تفسير المتغول له ثم الى افساد الوهم وابتلاء الخلق به والشر
الصادر عنه امور داخلة في القضاء الالهي بالعرض مصدق عليه انه مراد وان الانظار والامهال له وكذلك
استحقاق السخطة وانجاز العدة واطلاق لفظ السخطة استعارة فان السخط لما كان عبارة عن
حالة الانسان تستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضي بافعاله وكان حال ابليس كذلك انظار الله اياه يستحقه
عن ارادته مستلزما لاعراض الله سبحانه عنه وعن عصاه لمتابعته كان هناك نوع مشابهة فحسن لاجلها
اطلاق لفظ السخطة واما العدة فيعود الى القضاء الحكمة الالهية ببقاء الوهم الى يوم البعث والجاز فيها
يعود الى موافقة القدر لذلك القضاء وقال بعضهم انه لما كان هنا صورة مطرود ومبعد وملعون حسن اطلاق
السخط واستحقاقها وانه انما انظر لاجلها وهو ترشيح للاستعارة وقوله ثم اسكن الله سبحانه آدم دارا
ارغد فيها عيشته وامن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته اقول المراد الدار التي اسكن فيها ادم
هي الجنة ولا اشارة هنا الى ان الانسان من اول زمان افاضة القوة العاقلة عليه الى حين اسرجاعها

ما دام مراعيا لاوامر الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الاصلية ولا معرض عن عبادته ولا ملتفت الى غيره فانه في الجنة وان كان الجنة عامرا بث كما قال لهم غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار ولذلك قال صلعم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه اذا كانت نفسه قبل الجواذب الخارجية عن القبلة الحقيقية غير مدنسة بشيء من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الردية وان كانت الرتبة السامية والغرفة العالية انما تعال بعد المجاهدة واستصحاب النفس لا كمل زادها فاذا رغاد العبس فيعود الى ابتهاجه بالمعقولات والمعارف الكلية فامان الحله اسان مكانه في الجنة ان يعرض له خوف او حزن ما دام فيها واما تحذيره من ابليس وعداوته وظاهر من الاوامر الشرعية ولسان الوحي ناطق بما قال ان هذا عدو لك ولزوجك ووجه العداوة ظاهرة فانا قلنا ان النفس لما كانت من عالم المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما يامر به النفس من الامور الكلية التي لاحظ له في ادراكها وذلك من مقتضيات العداوة ولان امر النفس ومصلحتها لا تتم الا بقهر الوهم والقوى البدنية عن مقتضيات طبعها وتمام مطالب القوى لا يحصل الا بانتفاء النفس فكانت مجادبة طبيعية وعداوة اصلية اذ لا معنى للمعاداة الا المجانبة لما تستحق ذلك فحذرها ولما فاغتنه ابليس نفاسة عليه بذا المقام ومرافقة الابرار قوله تعالى ان الله ما حذره ابليس وعداوته كان نهاه عن كل شجرة تعالى ولا تقربا هذه الشجرة واعلمه ان الاكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا لسخط الله عليه وذلك قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وهي عائدة الى المشتهيات الدنيوية واللذات البدنية الخارجة عن المحدودات في اوامر الله وما هو العبد فيها الطرف الافراط عن وسط القانون العدلي واما كونها شجرة البر فقالوا ان البر لما كان من قوام الابدان وعليه الاعتماد في انواع المطعومات والملاذ البدنية حسن ان يعبر عنها فيقال هي شجرة البر كناية عن الفروع بالاصل فاما اغترار ابليس له فاعلم ان جميع الغي ودهي سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهه وخديعة من ابليس فاغترارها بعد الاستغفال النفس بالوسوسة التي حكى الله عنها بقوله فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى والتحقيق في جميع الوسوسة ان الفعل انما يصدر عن الانسان بوسائط امور مترتبة ترتيبا طبيعيا اولها تصور وكون الفعل ملائما وهي المسمى بالداعي ثم ان ذلك الشعور يترتب عليه ميل النفس الى الفعل المشتهى ذلك الميل ارادة ثم يترتب على ذلك الميل حركة القوة التي هي المحركة للقوة المسماة قدرة المحركة فيحصل الى الفعل اذا عرفت ذلك فتصور صدور الفعل عن مجموع القدرة والارادة امر واجب فليس للشيطان فيه مدخل ووجود

نا الانتساب الى عنصر النار تشبه مجازية اذ العادة جارية بان يانف الانسان من الاصل الناقص وان ينتحي وينعزى بالاصل الشريف ولا تشاب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى المتابعة له يقول على جهة الاستكبار والاستكبار اسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون وانا مخلوق من النار التي هي اشرف العناصر قالوا ولما علم الله تعالى ذلك من حال ابليس لعنه وطرده واخرجه من الجنة وذلك قوله اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قالوا وذلك انك علمت ان الجنة تعود الى معارف الحق سبحانه والابتهاج لمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة هي المراتب التي تنتقل العقل فيها في مقامات السلوك الى حظائر القدس ومجاورة الملاء الاعلى فعلمت ان هذا الوهم ناقص عن الانتقال في تلك الرتب فطرده ولعنه وتحريم الجنة عليه يعود على كون نفسه على طبيعة النقص على القاصرة عن ادراك العلوم الكلية التي هي ثمار الجنة وقطوفها والقضاء عليه بذلك قالوا وما نقمه على ذلك قوله قال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الى بما خلقتني عليه من الجبلة لاهلكك ووجود المثل عن نقص ذلك نه ناقصا وجزاء لادم فلا مدخل للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا القاء ما يتوهم كونه نافعا او لذيذا الى النفس ما يخالف امر الله سبحانه فذلك الالقاء الحقيقة هو الوسوسة ويشير الى ما حكى الله سبحانه عنه بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم اذا عرفت ذلك فاعلم ان متابعة ابليس يعود الى انقياد النفس لجذب الوهم والقوى البدنية التي هي الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية وهي عبادة الحق سبحانه ومنعها لما تبين فحرم الله عليها فاما ما قالوا ان ابليس لم يكن له يمكن من دخول الجنة وانه توسل بالحية ودخل في فمها الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لادم واغتراره فقالوا ان المراد بالحية هو القوة المتخيلة والمراد بالحية انما تمكن من التصرف وبعث القوة المحركة مما بالشهوة والغضب التي هو جوده وشيطنته على طلب الملاذ البدنية والشهوات الحسية الدنية فجذب النفس اليها متصورين كونها لذيذة ونافعة بواسطة القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية ان الحية لما كانت لطيفة سريعة الحركة تمكن الدخول في المنافذ الضيقة وتقدر على التصرف في الكثير ومع ذلك سبب من اسباب الهلاك بما يحمله من السم وكانت المتخيلة مع سرعة حركتها وقدرتها على التصرف الشديد والادراك اللطف من سائر القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم وكانت بما استملت عليه من تحمل كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا في الهلاك السرمدي والعذاب المؤبد لاجرم كان اشبه ما يشبه به الحية لما بينهما من المناسبة فحسن لفظ اطلاق الحية عليها وقوله فقاسمه عليه في الاستعارة لانه لما كان جذب الوهم للنفس الى الخفة السافلة ما يعدها من الكرامة بدار المقامة وتمنيه لها على درجة مرافقة الملا

الا على وكان ذلك اعظم ما يتنفس كما قال ٢ فتذكر تلك بلينا في المتنا فتسرت وعرضت لكم الحروب
عن صورة معداه كما سبق وكان من لوازم المعاداة النفاسة على العدو ولكل العدو لا الاحرم
حسن اطلاق النفاسة هنا تشبيها لاستعادة العداوة والنصب على المعهود له وقوله فنازع التيقن
بشكه والعزيمة بوهنه اى لما حصلت الوسوسة ولا عتراد لادم فانقاد لما قد وسوسه من
ان شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى هو ملحق والبقاء في جنته ودوام مطالعته كرامته بالتشكك فيه بواسطة
وسوسة ابليس وذلك ان الامور الموعودة من متاع الاخرة ومما اعده الله الصالحين امور
هيئت حقايقها على اكثر البصائر البشرية وانما الغاية في تشويقهم اليها ان تمثل لهم بما هو
مشاهد لهم من اللذات البدنية الحاضرة فيرى كثيرا منهم لا يخطر بباله ان يكون في الجنة امر زايد
على هذه اللذات فمن يجتهد في تحصيلها اذ لا ينقص دون دارها كثير منها ثم ان صدقت بها على سبيل
الجملة فقويناها للوعد الكريم فانه لا يتحقق ذلك لكثير تفاوت بين الموعود به والحاضر بحسب ذلك التفاوت
يميل به الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى به الغلب عليه وان
تيقن باصل عقله ان لا اولى به ولا انفع له ولا ابقى من متاع الاخرة فتارة ينظر على ذلك اليقين غفلة
عنه ونسيان له بسبب الاستعمال باللذات الحاضرة والانهماك فيها وذلك معنى قوله فنسى وتارة
لا يحصل الغفلة بالكلية بل يكون للوهم المذكور قوتا معارض ذلك اليقين بحيث لا يوجد متابلته
شبهة وذلك معنى قوله على فنازع اليقين بشكه ولا منافاة بين قوله فنسى وبين الشك هنا وقوله
والعزيمة بوهنه اى تعوض عن العزم والتصميم الذي كان ينبغي له في طاعة الحق سبحانه بالضعف
والتقاعد عن محله كما قال ٢ ولم نجد له عزما واطلاق لفظ البيع هنا استعارة تحسنه اذ كان مدار
البيع على استعاضة شيء بشيء وسيما كان المستعاض اجل وانفس ومثله قوله ٢ اولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وقوله فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار
ندما الى قوله وتناسل الذرية فيه تقديم وتاخير وتقدير الكلام وتقديره فاهبطه الله الى دار البلية
وتناسل الذرية فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ثم بسط الله في توبته ولقاه كلمة
رحمته ووعده المرد الى جنته وذلك ان الاهباط عقيب الزلة واستبدال الجذل بالوجل بعد الاهباط
من الجنة والاخراج منها وقد ورد القرآن الكريم بهذا النظم في سورة البقرة وهو قوله فازلهما الشيطان
عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وورد ايضا
على النظم الذي ذكره عليه السلام في سورة طه وذلك قوله ٢ وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال
اهبطوا فقدم الاجتباء والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن قالوا ومعنى الاهباط هو ازالة عن كرامته
واستحقاق افاضة نعيم الجنة وذلك ان النفس الناطقة اذا اعرضت عن جناب الحق سبحانه والتفتت
الى متابعة الشيطان واشياع الجن وموافقة ابليس بعدت عن رحمة الله واشتغلت لوجهها عن قبول الانوار

العلية وانما دار البلية وتناسل الذرية فاشارة الى الدنيا فان الانسان اذا التفتت محبته
اليها واقبل بكليته عليها هبط من اعلى عليين الى اسفل السافلين ثم لم يدرك محبتها سلاء اذ بلا
اذ لا يعد من كل الحطة ووقت فوق مطلوب ونقد محبوب يطلب ما لا يدرك وبحور ما لا يطلب
وكفى بانقطاعه عن الله ٢ بالتفاته اليها بلاء واعظم به شقاء اذ كان سبب بعده عن رحمته
والطرد عن ابواب جنته فان قلت لم ذكر تناسل الذرية في معرض الاهانة لادم مع انه من الحقيقة
من الامور الخيرية المندرجة في سلك العناية الالهية فان به بقاء النوع ودوام الافاضة قلت
انه وان كان كذلك الا انه لا نسبة له في الحقيقة الى الخير الذي كان ادم فيه في الجنة فان تناسل
الذرية خير اضافي عرضي بالنسبة الى الكمال الذي يحصل لابناء النوع ودرجته تمم النسبة
ان حصلت فنسبته احسن فان ابناءه واهباطه عن استحقاق تلك المراتب السامية والافاضة
العالية الى هذه المرتبة التي يشارك فيها البهائم وساير انواع الحشرات نقصان عظيم
وخسران مبين وقوله فاستبدل بالجذل وجلا وبالاغترار ندما ظاهر فان المقبل بوجهه على
عبادة الحق سبحانه المستغرق في ذكره اذا التفت الى المعرض عما سواه مبتهج مسرور فاذا اعرض
عما يوجب السرور والفرح والتفت الى الخسائس لامور بسبب شيطان قاده اليها وزينها
بعينه فانكشف عنه ستر الله وبدت سوءته للناظرين بعين العاقبة من عباد الله الصالحين
ثم اخذته صفعة العناية الالهية وتداركته الرحمة الربانية فانتبه من رقدة الغافلين
في مراقد الطبيعة وما في السلاسل والاغلال التي احاطت به وشاهدت الجحيم مسعرة عن
جنبي الصراط المستقيم وبذلك قوله ٢ فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا
يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى لا انه فلا بد
وان يصبح وجلا قلقا تقلب كفيه حسرة وندما وجلا مما لحقه من سخط الله سبحانه
نادما على ما فرط في جنب الله وقوله ثم بسط الله في توبته ولقاه كلمة رحمته فالمراد
الاشارة الى ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما النقصان من جهة القابل
وعدم استعداده واذا استعدت النفس لتدارك رحمة الله وجذبتها العناية الالهية
من ورطات الهلاك الابدي واعانتها بالمعونة على ابليس وجنوده وبصرتها بقبايح افعاله
وما يدعو اليه فاخذت في منافرته والتنصل لرفع مكايده فذلك هو معنى الابتداء بتوبتها واما
كلمة رحمة الله التي القاها ادم فيعود الى السوابق الالهية التي تسنح للعبد فيكون سببا
لجذبه عن حضيض الهلاك وتخليصه عن الجنة السافلة الى القبلة الحقيقية واما ردها بالملائكة
حال الفعال ورفعه في منازل الجلال فوجوده حال الجنة بعد مقصده ووعده بالمرد الى الجنة فاشار
الى وعد القضاء الالهي الناطق عنه لسان الوحي الكريم فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى بايها

الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم ويدخلكم جنات تجرى
من تحتها الانهار وكون ذلك سابق النزاع وعود التايبين فيه الى ما يتعلق به العصمة من التاويل
وبالله التوفيق والعصمة **الفصل الرابع قوله عليه السلم** واصطفى سبحانه
من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه
عهد الله اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم
عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر اليهم انبياءه ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم
منسى نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفاين العقول ويروهم ايات المقدرة
من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم واجال تفنيهم واوصاب
تهرمهم واحداث تتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل
او حجة لازمة او محجة قائمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة عددهم المكذبين
لهم من سابق سمى له من بعده او غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت
الدهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله محمدا صلعم لانجاز
عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده واهل
الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرايق متشتتة بين مشبه لله
بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه
من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلعم لقاءه ورضى له ما عنده واكرمه عن دار الدنيا
ورغب به عن مقام البلوى فقبضه اليه كريما صلى الله عليه وعلى اله وخلف فيكم ما خلفت
الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم فيكم مبينا
حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه
وعبره وامثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا مجمله ومبينا غوامضه
بين ماخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعلوم
في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه ومرخص في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزايل في مستقبله
ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه وبين مقبول في ادناه
موسع في اقصاه اقول ــــ الاصطفاء الاستخلاص والانداد الامثال واجتالتهم
اى ادارتهم واجتذبتهم وواتر اى ارسل وترا بعد وتر اى واحدا بعد واحد والفطرة الخلقة
والمهاد الفراش والاوصاب الامراض والاحداث المصايب وتخصيصها بذلك عرفي والحجة
ما يحاج به الانسان غيره اى يغلبه به والمحجة جادة الطريق والغابر الباقي والماضي
ايضا وهو من الاضداد والقرن الامة ونسلت اى درجت ومضت ماخوذ من نسل ريش الطاير

الطاير ونسل الوبر اذا وقع والعدة الوعد وانجازها قضاؤها والسمة العلامة والميلاد
الرجل محل ولادته من الزمان او المكان والملحد العادل عن الاستقامة على الحق في
اللغة الا انه والوحضة التساهل في الامر والحرمة الاثمة وهذه الالفاظ اللغوية مخصوصة
في العرف بامور اخرى كما تذكره وادرجت لوكزا اى حبانه وههنا ابحاث **البحث الاول**
الضمير في ولده راجع الى ادم عليه السلم ان كانت الاشارة بادم الى النوع الانساني فنسبة
الولادة اليه في العرف ظاهرة صادقة فان كل اشخاص النوع فهم ابناؤه وكذا النوع في اصطلاح اهل
التاويل وكذلك ان كان المراد به اول شخص وجد واعلم ان اصطفاء الله سبحانه الانبياء
يعود الى افاضة الكمال النبوي عليهم بحسب ما وهبت لهم العناية الالهية من القبول والاستعداد
واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم من حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة
على ما كلفوا به بهبط الوحي على الواح قواهم وجذب ساير النفوس الناقصة الى جناب
عزتهم بحسب ما افاضهم من القوة على ذلك والاستعداد وما منحهم من الكمال الذي تعدد ون
معه على تكميل الناقصين من ابناء نوعهم ولما كانت صورة العهد واخذ الامانة في العرف ان
يعهد الى الانسان بامر ويوكد عليه القيام به الايمان واسمها دخل سبحانه وكان الحكم
الالهي جاريا بارسال النفوس الانسانية الى هذا العالم وكان مراد العناية الالهية من ذلك
البعث ان يظهر ما في قوة كل نفس من كمال او يكميل الى الفعل وكان ذلك لا يتم الا بواسطة
بعضها للبعض كان الوجه الذي يعصب عليه مشبها للعهد والميثاق الماخوذ والامانة المودعة
بكل ما فيه وانه ما اعد له تحسن اطلاق هذه الالفاظ واستعارتها ههنا **قوله** لما بدل اكثر
خلق الله عهده اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته
واقتطعتهم عن عبادته الى اخره اشارة الى وجه الحكمة الالهية في وجود الانبياء عليهم السلم ولوازمه
وهو شرطية متصلة تقدم فيها التالي لتعلق ذكر الانبياء بذكر ادم والتقدير لما بدل اكثر خلق الله
عهده اليهم اصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم فبعثهم في الخلق وذلك
العهد هو المشار اليه بقوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الاية قال ابن عباس لما خلق
الله ادم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي
جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة واعلم ان احد الوجوه الدينية العود الى احاطة اللوح المحفوظ
بما يكون وجود الشيء لا ينافي ما سبق واشباهه ذلك عن قلم القضاء الالهي ولما كان الانسان
تمام العالمين في الوجود الخارجي فكذلك في التقرير القضاي المطابق له وبه يكون تمام التقدير
جفاف القلم واما استشهادهم على انفسهم بوجود الانطاق فكانهم بلسان الحاجة الى الوالد الاله
المطلق الذي لا الاغنى واما نسيانهم فلانه من الشيطنة فلانه لما كان الغالب على الخلق حب الدنيا

والاعراض عن مقتضى الفطرة الاصلية التي فطرهم عليها والالتفات الى القبلة الحسية التي
امروا بالتوجه اليها وذلك بحسب ما يبعثهم من القوى البدنية المتنازعة الا انها
لا جرم كان من شأن كونهم على هذا التركيب المخصوص ان يبدل اكثرهم عهد الله سبحانه اليهم من
الدوام على العبادة والاستقامة على صراط المستقيم وعدم الانقياد للشيطان كما قال سبحانه
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان الآية وان يجعلوا حقه للغفلة بحاضر
لذاتهم مما يستحقه من دوام الشكر وان يتخذوا الانداد معه لنسيانهم العهد القديم
وان يختلقهم الشياطين عن معرفته التي هي الذ ثمار الجنة وان تقطعهم عن عبادته
التي هي المرقاة الى اقتطاف تلك الثمرة ولما كان من شأنهم ذلك وجب بالحكمة الالهية ان
يختص صنفا منهم بكمال الشرف تصدر معه ابناء ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتضادة
وعلى تكميل الناقصين من جنسهم وهم صنف الانبياء عليهم السلم والغاية منهم كما اشار
عليه بقوله ليستأدوهم ميثاق فطرته اي ليبعثهم على اداء ما خلقوا لاجله وقرروا
عليه من الاقرار بالعبودية لله وتجريدهم عن التفتق اليه من اتباع الشهوات الباطلة
واقتناء اللذات الواهمة الزائلة وذلك البعث والحث تارة يكون بعد كرهم نعم الله
الحسية وتنبيههم على شكرها او لاهم من جنة العظمة وتارة يكون بالترغيب فيما اعده
سبحانه مما اعده لاوليائه الابرار وتارة بالترهيب مما اعده لاعدائه الظالمين
من عذاب النار وتارة بالتنفير عن خسائس هذه الدار وبيان وجوه الاستهانة
بها الاستحقاد والى ذلك اشار بقوله يذكرهم منسي نعمته ولا بد بالمجادلة والمخاطبة
من احتجاج مقنع وحجة فيحتجوا عليه بتبليغ ربهم وانذارهم لقاء يومهم الذي يوعدون
وتبيينوا لهم وجوه الادلة على وحدانية المبدع الاول وتفرده باستحقاق العبادة
وهو المراد بدفائن العقول وكنوزها واستعمال الدفائن ههنا استعارة لطيفة
فانه لما كانت جواهر العقول ونتائج الافكار موجودة في النفوس بالقوة اشبهت
الدفائن فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ولما كان الانبياء هم الاصل في استخراج تلك الجواهر
باعداد النفوس لاظهارها حسنت اضافة اثارتها اليهم وكذلك ليرشدوهم الى تحصيل
مقدمات تلك الادلة والبراهين من موادها وهي آيات القدرة الالهية واثارها من سقف
فوقهم محفوظ موضوع مشتمل على بدائع الصنع وعجائب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه يمشون
وعليه يسرحون ومعايش لما يكون قوام حياتهم الدنيا وبلاغا لمدة بقائهم لما خلقوا له
وآجال مقدرة بها يكون فناؤهم ورجوعهم الى بارئهم واعظم بالاجال آية رادعة وتقديرا
جاذبا الى الله تعالى ولذلك قال صلعم اكثروا ذكر هادم اللذات الى غير ذلك من الاعراض التي يضعف

قاهم وتوهمهم والمصائب التي تتتابع عليهم فان كل هذه الآيات مواد احتجاج الانبياء على
الخلق حتى يثبتوهم بصدور دهاء عن العزيز الجبار عز سلطانه على انه هو الملك المطلق
الذي له الخلق والامر ولتقرير ولو ادهانهم صورة ما نسوه من العهد الماخوذ عليهم في
الفطرة الاصلية من انه سبحانه هو الواحد الحق المنفرد باستحقاق العبادة والى ذلك
اشار القرآن الكريم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وقوله ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما
انزل الله الآية وقوله والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم
الماهدون الآية الى غير ذلك من الآيات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بالسنة
رسله وبراهينه وحججه ومجد بهم تنبيه الالطاف الى التقرب من ساحل عزته والوصول الى حضرة
قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار وقوله
ولم يخل الله سبحانه بالخلق حيث لم يخل امة منهم من نبي مرسل بحدثهم الحجات عزته كما قال وان
من امة الا خلا فيها نذير او كتاب منزل يدعوهم فيه الى عبادته ويذكرهم فيه نعمته ويتلو
عليهم فيه اخبار الماضين والعبر اللاحقة للاولين ويحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلائل القاطعة
ويوضح لهم فيه امور نظامهم ويبين عليهم امر معادهم ولا تفصال ههنا انفصال مانع من الخلق
كما هو مصرح به بقوله رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين قليلي العدد بالنسبة الى كثرة الخلق
وكان عدد المكذبين بهم كثيرا كما هو المعلوم من ان كل نبي بعث الى امة فلا بد فيهم فرقة ينابذه
ويعانده ويكذب بحقيقة رسالته فذلك لا يوليهم قصورا عن اداء ما حلفوا القيام به من حمل الخلق على ما
يكرهون خلاف مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم بل يقوم احدهم وحده ويدعو الى الطاعة بادلته ويحمل
اعباء المشقة التامة ويجاهد اعداء الدين وينشر دعوته في اطراف الارض بحسب العناية الالهية والحكم
البينة وتبقى آثارها محفوظة وسننها قائمة الى ان تقتضي الحكمة وجه نسخ منهم تتمم ذلك
المقام رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فمن له من سابق سمي
له من بعده يفصل الانبياء ومن ههنا للتمييز والتبيين والمراد ان السابقين منهم قد اطلعه الله
على العلم بوجود اللاحق له بعده فبعضهم كالمقدمة لتصديق البعض كعيسى عليه حيث قال ومبشرا
برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ومن لاحق سماه من قبله كمحمد صلعم وعلى ذلك اي على هذه الوتيرة والاسلوب
والنظام الى مضت الامم وسلفت الآباء وخلفتهم الابناء قوله الى ان بعث الله سبحانه محمدا صلعم
الى قوله من حمالة واعلم انه عليه ساق هذه الخطبة من لدن آدم الى ان انتهى الى محمد صلعم كما هو الترتيب
الطبيعي اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم السر كما نطق به القرآن الكريم ما كان محمد ابا احد من رجالكم

ولكن رسول الله وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذكره التنبيه على كيفية اهتداء الخلق به واصطلاح امورهم فى معاشهم
ومعادهم بوجوده كل ذلك استعداد لاذهان السامعين وتمهيدا لما يريد ان يقرره عليهم من مصالح دينية
او دنيوية فاشارة الى انه الغاية من طينة النبوة وتمام لما بعث له الى ان بعث الله محمدا صلعم لا يجاوز عنه
لخلقه على السنة رسله السابقين لوجوده وان تمام نبوته صلعم فى اخذ الله على النبيين ميثاقه النقيب
هنا على الحال من بعث ودوام الحال محمدا وكونه الحال فى المنصوص بين السابقين فى المراد باخذ ميثاقه عليهم
مادكن وفقه وفطنتهم من الاعتراف بحقيقة نبوته علم وتصديقه فيما سيجيء به اذ كان ذلك من تمام عبادة
الحق سبحانه فبعث عليه حال ما كان ذكر الميثاق فى اخذ الله الانبياء ومن عداهم وحال ما كانت كادات
ظهوره والبشارة المتعينة مشهورة بينهم مع ذكاء اصله وكرم مادة حله وشرف وقت مبعثه ثم اراد علم
بعد ذلك ان يريد بعثه محمد صلعم تعظيما وتبيين شرعه وكيفية انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ
ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة قالوا وفى قوله واهل الارض بحال بقيا وموضع الجملة نصب
وقوله واهواء خبر مبتدأ محذوف تقديره اهواؤهم اهواء متفرقة وكذلك قوله وطرائق اى طرائقهم
طرائق متشتتة اى بعثه وحال اهل الارض يوم بعثه ما ذكر من تفرق الاديان واشار الى ادواحها وسائر الطرق
والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد صلى الله عليه اما من عليه اسم الشرائع او غيرهم اما الاولون كاليهود والنصارى
والصابئة والمجوس وقد كانت اديانهم اضمحلت عن ايديهم وانما بقوا متمسكين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم
دين التشبيه ومذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والمجوس
اثبتوا الهين اسندوا الى احدهما الخير والى الاخر الشر وزعموا انه حصل بينهما محاربة الى ان الملائكة توسطت واصلحت
بينهما على ان يكون العالم السفلي للشر مدة سبعة الاف سنة الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء
المنتشرة وطرائق المتشتتة فهم على اصناف شتى فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة
نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين
حكى القرآن الكريم عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وقصروا الحياة والموت
على تحلل الطبائع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك علم ان هم الا يظنون وصنف منهم
اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكي عنهم فى القرآن الكريم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم الاية وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا
انهم شفعاؤهم عند الله كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن
هؤلاء وصلة ثقيف ومنهم اصحاب اللات بالطائف وقريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام
على صورة الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان يعبد الملائكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن واما المحصلة فقد كانوا
فى الجاهلية على ثلاثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان والثاني علم تعبير الرؤيا والثالث علم الانواء وذلك
مما

ما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلعم من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد وغير العرب البراهمة
من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع فى كل الاحكام الى العقل وانكار
الشرائع وانتسابهم الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البددة والبد عندهم شخص فى هذا
العالم لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك
واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسائط روحانية يأتيهم بالرسالة من عند الله فى صورة
البشر من غير كتاب فيأمرهم وينهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة [illegible] وهؤلاء يرجعون
بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه حينا منه
فلهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها وكان اصل وضع الاصنام ذلك
اذ يبعد عمن له ادنى فطنة ان يعمل خشبا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم
بها من غير اذن شرعي ولا حجة وبرهان من الله وكان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها وراء ذلك
من اصناف الاراء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان تحصى وموضع ذكرها فى الكتب المصنفة فى هذا
الفن واذا عرفت ذلك ظهر معنى قوله على من مشبه لله بخلقه كالطبقة من اصحاب الملل السابقة فانهم
وان اثبتوا صانعا الا ان اذهانهم يكتنفه بعض حصص ما فى نفس الامر من الجسمية وتوابعها
او ملحد فى اسمه كالذين عدلوا عن الحق فى اسماء الله بتحريفها عما هي عليه الى اسماء استنقوها
لاوثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان
وهذا التاويل مذهب ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين فى اسماء الله بالكاذبين فى اسمائه وعلى هذا كل
من سمى الله بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب ولا ورد فيه اذن شرعي فهو ملحد فى اسمائه قوله
او مشير الى غيره كالدهرية وغيرهم من عبدة الاصنام والافعال هنا للخلق فيما [illegible] فلما اقتضت
العناية الالهية بعثه صلعم ليهتدوا به سبيل الحق وينقذوا من ضلالهم القديم الى سلوك الصراط
المستقيم وتنقذهم بركة نوره من ظلمات الجهل الى انوار العلم فقام بالدعوة الى سبيل ربه
بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن فجلى الله بنوره صدا قلوب الخلق وازهق
باطل الشيطان اجابه من الحق والصدق ما اطلقنا لا لسن بذكر الله واستنار فى البصائر
بمعرفة الله وكمل به دينه فى اقطار بلاد العالم واتم به نعمته على كافة عباده كما قال فى اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا احب الله سبحانه لقاءه كما احب
هو لقاء ربه كما قال صلعم من احب لقاء الله احب الله لقاءه ورضي له عنده من الكرامة الشاملة والنعمة
الحاصلة فى جواره لا يبلغ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فاكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن
مقاساة البلوى ومقام الادنى فقبضه اليه عند انقضاء اجله كريما عن ادناس الذنوب
ظاهرا ولا يمة الجسمانية والروحانية صلعم ما برق بارق وذر شارق [illegible] وخلف

فكلم ما خلت الانبياء في احكامها ادلة بينة كونهم مثلا بغير طريق واحد والاعلم قاسم اول لما كان هذا
الشخص الذي هو النبي ليس مما يتكرر وجوده في كل وقت لما ان المادة التي تقبل كمال
مثله انما تتفق في قليل من الامزجة وجب اذا ان تشرع للناس بعده في امورهم سنة باقية
باذن الله وامره ووحيه وانزاله الروح القدس عليه وواجب ان يكون قد دبر لبقاء ما يسنه
ويسن عنه في امور المصالح الانسانية تدبيرا والفائدة في ذلك التدبير هو بقاء الخلق واستمرارهم على
معرفة الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع التناسي من الاعراض القرن الذي
يلي النبي ومن بعده فواجب اذا ان ياتيهم بكتاب من عند الله ويكون وافيا بالمطالب الالهية
ولا بد من الجاذبة الى الله سبحانه والاخطار بالبال في كل حال مشتملا على انواع من الوعد على طاعة الله
ورسوله بجزيل الثواب بعد المصير اليه والوعيد على معصيته بعظيم العقاب يعني القبر وما عليه
ولا بد ان يعظم امره ويبين على الخلق تكراره وحفظه ودراسته وتعلمه وتعليمه وفهم معانيه
ومقاصده ليدوم به التذكر لله سبحانه والملأ الاعلى من ملائكته ثم يسن عليهم افعالا واعمالا
تتكرر في اوقات مخصوصة تتعاقب وتتلو بعضها بعضا مشفوعة بالفاظ تقال وتتلى
من ذكر الجبار ليحصل بها دوام الذكر للمعبود الاول وينتفع بها في امر المعاد والاولى
فائدة منها وهذه هي العبادات الخمس المفروضة على الناس وما يلحقها من الوظائف ولما
بنوا علم هاهنا ذكر الكتاب العزيز لكونه مشتملا على ذكر سائر ما جاء به الرسول صلعم اما
مطابقة او التزاما وفيه بسط فاينبغيه الكلمة بحسب السنة النبوية وفاء بجميع المطالب الالهية
فنحن نبدأ بذكر شرفه ووظائفه وشرائط تلاوته ونأخذ الكلام في باقي العبادات التي هي فرعها

البحث الثاني في فضيلة الكتاب اما الفضل فمن وجوه **الاول** ذكره تبارك اسمه انا انزلناه
ذكره ... وقوله وهذا كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولو الالباب
وقوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة
لقوم ... يؤمنون **الثاني** قال رسول الله صلعم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي
افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله **الثالث** قوله صلعم ما من شفيع افضل
منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وفي ذلك من سر هذه الاشارة
ان ذلك انما هو حق من تدبره وسلك المنهج المطلوب منه المشتمل عليه ووصل به الى جنات الله في
جوار الملائكة المقدسين والغاية من الشفاعة الوصول الى نيل الرضوان من المشفوع اليه علمت
ان تمام رضوان الله يقتضي سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز الحاصل والا مع عدمه شفاعة
سائغ كما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين **الرابع** قال صلعم لو كان
القرآن في اهاب لما مسته النار والمراد ان من حفظه ووعاه وتدبره وسلك طريقه لم تمسه النار
اما

اما نار الاخرة فظاهر واما نار الدنيا فلان الواصلين من اولياء الله الكاملين في قوتهم النظرية
والعملية ينسلخون عن انفعال العناصر عن نفوسهم يتصرفون فيها كيف شاؤوا فلذلك ابدانهم لا ملاكون
لما ابدانهم نار ... وقد تقدم من اسباب ذكره في المقدمات **الخامس** قال صلعم افضل عبادة امتي
تلاوة القرآن واهل القرآن اهل الله وخاصته والمقصود من شرائط التي سنذكرها

البحث الثالث في وظائفه اما مداومة الكتاب بالدرس والتلاوة فيحتاج الى
وظائف والا لم ينتفع به كما قال رب تال للقرآن والقرآن يلعنه والذي ينبغي
ان نوظف في ذلك ملخصه الامام ابو حامد الغزالي في كتاب الاحياء فانه لا مزيد عليه امور
عشرة **اولها** ان يحضر الانسان حال سماعه للتلاوة عظمة كلام الله سبحانه وافاضه
كماله ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق في ايصال معاني كلامه
الى اذهانهم وكيف تجلت له الحقائق الالهية في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز
البشر عن الوصول الى مدارج الجلال ونعوت الكمال الا بوسيلة ولو استنار كنه جلال كلامه
بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه
وسبحات نوره فالصوت والحرف للحكمة جسد وهي بالنسبة اليه روح ونفس فلما كان شرف
الاجساد وعزتها بشرف ارواحها فكذلك شرف الحرف والصوت لشرف الحكمة التي فيها
وثانيها ~~ان يحضر الانسان حال سماعه للتلاوة عظمة كلام الله سبحانه وافاضه كماله ولطفه~~
~~بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق في ايصال معاني كلامه الى اذهانهم وكيف~~
~~تجلت لهم الحقائق الالهية في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول~~
~~الى مدارج الجلال ونعوت الكمال الا بوسيلة ولو استنار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت~~
~~لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره فالصوت~~
~~والحرف للحكمة جسد وهي بالنسبة اليه روح ونفس فلما كان شرف الاجساد وعزتها بشرف~~
~~ارواحها فكذلك شرف الحرف والصوت لشرف الحكمة التي فيها~~ التعظيم للمتكلم
وينبغي ان يحضر في ذهن القارئ عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه ليس من كلام البشر وان في تلاوة
كلام الله غاية الخطر فانه لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس
عن ظاهر بشرة اللامس الغير المتطهر فكذلك باطن معناه بحكم عزه وجلاله محجوب
عن باطن القلب الا ان يستضيء بنوره الا اذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم
والتوقير عن ظلمة ... وكما لا يصلح للمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان
ولا لحمل انواره كل قلب ولاجل هذا الاجلال كان عكرمة اذا نشر المصحف يغشى عليه
ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم وعلمت ان عظمة المتكلم لا تخطر

بالقلب دون الذكر في صفات جلاله ونعوت كماله وأفعاله فإذا خطر بباله الكرسي والعرش والسموات
والأرضون وما بينهما وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها هو الله الواحد القهار وأن
الكل في قبضته والسموات مطويات بيمينه والكل صائر إليه وأنه الذي يقول هؤلاء في الجنة
ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي فإن يستحضر من ذكر عظمة المتكلم ثم عظمة الكلام
حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي بجد
واجتهاد وأخذه بالجد أن يتجرد عند قراءته بحذف جميع المشغلات والهموم عنه وهذه
الوظيفة تحصل مما قبلها فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس إليه ولا يغفل
عنه فإن في القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي له أهلا وكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره
وفيه بساتين العارفين ورياض الأولياء وميادين أولي الألباب التدبر
وهو وراء حضور القلب فإن الإنسان قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع
القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من التلاوة التدبر قال سبحانه أفلا يتدبرون
القرآن أم على قلوب أقفالها وقوله أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا قال ورتل القرآن ترتيلا لأن الترتيل يمكن الإنسان من التدبر الباطن وقال صلعم
لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا لم يكن إلا بالترديد فليردد قال أبو ذر
قام رسول الله صلعم ليلة يردد قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت
العزيز الحكيم التفهم وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل
على ذكر صفات الله تعالى وأفعاله وأحوال أنبيائه والمكذبين لهم وأحوال ملائكته وذكر أوامره
ونواهيه وذكر الجنة والنار والوعد والوعيد فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف
له أسرارها فتحتها دفائن الأسرار وكنوز الحقائق وإلى ذلك أشار علي بقوله أسر إلي رسول الله
شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال
ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فعليه بالقرآن واعلم أن أعظم العلوم القرآن
تحت أسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها إلا بقدر أفهامهم وإليه الإشارة بقوله أنزل
من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو العلم أنزله من سماء
جوده ففاضت أودية القلوب كل على حسب استعداده وإمكانه وإن كان وراء ما أدركوه
أطوار أخر لم يقفوا عليها وكنوز لم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله تعالى وما أشار إليه من
خلق السموات والأرض وغيرها فالذي ينبغي أن يفهم التالي منها صفات الله تعالى وجلاله لاستلزام
الفعل للفاعل ويستدل بعظمة فعله على عظمته ليلاحظ بالآخرة الفاعل دون الفعل فيقول
في المقام الأول هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ويقرأ في المقام الثاني

كل شيء هالك إلا وجهه فمن عرف الحق رآه في كل شيء ومن بلغ إلى حد العرفان عند رؤية الأشياء لم يحجبه غيره
فإذا تلا قوله تعالى أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم الماء الذي تشربون أفرأيتم النار التي تورون فلا يقتصر
نظره على النطفة والماء والنار بل ينظر المني وهو نطفة ثم في كيفية انقسامها إلى اللحم والعصب
والعظم والعروق وغيرها ثم في كيفية أشكال أعضائها المختلفة من المستدير والطويل
والعريض والمستقيم والمنحني والرخو والصلب والرقيق والغليظ وما أودع في كل عضو من القوة
وبني الإنسان فيتأمل في هذه العجائب وأمثالها ليترقى منها إلى عجيب قدرة الله تعالى والمبدع الذي صدرت
عنه هذه الآثار فلا يزال يشاهد الكمال الصانع في كمال صنعه وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام فليفهم
من سماع تكذيبهم وقتل بعضهم صفة استغناء الله عنهم ولو هلكوا جميعهم لم يتغير به ملكه ولم يؤثر في
ملكه وإذا سمع نصرهم فليعلم أن ذلك تأييد إلهي كما قال تعالى حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم
كذبوا فلما جاءهم نصرنا فنجي من نشاء وأما أحوال المكذبين لهم كعاد وثمود وكيفية إهلاكهم فليستشعر
من سماعه الاستشعار بالخوف من سطوة الله ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن
غفل وأساء الأدب ربما أدركته النقمة ونفذت فيه القضية حيث لا ينفع مال ولا بنون وكذلك
إذا سمع أحوال الجنة والنار فليحصل منها على خوف ورجاء وليتصور أنه تقرر سعيه لإحداهما
لقرب من الأخرى وليفهم منها ومن سائر القرآن أن استقصاء ما هنا كحصر الأسرار الممتنع
غير ممكن لعدم نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا وقال علي لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ثم لم
يسعهم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ولو في أدنى المراتب دخل في قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على
قلوبهم وقوله أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وتلك الأقفال هي الموانع التي سنذكرها
التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا من فهم القرآن لأسباب وحجب أسدلها
الشيطان على قلوبهم فحجبت عن عجائب أسراره قال صلعم لولا أن الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت ومعاني القرآن وأسراره من جملة الملكوت والحجب المانعة
أولها الاستغراق بتحسين الحروف وإخراجها من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة المعنى
وقيل إن المتولي لحفظ ذلك شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم
على ترديد الحرف ويخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه فيكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف
فمتى ينكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشياطين من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس وثانيها
أن يكون مقلدا لمذهب سمعه وتعصب له ظاهرا لقول ابن عباس ومجاهد وغيرهما فيحمله على
التعصب له من غير حكم فينصر نظره دونها على مسموعه حتى لو لاح له بعض الأسرار حمل عليه شيطان
حمله ولم يتسع له لمخالفته إياه وتقليده في تركه ما هو عليه من الاعتقاد وإلى مثل هذا أشار

اسرار التوحيد التي يلقيها العلم حجاب وعنوا بالعلم العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بالتعليم
والتقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم لا العلم
الحقيقي الذي هو المشاهدة بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد قد يكون باطلا كمن يحمل الاستواء على
العرش على ظاهره فان خطر له في التقديس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده
من استقرار ذلك بخاطره في نفسه حتى ينساق الى كشف ثان وثالث ولكن يتسارع
الى دفع ذلك عن خاطره ويجعله وسوسة وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم لان
الحق الذي كلف الخلق طلبه مراتب ودرجات وظاهر وباطن وجمود الطبع على ظاهره يمنع
من الوصول الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يتجاوز الانسان المسموع وقال صلعم
من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار وفي النهي عن ذلك آثار كثيرة قلت
الجواب عنه من وجوه الاول انه معارض بقوله صلعم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا
وبقول علي علم الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة
فما فائدة ذلك الفهم الثاني لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون مسموعا من رسول الله
صلعم وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن واما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من انفسهم
فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي الثالث ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض
الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله صلعم
محال فكيف يكون الكل مسموعا الرابع انه صلعم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه
التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك
الخامس قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت للعلماء استنباطا ومعلوم انه
وراء المسموع فاذا الواجب ان يحمل النهي عن التفسير بالرأي على احد معنيين احدهما ان
يكون للانسان في الشيء رأي وله اليه ميل بطبعه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ولو لم يكن
له ذلك الميل لما خطر ذلك التأويل له وسواء كان ذلك الرأي مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك
كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله اذهب
الى فرعون انه طغى ويشير الى ان قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا
للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع الثاني ان يتسرع الى تفسير القرآن بظاهر العربية
من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة
وما يتعلق به من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر
التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر
القرآن بالرأي مثاله قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها فالناظر الى ظاهر العربية

وربما يظن ان المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء والمعنى انه مبصرة ولا يدري انهم اذا
ظلموا غيرهم ومن ذلك المنقول المنقلب كقوله وطور سينين وطور سيناء وكذلك ياتي
اجزاء البلاغة فكل متكلف في التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالنقل فهو ممن فسر
برأيه فهذا هو المنهي عنه دون التفهم لاسرار المعاني وظاهر ان النقل لا يكفي فيه وانما
ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر صفاء عقولهم وشدة استعدادهم
له وللطلب والبحث والتفهم وملاحظة الاسرار والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في
الترقي الى درجة منه بعد الاستقراء في الظاهر ومثاله ما فهم بعض العارفين من قوله
في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب
في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان
متضادان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي الى الذات فقال اعوذ بك منك
ثم زاد قربه بما استحيا به على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء
عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تسنح للعارفين
لا يفهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وانما هو استكمال للحقيقة من الاسرار الثالث
من الموانع ان يكون مبتلى من الدنيا بهوى مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وكالصدأ
على المرآة فيمنع جلية الحق ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون ن
وكلما كانت الشهوات اكثر كان على القلب كان البعد عن اسرار الله اكثر ولذلك قال صلعم
الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احداهما تبعد من الاخرى ان يخصص
نفسه بكل خطاب في القرآن من امر او نهي او وعد او وعيد ويقدر انه هو المقصود به وكذلك
ان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار ولا يعتقد
ان كل خطاب خاص في القرآن فالمراد به الخصوص فان القرآن وسائر الخطاب الشرعية
واردة من الله اكما اعني واسمعي يا جارة وهي كلها نور وهدى ورحمة للعالمين ولذلك امر الله
الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة يعظكم به واذا قدر انه المقصود لم يتخذ دراسته عملا بل يقرأه كما يقرأ العبد
كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال حكيم هذا القرآن رسائل اتتنا
من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات
بالسنن المتبعات التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات
فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به عندما توجه نفسه في كل حالة الى الحالة التي فهمها

من خوف او حزن او رجاء او غيره فيستعد بذلك وينفعل ويحصل التاثر والخشية وحيثما
قويت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على العارفين
ولا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة بهذه الشروط
الاربعة وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر السورة ذكر فيها اربعة شروط
وحيث اوجز واقتصر ذكر شرطا واحدا جامعا للشرائط وقال تعالى ان رحمة الله قريب من
اذ كان الاحسان جامعا لكل الشرائط وتاثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة
فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله وعند الوعد يستبشر فرحا بالله وعند ذكر الله
وصفاته واسمائه يتطأطأ خشوعا لجلاله وعند ذكر الكفار في حق الله ما يمتنع
عليه كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح افعالهم ويكمل الله
ونقدسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند
ذكر النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلعم لابن مسعود اقرأ علي
قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان من الدمع فقال لي حسبك الآن وذلك لاستغراق
تلك الحالة لقلبه بالكلية وبالجملة فالقرآن انما يراد لجلب الاحوال واستجلابها
الى القلب والعمل به قال رسول الله صلعم اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت
عليه جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا والا فالمؤنة في تحريك اللسان خفيفة قال بعضهم
قرأت على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ عليه ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب
فاقرأ على الله وانظر ماذا يأمرك وماذا ينهاك وشغل رسول الله صلعم عن عشرين الفا من
الصحابة لم يكن يحفظ القرآن منهم غير ستة واختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ
السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم كما ذكر لاشتغالهم بفهم
معاني القرآن عن حفظه كله وجاء اليه واحد ليتعلم القرآن فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال رسول الله صلعم
انصرف الرجل وهو فقيه فالعزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على القلب عقيب فهم
الآية فاما التالي باللسان المعرض عن العمل فجدير بان يكون المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى الآية وانما حظ اللسان تصحيح الحروف
بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار
الترقي وهو ان توجه قلبه وعقله الى القبلة ليسمعه فيسمع الكلام من ربه لا من
نف

ودرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأ على الله تعالى واقفا بين
يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرع والابتهال
والثانية ان يشهد بقلبه كانه سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه وهو في
مقام الحياء والتعظيم له سبحانه والاصغاء اليه والفهم عنه والثالثة ان يرى في الكلام المتكلم
وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى قلبه ولا الى قراءته ولا الى التعلق بالانعام من حيث هو
منعم عليه بل يقصر الهمة على المتكلم ويقف فكره عليه ويستغرق في مشاهدته وهذه
درجة المقربين وعنها اخبر الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقال لقد تجلى الله تعالى لخلقه
في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر
مغشيا عليه فلما افاق قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من
المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة وبهذه الترقية
يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولمشاهدة المتكلم دون ما عداه يكون ممتثلا
لقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر فان رؤية غير الله معه شرك خفي لا يخلص منه الا برؤيته
وحده التبري والمراد ان يتبرأ من حوله وقوته فلا يلتفت الى نفسه بعين الرضا
والتزكية فاذا تلى آيات الوعد ومدح الصالحين حذف نفسه عن درجة الاعتبار وشهد
فيها الموقنين والصديقين ويتشوق الى ان يلحقه الله تعالى بهم واذا تلى آيات المقت
والذم للمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا قيل ليوسف بن
اسباط اذا قرأت القرآن لماذا تدعو فقال بماذا ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين
مرة ومن رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من شهد البعد
في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد رده
الله الى درجة ادنى في البعد مما هو فيه ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه
فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله وحده في قراءته انكشف له الملكوت
والمكاشفات تابعة لحال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب عليه الاستبشار يكشف
له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع
عذابها وذلك لان كلام الله تعالى وارد باللطف والسهولة والشدة والعنف والرجاء
والخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب
مشاهدة الكلمات والصفات تتقلب القلوب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها
يستعد لنوع من المكاشفة مناسب لتلك الحالة اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا
والمسموع مختلفا اذ فيه كلام راض وكلام غضب وكلام انعام وكلام انتقام وكلام جبروت
وتكبر وكلام حنان وتعطف فهذه وظائف التلاوة ولنرجع الى المتن فنقول

وله علو وخلف فيكم ما خلفت الانبيا في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قايم
اشارة الى عرض ما يجب وضعه في الحكمة الالهية في الخمسة الرسل عليهم من العبادات والقوانين
الكلية التي بها ينبغي ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمال لفظ العلم القايم هنا استعارة
حسنة للاثار الباقية عن الانبياء التي يهتدى بها وللاوصياء والاولياء الذين يرجع اليهم
الخلق **قوله** كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله ما خلفته الانبياء ولا ينبغي ان يفهم من
مالى شخص الكتاب حتى يكون ما اتى به محمد صلعم من الكتاب بعينه ما اتت به الانبياء
السابقون وشخصه فان ذلك محال بل المراد بما في ما خلفت الانبياء في اممها من الحق وما جاء
به محمد عليه السلم شخص من اشخاص ذلك النوع وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت
في الاتيان بها جميع الانبياء من التوحيد والتنزيه لله تعالى واحوال البعث والقيمة وساير
القواعد الكلية التي بها يكون النظام الكلي للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا وغير
ذلك مما لم يخالف فيه نبي نبيا لمن له ماهية واحدة كلية وجدت في اشخاص وكما يعرض لبعض
اشخاص الماهية عوارض لا يكون للاخر فكذلك اختلاف اشخاص الكتب بحسب المواد التي نشأت منها الصور
الشخصية كذلك الكتب لمن له في السنة الانبيا لمن له الاشخاص اشتملت على ماهية واحدة
وتختلف بحسب الزيادات والعوارض على تلك الماهية بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة
على المصالح المختلفة باختلافها **قوله** مبينا منصوب على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل
وهو ضمير النبي صلعم **قوله** حلاله وحرامه وفضايله وفرايضه اشارة الى الاحكام الخمسة الشرعية
التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهية والاباحة وعبر بالحلال
عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور وبالفضايل عن المندوب وبالفرايض عن الواجب
وبالنسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم اخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع والمنسوخ
هو الحكم المرفوع وبالرخص هو الاذن في الفعل مع قيام السبب المحرم له لحرمة او عذرها
وبالعزايم ما كان من الاحكام الشرعية جاريا على وفق سننه الشرعي وبالعام هنا عن لفظ
المستغرق لجميع ما يصلح بحسب وضع واحد كقوله الرجال والمسلمون والخاص عالم يساو الحكم
بالنسبة الى ما تحته و… والخاص المطلق ما يمنع تصور مفهومه عن وقوع الشركة فيه كما عرفته
والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور وهو الانتقال من موضع الى اخر ولما
كان الذهن ينتقل من امر الى غيره حسن اطلاق العبرة عليه ولكن المحقق اطلاق العبرة بانتقال
ذهن الانسان من المصايب الواقعة بالغير والامور المكروه له الى نفسه متقدرها كانها نازلة
به فيحصل له بسبب ذلك انزعاج عن الدنيا وانتقال الذهن الى ما وراءه من امور المعاد والرجوع
الى الله به تسمى ذلك عبرة وكذلك في المصايب اللاحقة له في نفسه المذكرة له بحال العبرة والملتفتة
له بتكلفها عن … البلوى والمحن فيستعمل ذهنه تشبيها الى ان الدنيا دار البوار وان الحرص على

القرار والى ذلك اشار القران الكريم فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وان كان قد يستعمل
العبرة في كل ما يفيد اعتبارا من طرق العيان ايضا قوله وان لكم في الانعام لعبرة
نسقيكم مما في بطونها الاية وكقوله في فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم
مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار فجعل نصر المؤمنين
على قلتهم وخذلان المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا للعبرة
اذ يحصل بذلك اشغال الذهن من نعمة الله الا الاله المطلق المستحق للعبادة المنفرد
بالقدرة على ما يشاء اهل الرحمة والجود وافاضة تمام الوجود واما الامثال فظاهر
كقوله في ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الاية وكقوله فمثلهم كمثل الذي استوقد نارا
ونحوه واراد بالمرسل الالفاظ المطلقة والمهملة وهي الالفاظ التي لا يمنع نفس مفهومها
وقوع الشركة فيها لكنها لم يبين فيها كمية الحكم ومقداره ولا يقتضي العموم ولا
الخصوص وهي محتملة لها كاسماء الجموع في النكرات كقوله في وعلى الاعراف رجال وكالمفرد
المعرف بالالف واللام كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر وكقوله ان جاءكم فاسق وقوله
فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل والبعض الا بدليل منفصل
والفرق بينها وبين العام ان الكل في ماهيته صورها ماصد وهي مغايرة لكل افرادها فان
مفهوم الانسان مثلا ليس الا انه انسان فاما انه واحد او كثير او ليس احدهما فمفهوم
اخر مغاير لماهيته اذا عرفت ذلك فالمطلق الدال على الحقيقة من حيث هي هي من
غير دلالة على امر اخر معناه اللفظ والمهمل والدال معناه على قيد العموم من حيث يفهم
منه تعدد الماهية وتكثرها بجميع مواردها وهو اللفظ العام او في بعض مواردها
وهو الخاص وان كان العموم والخصوص بالذات للمعاني واراد بالمحدود المقيد كقوله في
في الكفارة في موضع اخر فتحرير رقبة مؤمنة واما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد
بيناها في المقدمة والتفسير هو التبيين والغوامض دقايق المسايل وانما اضاف هذه
المعاني كلها الى الكتاب لاشتماله عليها وكونها مبدا لها ولما كانت محتاجة الى البيان
كان الرسول صلعم هو المبين لما في سنته الكريمة قوله من ماخوذ ميثاق علمه وموسع على
العباد في جهله الى اخره الظاهر تعدد الى الاحكام المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز
وذكر هنا انواعا احدها ما يجب تعلمه وعدم موسع تخلف في جهله كوحدانية الصانع وامر
المعاد وعبادات مخصوصة وثانيها ما لا يتعين على كافة الخلق العلم به بل تعرف
بعضهم في الجهل به وتوسع لهم في تركه كالايات المتشابهات وكاوايل السور كقوله كهيعص

وجعلها ونحو ذلك فانها ما هو مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وذلك
كقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا
فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان يأتيانها
منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وكانت الثيب في بدو الاسلام تمسك في البيت الى
الممات والبكر يؤذى بالكلام ونحوه لمقتضاها في الآيتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق
البكر بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها ما هو بعكس ذلك اي مثبت في السنة اخذه بالسنة
ما دون في الكتاب نسخه وذلك كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام فانه كان ثابتا
في السنة ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وكتحريم صلوة المحدث في القرآن حال العمل الرافع لحول تأخرها في السنة
الى الحلال العمل وخامسها ما يجب في وقته وبدل في مستقبله كاكثر الكفارات وقضاء
الفوائت والنذور المقيدة بوقت معين وامثالها فان وجوبها تابع لوقتها
المعين ولا يتكيف بكل من اشتاله قوله ومبادين من محارمه عطف على الحرمات السابقة
واليها مفتوحة ونحو معنى الكلام وتعدد بلطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم
المسمى بالحرمة صار المعنى ومن حكم مبانين من محاله من الحرمة وقوله من كبير او عد عليه
نيرانه او صغير ارصد غفرانه بيان لتلك المحال واشارة الى تفاوتها بالشدة والضعف
في كونها مبعدة عن رحمة الله على سبيل فالاول كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وكذلك سائر الكبائر من الظلم والزنا وغيرها والثاني قال
الفقهاء كالطيف بالجبهة ورفيه باقة من بصل ونحو ذلك وارصاد الغفران بازاء هذه
وامثالها في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وسائر آيات
الوعد بالمغفرة فانها وان كانت عامة في كل الذنوب فالصغائر داخلة بطريق الاولى والا كانت
محمولة على الصغائر وسرا ولو انها بالعفو ان اتهام لا يكاد يكتسب لنفس ملكة الافراط
واللجوء عن تجد بعيد ولم يطويل بخلاف الكبائر فان الاقدام عليها في غالب الاحوال لا يقع الا
في نفس مستعدة للشقي بعيدة عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق
منها قوله فرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام يردونه ورود الانعام ويألهون اليه
ولوه الحمام وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختيار من خلقه
سماعا اجابوا اليه دعوته وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين
حول العرش يحرزون الارباح في متجر عبادته ويبادرون عنده موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام
علما وللعائذين حرما فرض حجه واوجب حقه وكتب عليكم وفادته وقال سبحانه ولله على الناس حج البيت

البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين يألهون اي اشتد
وجدهم وشوقهم اليه واصل الهمزة هنا الواو من وله يوله له اذا تحير من شدة الوجد
والتابع مع جمع سامر كسامر وسار والمبادرة المسارعة والوفادة القدوم لا بنية ماد
لامع وملاسماع واعلم انا بينا وجوب العبادات واشرنا وجه الحكمة فيها فلنحو اي لنشير
الى وجه الحكمة في خصوص الحج من جملتها ونؤخر تفصيل باقيها الى مواضعه ان شاء الله تعالى
فاما الحج فانك لما عرفت ان الغرض الاول من العبادات هو جذب الخلق الى جناب
الحق بالتذكرة ودوام اخطاره بالبال ليستجلي لك لا سر في طول التذكار وسبب ذلك
من احوت العناية بيده الى مقام المخلصين من جملة اسرار الله سبحانه المنن لمن على البناء
ويسوله بعمر موضع من البلاد انه اصلح المواضع لعبادة الله وانخاص له فلابد ان يسمى مثل
هذه الاوضاع على اشارات ورموز الى مقاصد حقيقية يسمه لامن اخذ التوفيق بزمام
عقله فلا بد من تعيين افعال تفعل في ذلك المكان واسماك ما يفعل في ذات الله سبحانه
وانفع المواضع المعينة في هذا الباب ما كان مأوى الشارع ومسكنه فان حركه مستلزم
لذكره وذكره مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته والرسل لاجل ولما لم يكن في المساوى
الواحد ان يكون مشاهدا لكل احد من الامة فالواجب اذن ان يفرض اليه حجا حتى وسفر
وان فيه مشقة وكلفة من تعب الاسفار والابعاد ومفارقة الاهل والاولاد والوطن والبلد
ونحن نذكر فضيلة من جملة السمو ثم نشير الى ما ينبغي ان يلطف فيه من الاداب الدقيقة
والاعمال الباطنة عند كل حركة وركن من اركان الحج ما يجري من تلك الاركان مجرى الارواح
مجرى الاجساد ولا بد ان نادن هنا ابحاث في الفضيلة وهي من
وجوه قوله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج
عميق قال قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابراهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس بالحج نادى
يا ايها الناس ان لله بيتا فحجوه وقال ليشهدوا منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر
في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة قال صلعم من حج
ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية نفع العبادات
في الخلاص من الذنوب قال صلعم ما رأى الشيطان في يوم اصغر ولا ادحر ولا
احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب
العظام وما اد تعالى من الذنوب ما لا يكفرها ما يحصل الا الوقوف بعرفة اسنده
الصادق عليه السلام الى رسول الله صلعم وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض على سرائر العباد
التي تمت لشدة الاستعداد الحاصل من ذلك الوقوف العظيم الذي يجتمع فيه العالم

اشد اقلاعا فان الاجتماع سبب عظيم في الانتفاع والخشية لله وتنزل انواره كما سبق بيانه ان الله
قال صلعم حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة
الحاج والعمار وفد الله وزواره ان سألوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان
دعوه استجاب لهم وان استشفعوا شفعهم روى عنه صلعم من طرق اهل بيته عليهم
اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله لم يغفر له وفي فضل حرمات الحج اخبار كثيرة تطلب
من مظانها الثاني في آداب الوسعة وهي عشرة الاول ان يكون النفقة
حلالا ويخلو القلب عن تجارة يشغله سوى الله وفي الخبر من طريق اهل البيت عليهم اذا كان اخر مطلب
الزمان خرج الناس الى الحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم
للمسألة وقراؤهم للسمعة وفي هذا الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور ان يتصل
بالحج وكل ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود الشارع منه الثاني ان لا يساعد الصادين
عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكس اليهم فان ذلك اعانة على الظلم وتسهيل الاسباب
وجراءة على سائر السالكين الى الله وليحتل في الخلاص فان لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة
الظالمين على البدعة وجعلها سنة الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل
والانفاق بالعدل دون البخل والتبذير فان بذل الزاد في طريق مكة انفاق في
سبيل الله قال صلعم الحج المبرور ليس له اجر الا الجنة فقيل يا رسول الله ما بر الحج قال
طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال كما قال تعالى فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو وفحش من الكلام ويدخل فيه محادثة النساء
بشأن الجماع المحرم فانها تهيج داعيته وهو مقدمة له فيحرم ومن لطف الشارع اقامة
مظنة الشيء مقام الشيء حسما لمادته والفسوق الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة والخصومة
الموجبة للضغائن والاحقاد وافتراق كلمة الخلق وكل ذلك ضد مقصود الشارع من الحج
وشغل عن ذكر الله الخامس ان يحج ماشيا مع القدرة ونشاط النفس فان ذلك افضل وادخل
للنفس في الاذعان لعبودية الله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من المؤنة والانفاق
ولانه ابعد عن الملال واقل للاذى واقرب الى السلامة واداء الحج وهذا التحقيق عند مخالف
لما قلناه والحق التفصيل فيقال من سهل عليه المشي فهو افضل وان اصعب اداه الى سوء
خلق وقصور عن العمل فالركوب له افضل لان المقصود توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم
المشغلات عنه السادس ان يركب الراحلة دون المحمل لاستنانه عادة المترفين والمتكبرين
ولانه احفظ على البعير اللهم الا لعذر وحج رسول الله صلعم على راحلة وكان تحته رحل رث
وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هيئته وشمائله وقال

خذوا عني مناسككم السابع ان يخرج رث الهيئة اقرب الى الشعث غير مستكثر من الزينة
واسباب التفاخر فيخرج بذلك من حزب المتكبرين الى شعار الصالحين روى عنه علم قال
انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى زوار بيتي قد جاؤوني شعثا
غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبار وقضاؤه بالحلق
وتقليم الاظفار الثامن ان يرفق بالدابة ولا يحملها ما لا تطيق كان اهل الورع لا ينامون
على الدابة الا غفوة من قعود قال صلعم لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل
عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفي ذلك مراعاة الرفق والرحمة والتخلي
عن القسوة والظلم ولانه يخرج بالعسف عن قانون العدل وفي مراعاة عنايته الله وتحملها
فانها كالحق للانسان تحت سائر الحيوان التاسع ان يتقرب باراقة دم ويجتهد
بان يكون سمينا ثمينا روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل
رسول الله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك
لان المقصود ليس تكثير اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن رذيلة البخل
وتزيينها بجمال التعظيم كما قال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم قال صلعم ما من آدمي عمل يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما
وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل
ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من
هدي وبجزه وبما اصابه من خسران ونقيصة مال ان اصابه ذلك فانه بذلك ملتفتا الى
الله سبحانه عن كل ما انفقه متعوضا عنه ما عند الله وذلك علامة القبول

في الوظائف العلمية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول فهم من فهم الحج الدين ثم
الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة عنه ثم تهيئة اسباب الوصول اليه
من الزاد والراحلة ثم السير ثم الاحرام ثم الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام
الافعال المشهورة وفي كل حالة من هذه الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه
للمريد الصادق واشارة للفطن الحاذق الى ما يقف عليه بصفاء قلبه وطهارة
باطنه ان ساعده التوفيق اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله سبحانه الا
بتنحية ما عداه عن القصد من المشتهيات البدنية واللذات الدنيوية والتجرد في
جميع الحالات والاقتصار على الضرورات ولهذا انفرد الرهبان في الاعصار السالفة عن
الخلق في قلل الجبال توحشا من الخلق وطلبا للانس بالخالق واعراضا عن جميع ما سواه
ولذلك مدحهم بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون

فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات والاقبال على الدنيا والالتفات عن الله
تعالى بعث الله نبيه محمدا صلعم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل
شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فجعل الله سبحانه الحج
رهبانية لهذه الامة فشرف البيت العتيق باضافته الى نفسه ونصبه مقصد العبادة
وجعل ما حوله حرما لبيته تفخيما لامره وتعظيما لشانه وجعل عرفات كالميدان على باب
حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من
كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة
لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك
وظف عليهم اعمالا لا يانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار
والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية
بخلاف سائر العبادات كالزكاة التي هي ارفاق ووجهه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم
الذي هو كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع
والسجود في الصلوة الذي هو تواضع لله سبحانه وبافعال على هيئات التواضع وللنفوس انس
بتعظيم الله واما امثال هذه الاعمال فانه لا اهتداء للعقل الى اسرارها فلا يكون في
الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه
عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه المعين على الفعل فان كل ما ادرك
العقل وجه الحكمة فيه فعله مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا على الفعل
فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلعم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا
ورقا ولم يقل ذلك في الصلوة واذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بكون
اعمالهم على خلاف اهواء طباعهم وان يكون ازمتها بيد الشارع فيترددون في اعمالهم
على سنن الانقياد ومقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات
في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع الى مقتضى الاسترقاق ولهذا كان مصدر
تعجب النفوس من الافعال العجيبة هو الذهول عن اسرار التعبدات واما الشوق فباعثه
الفهم ان البيت بيت الله ووضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الله تعالى ومن قصد
حضرة الله تعالى بالمثال المحسوس جدير بان يرزق رحمه بحيث شوقه الى الحضرة العلوية والكعبة
الحقيقية التي هي في السماء وهو مقصود البيت على فقدها فيشاهد وجه ربه على حكم وعده الكريم
واما العزم فليستحضر في ذهنه انه بعزمه قاصد مفارقة الاهل والولد وهاجر للشهوات واللذات مهاجرا
الى ربه متوجها الى زيارة بيته وليعظم قدر البيت وقدر رب البيت وليخلص عزمه لله

وليبعده عن شوائب الرياء والسمعة فان ذلك شرك خفي وليتحقق انه لا يقبل من عمله وقصده الا الخالص
وان من اقبح المقابح ان يقصد بيت الملك وحرمه مع اطلاع ذلك الملك على خائنة الاعين وما تخفي
الصدور ويكون قصده غيره فان استبدل بالذي هو ادنى بالذي هو خير واما قطع العلائق
فحذف جميع الخواطر عن قلبه غير قصد عبادة الله والتوبة الخالصة له عن الظلم وانواع المعاصي
وكل مظلمة علاقة وكل علاقة خصم حاضر متعلق به ينادي عليه ويقول اتقصد بيت ملك الملوك وهو مطلع
على تضييع امره في منزلك هذا وتستهين به ولا تلتفت الى نواهيه وزواجره ولا تستحي
ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيغلق دونك ابواب رحمته ولا يقبلك في جوار رحمته
فان كنت راغبا في قبول زيارتك فبادر الى التوبة من جميع معاصيك واقطع علاقة عن الالتفات
الى ما وراءك لتتوجه اليه بوجه قلبك كما انت متوجه الى بيته بوجه ظاهرك وليتذكر عند قطعه
العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان كل هذه امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها
واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه الحرص على استكثاره وطيبه وطلب
ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا
السفر وان زاده التقوى وان ما عداه لا يصلح زادا ولا يبقى معه الا ما بقي هو في هذا
المنزل وليحذر ان يفسد اعماله التي هي زاده الى الآخرة بشوائب الرياء وكدورات
التقصير فيدخل في قوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا وكذلك فليلاحظ عند ركوب دابته تسخير الحيوان له وحمله
عنه الاذى وتذكر منته في شمول عنايته وراففته حيث يقول وتحمل اثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم فيشكر الله سبحانه على حمل هذه النعمة
وعظيم هذه المنة وليستحضر قلبه من مركبه الى منازل الآخرة الذي لا شك عنه ولعل اقرب
من ذلك به الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان هذه امثلة محسوسة يترقى منها الى مراكب
النجاة من المشقة الكبرى وهي عذاب الله سبحانه واما ثوب الاحرام وشراؤه ولبسه
فليتذكر منها التسربل بانوار الله التي لا يخلص من عذابه الا بها فيجتهد في تحصيلها
بقدر امكانه والخروج من البلد فليستحضر عنده انه يفارق الاهل والولد متوجها
الى الله في سفر غير اسفار الدنيا وليستحضر ايضا غاية هذا السفر وانه متوجه الى ذلك بر
ملك الملوك وجبار الجبابرة في جملة الزائرين الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا
وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله طلبا لرضا الله وطمعا في النظر
الى وجهه الكريم وليحضر في قلبه رجاء الوصول الى الملك والقبول له بسعة فضله وليتحقق
انه ان مات دون الوصول الى البيت لقي الله وافدا عليه لقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى

الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله ثم ليتذكر في اثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق عقبات
طريق الاخرة من السباع والحيات حشرات القبر ومن وحشة البراري وحشة القبر والانفراد
عن الاهل فكان كل هذه الاهوال جاذبة الى الله سبحانه ومذكرة له امر المعاد واما الاحرام والتلبية من
الميقات فليستحضر انه اجابة نداء الله تعالى وليكن في قبول اجابته بين خوف ورجاء مفوضا امره
الى الله متوكلا على فضله قال سفيان بن عيينة حج زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلم فلما احرم
واستوت به راحلته اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لا تلبي
فقال اخشى ان يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه
ذلك حتى قضى حجه فانظر رحمك الله الى هذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها الاستعداد لافاضة
انوار الله لم يزل الغواشي لابتة والنفحات الربانية يغشاها فيغيب عن كل شيء سوى جلال الله وعظمته
وليتذكر عند اجابة نداء الله سبحانه اجابة ندائه بالنفخ في الصور وحشر الخلق من القبور وازد
حامهم في عرصات القيمة مجيبين لندائه منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين
في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله
ام لا اما دخول مكة فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله الامين وليرج عنده ان يامن بدخوله من
عقاب الله وليخش ان لا يكون من اهل القرب ليكن رجاوه اغلب فان الكريم عميم وشرف البيت عظيم
وحق الزائر مرعي وذمام المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين ويستحضر ان هذا
الحرم مثال الحرم الحقيقي ليترقى من الشوق الى دخول ذلك الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره
على البيت فليستحضر عظمته في قلبه وليترق بفكره الى مشاهدة حضرة رب البيت في جوار الملائكة
المقربين وليتشوق ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى بيته العظيم وليكثر
من الذكر والشكر على تبليغ الله اياه هذه المرتبة وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الاخرة في كل ما يراه
فان كل احوال الحج ومنازله دليل بين في مشاهدة احوال الاخرة واما الطواف بالبيت
فليستحضر في قلبه التعظيم والخوف والخشية والمحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة
المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف
قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدي الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدي بالبيت وتختم به واعلم ان الطواف
المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي
هي عالم الغيب كما ان الانسان الظاهر مثال ظاهر في عالم الشهادة للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر
وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح
ارباب الرحمة واخذت العناية الالهية بيده لسلوك الصراط المستقيم الى هذه الموازنة ووقعت الاشارة
الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت

رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه
بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما يزداد ذلك التشبه الى ان يصير في قوة المشبه به والذي يبلغ تلك الرتبة
فهو يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله واما
الاستلام فليستحضر عنده انه مبايع لله على طاعته مصمم عزيمته على الوفاء ببيعته فمن
نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ولذلك قال
رسول الله صلعم الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه ولما
قبله عمر قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلعم يقبلك لما قبلتك
فقال له علي عليه السلم بلى يضر وينفع فان الله سبحانه لما اخذ الميثاق على بني ادم
حيث يقول واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الاية
القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء امانتهم وذلك معنى قول الانسان عند استلامه
امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد عندك لي بالموافاة واما التعلق باستار الكعبة
والالتصاق بالملتزم فليستحضر فيه طلب القرب حبا لله وشوقا الى لقائه بالمماسة ورجاء التحصن
من النار في كل جزء من البيت وليكن في التعلق بالستر الالحاح في طلب الرحمة وتوجيه الذهن النية
الى الواحد الحق وسوال الامان من عذابه كالمذنب المتعلق باذيال من عصاه المتضرع اليه في عفوه
عنه المعترف له بانه لا ملجا له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو
وبذل الطاعة في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فمثال لتردد العبد
بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة
كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد فيكون تردده رجاء ان
يرحم في الثانية ان لم يكن رحم في الاولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان
في عرصة القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين
الكفتين ملاحظا للرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر
بما يرى من ازدحام الناس وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات اتباع الفرق ائمتهم في الترددات
على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء
كل امة اثر نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكر
ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان يحشره في زمرة الفائزين المرحومين وليكن رجاؤه اغلب
فان الموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة النفوس الكاملة من اوتاد الارض
ولا يخلو الموقف عن طائفة من الابدال والاوتاد وطوائف من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت

بمشيهم وتجردت لطاعة نفوسهم وارتفعت الى الله ايديهم واحترقت اعناقهم من شوقهم بانصارهم
حبه الرحمة طالبين لها فلا تظنن انه يخيب سعيهم من رحمه لعمرهم وبلوغ كل ان اجتماع الامم بعرفات والاستظهار
بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد وهو السر الاعظم من الحج ومقاصده فلا طريق الى استنزال
رحمة الله واستدرارها اعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد واما رمي الجمار فليقصد
به الانقياد لامر الله واظهار الرق والعبودية ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله في ذلك
الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان
خطر له ان الشيطان عرض لابراهيم ولم يعرض له فيعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وهو الذي القاه على
قلبه ليخيل اليه انه لا فائدة في الرمي فيه ليعلم انه الشيطان فانه وان كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصى
فهو في الحقيقة رمي لوجه ابليس وقصم لظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعالى تعظيما لمجرد
الامر واحتسابا في الهدى فليعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدى في اجزائه وليرجو ان يعتق
الله بكل جزء منه جزءا من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى اكبر واوفر كان الفداء به من النار
اتم واعم وهو ليشبه التقرب الى الملك بالذبح له ايام الضيافة والقرى والغاية منه بذل المجهود لاول
سبحانه عند التنبيه في الذبح واعتقاد انه متقرب به وباجرائه الى الله فهذه هي الاشارة الى اسرار الحج
واعماله الباطنة اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول له على وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة الى الوجوب
الحج على الحق وهو معلوم بالضرورة من الدين ووصفه بالحرام اما بمعنى المحرم كما قال الله تعالى عند
بيتك المحرم فان العرب كانت تحرم فيه ما يستحل في غيره كالدماء والقتال وغيرهما وقيل
الحرام بمعنى المحرم ومعنى المحرم عظيم الحرمة واما بمعنى الحرم كحرمان وزمن وذلك لكونه امنا
لمن دخله ومانعا له قوله الذي جعله قبلة للانام مستند قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضاها
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره قوله يردونه ورود الانعام
سالعة في تشبيه ورود الخلق البيت بورود الانعام ووجه المشابهة ما بيناه من عدم
اطلاع الخلق على اسرار الحج وعلى ما يشتمل عليه المناسك يحتمل امرين احدهما ان وروده لتشبيه
ورود النعم الماء عند حاجتها في شدة الازدحام عليه المحبة له والشوق اليه والثاني من الحكمة
الالهية لما كان العقل الذي به تمييز الانسان عن الانعام وسائر الحيوان معزولا عن ادراك علل
الاسرار كان لا يكون من الانسان فيما حركه به فرق في الورود الى البيت وسائر المناسك وقوله
ويالهون ولوه الحمام اشارة الى سوق الخلق في كل عام الى ورود البيت كما يشتاق الحمام الذي
تسكنه وقد داعى على في هذه الغزال الادبع السجع قوله وجعله علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم
لعزته اشارة الى ما ذكرناه من ان العقل لما لم يكن ليهتدي الى اسرار هذه الاعمال لم يكن الامر الباعث
عليها

الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد لله
فمن نقل ما امر به من اعمال الحج كذلك فهو المخلص الذي ظهرت عليه علامة المخلصين والمذعن المتواضع
لجلال رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالم الغيب والشهادة لم يكن ان يقال ان تلك العلامة
ما يستفيد بها علما باحوال عبيده من طاعتهم ومعصيتهم فاذن يتعين ان يكون معناها راجعا
الى ما به يتميز النفوس الكاملة التي انقادت لاوامر الله واخلصت له العبادة عما عداها
فان هذه العبادة من اشرف ما استعبدت به النفوس الانسانية واما دونها كالالمتربت
عن ابناء نوعها في ادنى علامة بها يتميز مراتبهم بعضهم عن بعض وقوله واختار من خلقه سماعا
اجابوا اليه دعوته اشارة الى الحاج في قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين
من كل فج عميق وفي الاثار ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء البيت جاءه جبريل عليه السلام وامره ان
يؤذن في الناس بالحج فقال ابراهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال الله تعالى اذن وعلي البلاغ فعلا
ابراهيم المقام واشرف به حتى صار كاطول الجبال واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا
ونادى يا ايها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه من كان في اصلاب
الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك وفي الاثر اشارات لطيفة فانه يحتمل ان يراد بقول
ابراهيم وما يبلغ صوتي الاشارة الى الحكم الوهمي الانساني باستبعاد عموم هذه الدعوى
وانقياد الخلق لها وقصورها بالطبع عن ذلك وبقول الحق سبحانه وعلي البلاغ الاشارة
الى ابتداء الله سبحانه بما اوحى اليه من العلم ببسط دعوته وابلاغها الى من علم بلوغها
اليه وبعلو ابراهيم المقام حتى صار كاطول الجبال واقباله بوجهه يمينا وشمالا وشرقا
وغربا ودعوته اشارة الى اجتهاده في التبليغ للدعوة وجذب الخلق الى هذه العبادة
بحسب امكانه واستعانته في ذلك باولياء الله التابعين له واما اجابة من كان في
اصلاب الرجال وارحام النساء له فاشارة الى ما كتبه الله سبحانه بقلم قضائه في اللوح
المحفوظ من طاعة الخلق واجابتهم لهذه الدعوة على لسان ابراهيم عليه السلام ومن بعده من
الانبياء وهم المراد بالسماع الذين اختارهم الله سبحانه من خلقه حتى اجابوا دعوته
المنبهة بحجهم الله بعد ما اهلهم لذلك قرنا بعد قرن والله تعالى اعلم وقوله وصدقوا
كلمته اشارة الى المطابقة افعالهم لما جاءت به الانبياء من كلام الله سبحانه وعدم
مخالفتهم وتكذيبهم له وقوله ووقفوا مواقف انبيائه اشارة الى ان لقيهم ايضا
في مواقف الحج ونحو ذلك لان الانسان اشد دواعي حرص للطباع اللطيفة المشتاقة
الى لقاء الله بما يشابه عليهم وملائكته وقوله وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه

اشارة الى ما ذكر انه من ان البيت المعمور بازاء الكعبة في السماء وان طواف الخلق بهذا البيت
يشبه طواف الملائكة واحداقهم بالبيت المعمور والعرش فهم متشبهون بالملائكة
في الطواف والغاية ان يترقى من خرق الحجب بنيته من هذا الطواف الى ان يصير من الطائفين
بالعرش والبيت المعمور وقوله يحرزون الارباح في متجر عبادته ويبادرون عنده موعد
مغفرته لاحظ عليه السلم مشابهة العبادة بالبضاعة التي يتجر بها فالتاجر هو النفس ورأس
المال هو العبادة ووجوه تصرفاته الحركات الحسية والعقلية المطلوبة منه بالاوامر الشرعية والعقلية
والارباح هي ثواب الله وما اعده للمحسنين في جنات النعيم واقبح لمملوك تعدو نفسه في خدمة
سيده مستنجح الطلب الكسب والربح واحسن به اذا نظر الى انه اهل للعبادة مجردا عن جميع اعراض
والخواطر في خدمته عن درجة الاعتبار وجعلها خالصة له لانه هو ... كلامه عليه السلم ذكر الربح هنا
فاستعار لحسن اطماع الخلق بالغنيمة ويميلون اليه من جهة الارباح في الحركات
ليتنافسوا فيعبدوا وقوله وجعله للاسلام علما للطريق الى الله وسلوك صراطه المستقيم
وهو الاسلام الحقيقي يهتدى به عليها كما يهتدى بالعلم المرتفع للعسكر والمارة على انتظامهم
وقوله فرض عليكم حجه واوجب عليكم ... افادة تاكيد لما سبق وذكر الخطاب ... وهو قوله
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والله العصمة والتوفيق
احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة الى
كفايته انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا
ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن
ومدحرة الشيطان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدين المشهور والعلم المأثور
والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر الصادع ازاحة للشبهات
واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالايات وتخويفا بالمثلات والناس في فتن انجذم
فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين واختلف النجر وتشتت الامر وضاق
المخرج وعمي المصدر فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان
فانهارت دعائمه وتنكرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه
ووردوا مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها و
قامت على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم
دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم **اول** الاستسلام الانقياد ووال يئل والا

والائل ... ولا على ... اذا التجأ فمنه الموئل الملجأ والفاقة الفقر ولا فعل لها ومصاص كل شيء
خالصه والذخيرة الخبيئة والاهاويل الامور المخوفة التي يعظم اعتبار النفس لها وعزيمة الايمان
عقد القلب عليه والمدحرة محل الدحر وهو الطرد والابعاد والماثور المقدم على غيره والماثور
ايضا المنقول والمثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء وهي العقوبة والفتن جمع فتنة
وهو كل امر صرف عن قصد الله واشتغل عنه من بلائه ومحنة وهو ... والجذم القطع والزعزعة
الاهتزاز والاضطراب والسواري الاساطين والنجر الطبع والاصل والمعالم الاثار التي بها يعلم الشيء
ويستدل عليه والشرك جمع شركة بفتح الشين والراء وهي معظم الطريق ووسطها والخامل
الساقط والمناهل المشارب انهارت انهدمت والسنابك اطراف مقدم الحوافر الواحد
سنبك والسهود مصدر كالجمود مرادف للسهاد والارق واعلم ان المراد بالحمد هنا الشكر
واستتماما وما بعدها من المنصوبات منصوبات على المفعول له وقد جعل عليه السلم للحمد هنا
غايتين الاولى منهما الاستتمام لنعمة الله وذلك لان العبد يستعد بدوام الشكر لمزيد النعمة
وهو ... ذلك ناظر الى قوله لئن شكرتم لازيدنكم لما يستدل عليه الاية من البعث على رجاء المزيد والثانية
الاستسلام لعزته فان العبد ايضا يستعد بكمال الشكر لمعرفة المشكور وهو الله سبحانه وهي
مستلزمة للانقياد لعزته والخضوع لعظمته وهو ... ذلك ناظر الى قوله ولئن كفرتم ان عذابي لشديد لما
يستدل عليه الاية من تخويف المانع من مقابلة نعم الله بالكفر ثم لما كان الاستعداد لتمام النعم
والاستعمال لتمام الخضوع والانقياد لعزة الله سبحانه انما يتم بعد ان يكون العناية الالهية لحظة
تصبغ العبد وجاذبة له عن ورطات المعاصي مبعدة له عن اسباب الشر ... فيها بكفاية المؤن
والاسباب الداعية الى ارتكاب احد طرفي الافراط والتفريط جعل عليه السلم للحمد غاية اخرى وهي الوسيلة
الى الغايتين المذكورتين وهي الاستعصام بالله سبحانه من معصيته وعقب ذلك الشكر بطلب
المعونة منه على تمام الاستعداد لما سأل وشكى الحاجة وجعل ذلك الاستعانة علة حاملة وهي الفاقة
الى عنايته في كفايته دواعي التفريط والافراط بالجذبات الالهية ولا شك ان الغايتين المذكورتين
لا يتمان بدون عصمته والمعونة بكفايته وذلك قوله واستعصاما من معصيته واستعينه
فاقة الى كفايته وقوله انه لا يضل من هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه تعليل
لطلب المعونة على تحصيل الكفاية ... دواعي طرفي الافراط والتفريط ولا فراط كان العبد
مستقيم الحركات على سواء الصراط وذلك هدى الله يهدي به من يشاء فكانه قال واستعينه على ان
... الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك الابدي فانه لا يضل من هداه
ولا ينجو من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة به وقد اطلق عليه السلم هنا لفظ
المعاداة له كما اطلقها القرآن الكريم على المطيعين لربهما وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها ولمن

يلبس بها مجانا فقوله فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته
مقدسة عن الوزن والخزن اللذين هما من صفات الاجسام فالحري ان يكون المقصود رجحان عرفانه في ميزان
العقل اذ لا يوازنه عرفان ما عداه بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصدق هناك موازنة
تقال فيها ارجح ويمكن ان المراد بالخزن خزن ذكر العرفان في اسرار النفوس القدسية وفي الضمير رجع
الى ما دل عليه قوله الحمد على طريقة قولهم من كذب كان شرا له فقوله واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة اشرف كلمة احسن من
وجد بها الخالق عز اسمه وقد اشرنا في الخطبة الاولى الى ما تضمنته تركيبها من حسن الوضع المودي للمقصود التام
منا وبالجملة هي منطبقة على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون ان فيها شيئا مقدرا لكون خبرا للا قالوا وتقديره
لا اله لنا الا الله او لا اله موجود الا الله واعلم ان كل تقدير يقدر هاهنا فهو مخرج لهذه الكلمات عما يفيده
اطلاقها ويفيدها تخصيصا لم يكن وهو مما يجده الانسان من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون لا هو قولنا الا الله
وحسده لا حاجة الى التقدير امر زايد وقد وردت لهذه الكلمة فضايل لا تحصى ومن قوله صلعم افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعاء الحمد لله الثانيه عن ابن عمر قال قال صلعم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في القبر ولا عند النشر وكاني انظر الى
اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الثالثة
روي ان المامون لما انصرف من مرو يريد العراق اختار نيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضى علم
فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا نسألك بحق قرابتك من رسول الله ان تحدثنا الحديث ينفعنا فروى عن ابيه
عن ابائه عن رسول الله صلعم عن جبريل عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي الرابعة
قال رسول الله صلعم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلماء ان الله جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين
والنار عذاب الاخرة فالسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال لرسوله من اخرج لسانه من
الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج لسان قلبه
من الغلاف الذي لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الاخرة في غمد
الرحمة واحدة بواحدة جزاء ولا ظلم اليوم وقوله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها
مصدر وصف بصفتين جرى على غير من هي له والممتحن المختبر اراد انه مختبر نفسه في اخلاص هذه الشهادة
واجدا لها عرية عن شبهات الباطل معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حلية التوحيد
وخالصة مبرأة عن شوائب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص المحقق قوله
نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان
اشارة الى ان جهة التمسك بها مدة البقاء في دار الدنيا لعظايم الامور والاستعداد بها لاهوال الاخرة
وشدايدها ثم عقبها بذكر علة التمسك بها وادخارها وذكر اربعة اوصاف في حيد ذكر اولها انها
عقيدة الايمان وعزيمة المطلوبة لله سبحانه من خلقه وكل ما عداها مما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه

فهي حقوق لها وتوابع ومتممات ومعينات على الوقوف على اسرارها والوصول الى اخلاصها وثانيها انها فاتحة الاحسان
فانها اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعد العبد بالسلوك في طريق اخلاصها لافاضة احسان الله
ونعمه شآبيبها وكما انها اول مطلوب لله من خلقه في فطرهم الاصلية وعلى السنة رسله عليهم السلام هي ايضا غاية
التي يسالون باخلاصها واستصحاب خصاصها السعادة الباقية وثالثها انها مرضاة الرحمن وذلك ظاهر
اذ هي محل رضوان الله والسبب المستتبع لتمام رحمته ومن يرد رحمته على محل سوى ربها ورفع السخط عنه كما قال
صلعم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث ورابعها انها مدحرة الشيطان وهو الشرك الظاهر
او الخفي وهذه الكلمة انما وضعت في مقابلة دعوته وظاهرها دافع الظاهر مما يدعو اليه وباطنها قامع لباطن
ما يدعو اليه وكما ان الشرك على مراتب لا تتناهى فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة فيفقد في كل مرتبة من السلوك في اخلاصها
سقطة في مقابلة مرتبة من الشرك ويبطل سعي الشيطان فيها في تلك المرتبة الى ان يتم الاخلاص بقدر الامكان
وقد انهدمت قواعد الشيطان بكليتها وصار ابعد مطرود عن حريمها ما نقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قوله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلعم
من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلعم من قال اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله يجري بها لسانه ويطمئن بها قلبه حرمت النار عليه وانما قرنت هذه الكلمة بكلمة
التوحيد لانك عرفت ان غرض الشريعة انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك مراتبها ولن يحصل
ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك وعلمت ان مدار ارسال الرسل ووضع الشرايع لتعريف كيفية السلوك في درجات
الاخلاص فكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين لطريق الاخلاص اجل كلمة بعد كلمة
الاخلاص لانها بمنزلة الباب لها فلاجل ذلك عقبها بها قوله ارسله بالدين المشهور الى قوله والامر الصادع
اشارة الى تعظيم الرسول صلعم ما جاء به واشار بالدين المشهور الى دينه المشتمل على تعريف كيفية
سلوك الصراط المستقيم والعلم المأثور الى اعتبار كون ذكر الدين هاديا قائدا للخلق يهتدون
به الحضرة القدسية التي هي مقصد جميع الشرايع اذ ذلك هو شأن العلم وكونه مأثورا اشارة الى كونه
منقولا على السنة الاديان كالعلم العلم ويهتدي به قوم بعد قوم وان الفلك من قرن بعد قرن وبالكتاب المسطور
الى القرآن المسطور في الصحف في الواح النفوس وبالنور الساطع والضياء اللامع الى السر الذي جاء به الرسول عليه
لجب هذه الطريقة وامر تفصيلها وبنور تستشرق به مرايا النفوس القدسية عن صدأ الشبهات وكدورة
الشرك وخصوصية الامر ووصفه بكونه صادعا الى اعتبار قوته بالاوامر الله وردعه لمن لم يسلك الطريق المأخوذ
سبيلها عنه احتياطا حتى شق بالامر الالهي وجه باطله وصدع ما كان ملتقيا من شأنه فساده كما قال في
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين قوله ازاحة للشبهات الى قوله وتخويفا بالمثلات اشارة
الى الوجوه الموجبة لعناصر البعثة وذكر علم منها اربعة مقاصد اولها ازاحة الشبهات وهي اهمها
فان حدوث شواغل الدنيا وشبهات الباطل عن قلوب الخلق اهم مقاصد الشارع الثاني سبب تلك الازاحة
وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة لهم والخطابات الواصلة الى افهامهم كما قال وجادلهم بالتي هي

الثالث التحذير بالآيات المذونة المخوفة من الله الرابع التحذير بالعقوبات الواقعة بأهل الخيانات كما قال أولم يهدوا
لهم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى وهذا الإنذار من بعد الحجج والخطابات الشرعية
من حيث [illegible] صفاء [illegible] مجرد [illegible] الى التحذير والإنذار قوله والناس في فتن كالجذام فيها يجعل
الدين الى قوله يتردد دون أول يحتمل أن يكون الواو في قوله والناس للابتداء ويكون ذلك إشارة وعلامة على سوء
أحوال أهل زمانه وما هم فيه من البلاء والمحنة والمخاوف والحروب بسبب تشتت أهوائهم واختلاف آرائهم
وغرضه عليه السلام تنبيه السامعين على ما هم غافلين عنه مما هم فيه من الفتن المشتملة على الدوام التي عددها سببا
من ذلة الغفلة [illegible] لم يسلك سبيل الحق من سباق الجد لاجتهاد وذكر من الدوام التي حصل الناس عليها بسبب
ما هم فيه من الفتن [illegible] حاصلها أن تعددت الى ترك [illegible] الشريعة وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق
الباطل فانقطع حبل الدين إشارة الى انحراف الخلق عن سواء السبيل وعدم تمسكهم بأوامر الله سبحانه حال
وقوع تلك الفتن واستعمال لفظ الحبل هاهنا في السبيل واعتصموا بحبل الله جميعا استعارة لقواعد الشريعة
المطلوب [illegible] وجه التمسك به ولكن استعمال السلوك إما لقواعد الدين وأركانه المأمور بتشييدها
كالجهاد الذي هو أقوى مطالبه عليه السلام في ذكر الوقت من الناس ويكون المراد [illegible] عدم استقامتها
واستقرار الناس عليها مجازا أو أما لأهل الدين الذي به تقوم ورجاله العاملون به الدالون بأجمعهم في الله لأنه
لأنهم [illegible] موت أو لكثرة خوفهم من الأعداء [illegible] استعارة لطيفة ووجه المشابهة بينهما ظاهر
وأشار باختلاف الى اختلاف الأصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي فطر الناس عليها وورد الشريعة
بل وجهها فإنها كانت متفقة بوجود الرسول صلعم فاختلفت بعده بسلوك كل فرقة مذهبا آخر على أن
التمسك [illegible] أيضا [illegible] فيحتمل أن يريد واحدا بتشتت الأمر الى تفرق كلمة المسلمين
وبقوله وضاق المخرج وعمي المصدر الى أن الخلق بعد تورطهم في فتن الشبهات الموجبة لتفرق
كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق [illegible] منها والعمى هاهنا هو المشار بقوله فإنها لا تعمى الأبصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو استعارة حسنة إذ العمى الحسي عبارة عن عدم ملكة البصر ووجه
المشابهة أن الأعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدم مدركه كذلك أعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده
المعقولة لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده وأشار بخمول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال عماهم
عن مصدرهم من ضلالهم إذا كان ضوءه ساقطا [illegible] غير موجود والفائدة عطف الجملة الاسمية على الفعلية
وأشار بشمول العمى الى استمرارهم في عدم رؤيتهم لسبيل الحق الذي يخرجون من شبهات الباطل وظلمته ثم أشار
بعصيانهم للرحمن ونصرتهم للشيطان الى أن ما هم فيه خروج عن الحق ونصرة للباطل الذي هو جامور الشيطان
فما يجري أن يكون نصرة للشيطان وعصيان للرحمن [illegible] نصرة الشيطان [illegible] عن الباطل فقد خذل الإيمان
بترك [illegible] قواعده [illegible] وترك الإيمان وخذلانه [illegible] دعائمه تقوم بها [illegible] والإشارة بالدعائم
والمعالم الى الدعاة للحق وحملة الإيمان [illegible] عدم قبول قولهم وسكون المعالم [illegible] عدم [illegible] فيهم
في الخلق لعلمهم ويحتمل أن يراد بالدعائم القواعد التي للدين كالجهاد وغيره وانهيارها عدم القيام

بها وبكون المعالم الى المجازي من القلوب التي هي معالم الدين ومحاله [illegible] دروس سبله وعفا
شركه الى أنه لم يبق له أثر يعرف به وكل ذلك مبالغة في ضعف الدين ومسالك الشيطان
ومناهله ما [illegible] الله من مناهل الله سبحانه فيتبعونه فيها وأعلام الشيطان
ولواؤه إما القادة اليه والدعاة الى الباطل وصارت غايات لهم وصور الباطل
التي تصورت في أذهان الخلق المقتدى بهم فانقادوا لها واتبعوها فهي كالأعلام
والألوية في الحروب يعرفها قوله في فتن داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها وقامت
على سنابكها يحتمل أن يكون في فتن متعلقا بقوله بهم سارت أعلامه وقام لواؤه ويحتمل
أن يتعلق بمقدر يكون خبرا ثانيا لقوله والناس وهذه الفتن هي التي أشار اليها أولا
وإنما أوردها ثانيا بزيادة أوصاف فبالغ عليه السلام في تشبيهها بأنواع الحيوان فاستعار
أخفافا وأظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطيا وقياما على الحوافر ويحتمل أن يكون هناك
إضمار أي داستهم بأخفاف إبلها ووطئتهم بأظلاف بقرها وقامت على سنابك خيلها
بحذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه وحسن يكون التجوز في نسبة الوطء
والدوس والقيام اليها فقط وهو المجاز في الإسناد قوله فهم فيها تائهون [illegible]
وأشار بتيههم الى ضلالهم عن القصد في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في أن الحق
في أي جهة وعدم درايتهم أهو مع علي أم مع معاوية وبجهلهم الى عدم علمهم بالحق واعتقاد
بعضهم الباطل عن شبهة بحكم التحكيم واعتقاد آخرين له عن شبهة [illegible] عن أمثال ذلك [illegible]
جهل مركب وبكونهم مفتونين الى فتنة الشيطان لهم وإضلاله عن الحق وهو الشيطان وأتباعه
قوله في خير دار وشر جيران هذا الظرف يجوز أن يكون كالذي قبله في كونه خبرا
ثالثا ويجوز أن يتعلق بقوله تائهون أو ما بعده من الأفعال وقد اختلف الشارحون
لكلامه عليه السلام في مراده بخير دار فقال بعضهم أراد الشام لأنها الأرض المقدسة وأهلها
القاسطون [illegible] ومعنى قوله نومهم سهود وكحلهم دموع أي أنهم لا ينامون اهتماما [illegible]
وإعداد أنفسهم للقتال [illegible] وقوله بأرض عالمها ملجم وجاهلها
مكرم يريد معاوية [illegible] وقال آخرون أراد بخير دار العراق وشر جيران يعني أصحابه المستنفرين بهم
للجهاد وإنما كانوا شر جيران [illegible] لتجادلهم عن الحق ونصرة الدين [illegible]
المتقاعدون في الله وقوله نومهم سهود أي [illegible] التدبير وكحلهم دموع
أي [illegible] وقال آخرون أراد بخير دار الدنيا
لأنها دار العمل واكتساب الخلق [illegible] المقصود [illegible] تفضيلها على غيرها اليوم
أنها أفضل من الآخرة بل إثبات فضيلتها فقط فإن أفعل التفضيل كما يرد لإثبات الأفضلية

كذلك يورد لاسباب العصابة والدنيا دار فضل لمن قام فيها بما امر الله به وداعي ما خلق لاجله
وهي مزرعة الآخرة كما ورد به الحديث وكون اهلها شر جيران فلانهم متجاوزين كما سبق
او شر جيران لمن التجئ اليهم وجاورهم للانتصار على اعداء الدين وذلك لعدم نصرتهم له والقيام
معه وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع ظاهره عموم لفظ الناس في اصحابه واصحاب معاوية ومن
عاداه اهل الحرب ودخل فيها وقد بالغ عليه السلام في وصفهم بقلة النوم لخوف الحرب وسحرهم بعضهم
على بعض وسترة انقسامه ناس المسائل وحيرتهم في تيه الباطل حتى الحق قلة نومهم بالشدة اشكالا من
عدم النوم فاستعار له لفظه وصيره هو هو قوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه دموعهم بالكحل
وصيره هو هو ووجه المشابهة ان الدموع لكثرة منهم وملازمته احداقهم اشبه ذلك الامر
الكثير العتاد لعيونهم وهو الكحل فلذلك استعار لفظ الكحل له قوله بارض عالمها ملجم وجاهلها
مكرم الجار والمجرور حكمه حكم الظرف الذي قبله مما تعلق به ثم ان حملنا خير دار على الدنيا كان قوله
بارض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا فكانه قال والناس في خير دار هي الدنيا وهو منها بارض
من حالها ان عالمها ملجم بلجام الذل عن اعلانها عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم العلم منهم
وغلبة الجهل عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته في الجهل وموافقته لهم على الباطل ويكون المراد
بتلك الارض اما الشام واما العراق وان حملنا خير دار على الشام او العراق كان قوله
بارض من حالها كذا يجري مجرى البيان لها ويكون الام اللحاق من هذا الكلام راجعا الى اهل تلك
الارض لتعلق لجام العالم واكرام الجاهل بهم وان نسب ذلك اليها لكونهم بها اذ لو رددنا
الام الى الارض لنافي ذلك وصفه لها بانها خير دار ويحتمل ان يكون الواو في قوله والناس واو الحال
والعامل ارسله والفتن المشار اليها هو من الفتنة الجاهلية وحال البعثة وخير دار يعني مكة
مكة وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان حسن عالما بصدق الرسول وحقيقة بعثته
هو ملجم بلجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذب به وهذا الاحتمال حسن واعلم ان
الذي يتبادر الى الذهن ان هذا القدر الذي اورده السيد من هذه الخطبة فصول ملفقة
ليست على نظامها الذي صحت عليه فان كان كذلك فما يلوح لنا لو انطقت مقاصد بوضح اورده
الناس واختلفوا فيه حينا والله اعلم ومنها يعني آل النبي صلعم وآله هم موضع سره ولجأ
امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد
فرائصه اقول اللجأ والملجأ والموئل المرجع من آل يؤل الى كذا اذا رجع والنهي الله
والانحناء الاعوجاج والفرائص جمع فريصة وهي اللحمة التي بين الجنب والكتف لا تزال ترعد
من الدابة وقد وردت هذه الاربعة بالسجع المتوازي والقرائن المفردة هيهنا كلها راجعة
الى الله تعالى الا الضمير في ظهره وفرائصه فانها الى الرسول صلعم كما سبق ذكر الله ورسوله وقبل
الكل

حكمته
للرسول صلعم واشار بكونهم موضع سره الى كمال استعداد نفوسهم عليهم السلام لاسرار الله
اذ الموضع الحقيقي للشيء هو ما ناواه الله والذبون عن الدين ما اليهم يلتجئ وبهم تقوم سلطانه
وكونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره اذ لعادة العرب فلان عيبة العلم اذا كان موضع
اسراره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة ووجه المشابهة ظاهر اذ العيبة لما
كان من شانها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف والادناس وكانت اذهانهم الطاهرة
حافظة للعلم عن عدمه وصيانته له عن تدنسه اذ هان عن اهله لا جرم حسن استعارة
لفظ العيبة لاذهانهم وبكونهم موئل حكمه الى كونهم مرجع الحكمة اذا طلبت عن اذهان
غيرهم فمنهم تطلب وعنهم تكتسب وبكونهم كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها ودراستها
وتفسيرها وعندهم علمها وتأويلها والكتب اشاره الى القران وما قبله من كتب الله
كما نقل عنه عليه السلام في موضع لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لحكمت بين اهل التورية بتوراتهم
وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من
آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل او سماء او ارض او ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت
وفي اي وقت نزلت واستعارة لفظ الكهف هنا من استعارة لفظ العيبة وبكونهم جبال
دينه الى ان دين الله سبحانه به يعتصم عن وصمات الشياطين وتبديلهم وتحريفهم كما يعتصم الخائف
بالجبل ممن يريده وهي استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحناء ظهره اشارة الى ان الله
سبحانه جعلهم له اعضادا ايشد وبن ازره ويقوي من ظهره ويرد من امره وانحناء الظهر
كناية عن ضعفه في بدو الاسلام فبالحري ان تكون اقامتهم لانحناء ظهره تقويتهم لذلك الضعيف
بالنصرة للدين والذب عنه وقوله واذهب ارتعاد فرائصه اي ان الله اذهب الرعدة لعونتهم حوزته
الذي كان يتوقعه من اسيس كن على حوزة الدين وهو كناية عن ازالة بعض لوازمه اذ كان ارتعاد الفرائص
من لوازم شدة الخوف ويحمل هذه الامور ظاهر لاهل البيت من بني هاشم كالعباس وحمزة وجعفر وعلي بن
ابي طالب في الذب عن الرسول صلعم والعداوة له والملاقي الذين والله العالم ودعوا
الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور لا يقاس بآل محمد صلعم من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت
نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين الحق الى اهله ونقل الى منتقله وفي بعض النسخ مدرج
وذكرا اشاره منه عليه السلام الى ان الامامة كانت في غير اهلها والآن هو اهلها وقد رجعت اليه
بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل حقا اخر غير الامامة الا انها المبادرة الى الذهن
من اللفظ هيهنا وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشقشقية وفي البعض من النسخ تسمى المقمصة
اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى
الي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء

او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا ارى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الاعشى شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى الاول لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون كانهم لم يسمعوا الله سبحانه وتعالى يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز قال وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس رحمة الله عليه يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فوالله ما اسفت على كلام قط كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المؤمنين بلغ منه حيث اراد اقول اعلم ان هذه الخطبة وما في معناها مما يشتمل على شكايته عليه السلام وتظلمه في امر الامامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فان جماعة من الشيعة ادعوا ان هذه الخطبة وما في معناها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من اهل السنة بالغوا في انكار ذلك حتى قالوا انه لم يصدر عنه عليه السلام شكاية في هذا الامر ولا تظلم اصلا ومنهم من انكر هذه الخطبة خاصة ونسبها الى السيد الرضي رضي الله عنه المتصدر لجمع هذا الموضع وهو محل التهمة للشارحين وانا احمد الله على اني لا احكم في هذا الكلام الا بما اجزم به او يغلب على

ظني

علوا

الدار

مطلب نظر شارح كتاب ... درباره خطبه شقشقيه

رضي الله

ظني من كلامه عليه السلام وهو مقصوده فاقول ان كل واحد من الفريقين المذكورين خارج عن العدل اما المدعون لتواتر هذه الالفاظ من الشيعة فهم في طرف الافراط واما المنكرون لوقوعها اصلا فهم في طرف التفريط اما ضعف كلام الاولين فلان المعتبرين من الشيعة لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من هذه الالفاظ متفقا على تواتره لما اختص به بعض الشيعة دون بعض واما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السلام فيحتمل ان يكون لهم وجهان احدهما ان يقصدوا بذلك توطئة العوام وتسكين خواطرهم عن اثارة الفتن والتعصبات الفاسدة ليستقيم امر الدين ويكون الكل على نهج واحد فيظن العوام انه لم يكن بين الصحابة الذين هم اشراف المسلمين وسادتهم خلاف ولا نزاع لتقتدي بحالهم من سمع ذلك وهذا مقصد حسن ونظر لطيف لو قصد والثاني ان يكونوا ذكروا ذلك عن اعتقاد انه لم يكن هناك خلاف بين الصحابة ولا منافسة في امر الخلافة والانكار على هذا الوجه ظاهر البطلان لا يعتقده الا جاهل بتتبع الاخبار لم يعاشر احدا من العلماء فان امر السقيفة وما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي عن البيعة امر ظاهر لا يدفع ومكشوف لا يتقنع حتى قال اكثر الشيعة انه لم يبايع اصلا ومنهم من قال انه بايع بعد ستة اشهر كرها وقال مخالفوهم انه بايع بعد ان تخلف في بيته مدة ودافع طويلا وكل ذلك مما يقتضي الضرورة معه بوقوع الخلاف والمنافسة بينهم والحق ان المنافسة كانت ثابتة بين علي عليه السلام وبين من تقدمه في امر الخلافة في زمانه والشكاية والتظلم الصادر عنه في ذلك امر معلوم بالتواتر المعنوي فانا نعلم بالضرورة ان الالفاظ المنقولة عنه المتضمنة للتظلم والشكاية في امر الخلافة قد بلغت في الكثرة والشهرة بحيث لا يكون باسرها كذبا بل لا بد وان يصدق واحد منها وايها صدق ثبت معه الشكاية اما خصوصيات الشكايات بالفاظها المعينة فغير متواترة وان كان بعضها اشهر من بعض فهذا ما عندي في هذا الباب بعد التحري والاجتهاد وعلى هذا التقدير لا يبقى لانكار كون هذه الخطبة صادرة عنه عليه السلام ونسبتها الى الرضي معنى فان مستند ذلك الانكار منه هو اعتقاده انه لم يكن له منافسة في هذا الامر وانت تعلم ان ذلك اعتقاد يابس على ان هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضي روي عن مصدق بن شبيب النحوي قال لما قرأت هذه الخطبة على شيخي ابي محمد بن الخشاب فوصلت الى قول ابن عباس ما اسفت على شيء قط كاسفي على هذا الكلام قال لو كنت حاضرا لقلت لابن عباس وهل ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فانه ما ترك للاولين ولا للآخرين قال مصدق وكانت فيه دعابة فقلت له يا سيدي فلعلها منحولة اليه قال لا والله اني لاعرف انها من كلامه كما اعرف انك مصدق قال فقلت له ان الناس ينسبونها الى الشريف الرضي فقال لا والله ومن اين

تحقيق عادلانه شارح و بيان قول دو طايفه و محاكمه آنها

مطلب

للرضي هذا الكلام وهذا الاسلوب فقد راينا كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا
في سلكه على اني قد رايت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل ان يخلق ابو الرضي
فضلا عنه واقول قد وجدتها في موضعين تاريخهما قبل مولد الرضي بمدة احدهما مضمنة
كتاب الانصاف لابي جعفر بن قبة تلميذ ابي القسم الكعبي احد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته
قبل مولد الرضي الثاني اني وجدتها بنسخة عليها خط ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات بمدة
اذا عرفت ذلك فلنرجع الى الشرح فنقول قوله تقمصها اي لبسها كالقميص وقطب
الرحى مسارها الذي عليه تدور وسدلت الثوب ارخيته والكشح بفتح الكاف الخاصرة
وطفقت اخذت وجعلت وارتأيت في الامر اذا فكرت فيه طلبا للراي والصيال وصال احمل نفسه
على الامر بقوة ويروى بالدال المهملة والمعجمة مقطوعة او مكسورة والطخية الظلمة كقولهم
ليلة طخياء اي مظلمة وتركيب هذه الكلمة يدل على ظلمة [illegible] الاحول والغلاف [illegible] كلمة طخياء
اي المبهمة لا تفهم والهرم شدة كبر السن والكدح السعي والعمل وهاتى لغة في هاتي
وهي لغة في هذي وهذه والحجى اولى بالحجى واخلق وهو العقل والقذى ما يتأذى به العين من غبار
ونحوه والشجى ما ينشب في الحلق من غصة غم او هم والتراث كالميراث وهو اسم ما يورث
وادلى فلان بكذا اي تقرب به والقاه وشتان ما هما اي بعد وشتان ما عمرو وهو بدا اي بعد ما
بينهما وكور الناقة رحلها [illegible] قاله [illegible] بعقد البيع ونحوه والاستقالة طلب ذلك وشد ما صعب
وعظم وتشطرا اي اخذ كل شطرا وهو البعض والحوزة الطبيعة والحوزة الناحية والكلم بفتح
الكاف الجرح والعثر [illegible] عثورا او عثارا اذا اصابت رجله في المشي حجرا ونحوه والصعبة
الناقة لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب وشنق الناقة بالزمام واشنق لها اذا جذبه الى نفسه
وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم الشق واسلس لها اي ارخاه وتقحم الامر
اذا القى نفسه فيه بقوة ومني الناس اي ابتلوا والخبط الحركة على غير استقامة والشماس بكسر
الشين كثرة النفار والاضطراب والتلون اختلاف الاحوال والاعتراض ضرب من التلون
واصله المشي في عرض الطريق يقال مشى فلان العرضنة اذا مشى عرض الطريق [illegible]
ونشاط والشورى مصدر كالبشرى [illegible] بمشاورة واسف الطائر اذا دنا من الارض في طيرانه
والصغو الميل بكسر الصاد والضغن بكسر الضاد وسكون الغين وفتحهما ايضا الحقد والاضغان
عن ابن الاعرابي [illegible] وبعض العرب لا يطلقه الا على اهل بيت
الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا على من كان من اهل المراة وهن على وزن اخ كلمة كناية
عن شيء واصله هنو تقول هذا هنك اي شيئك والحضن الجانب ما بين الابط والخاصرة والنفيج
من النفج والنثيل الروث والمعتلف [illegible] ويحتمل ان يريد موضع الاعتلاف والخضم الاكل بجميع الفم

خط الوزير

وقيل الخضم باقصى الاضراس يقال خضم بكسر الضاد والنبتة بكسر النون النبات وانتكث
انتقض واجهز على الجريح قتله واسرع وكبا الفرس سقط لوجهه والبطنة شدة الامتلاء من الطعام
والدوح [illegible] والزهن [illegible] اذا وقع [illegible] بعضه بعضا والعطاف
الرداء وروي عطفاي وعطفا الرجل جانباه من لدن راسه الى وركيه والربيض والربيضة
الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها ومروق السهم خروجه من الرمية وراقه الامر اعجبه والزبرج
بكسر الزاي والراء الزينة والنسمة الانسان وقد يستعمل فيما عداه من الحيوان والمقارة اقرار
كل واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به والكظة البطنة والغارب اعلى كتف الناقة والعفطة من الشاة
كالعطاس من الانسان وقيل هي الحبقة والشقشقة لهاة البعير ويقال للخطيب ذو شقشقة
اذا كان صاحب [illegible] وبضاعة من الكلام ولذلك سميت الخطبة الشقشقية واعلم
ان المشار اليه بقوله فلان هو ابو بكر كما هو مصرح به في بعض النسخ ولما بالغ في تلبس ابي بكر بالخلافة
استعار له وصف التقمص ولذلك سميت الخطبة بالمقمصة والضمير المنصوب راجع الى الخلافة
ولم يذكرها لظهورها كقوله حتى توارت بالحجاب ويحتمل ان يكون ذكرها فيما قبل ذلك والواو
في قوله وانه ليعلم ان محلي منها للحال ولما كان قطب الرحى هو الذي به نظام حركاتها وبه يحصل
الغرض منها وكان هو عليه السلام الناظم لامور المسلمين على وفق الحكمة الالهية والعالم بكيفية سياسة
الشريعة لا جرم مثل محله من الخلافة بمحل القطب من الرحى وقد جمع هذا التمثيل انواع التشبيه
الموجود في كلام العرب وهي ثلثة احدها تشبيه محله بمحل القطب من الرحى وهو تشبيه المعقول بالمعقول
فان محل القطب هو كونه نظام احوال الرحى وذلك امر معقول وثانيها تشبيه نفسه بالقطب
وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس وثالثها تشبيه الخلافة بالرحى وهو تشبيه المعقول بالمحسوس
ولما كانت حاجة الرحى الى القطب ضرورية ولا يظهر نفعها الا به فهم من تشبيه محله بمحله انه قصد ان
غيره لا يقوم مقامه في امر الخلافة ولا يساهل [illegible] وجوده كما لا يقوم غير القطب مقامه في موضعه
ثم اكد ذلك بقوله ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه وصفين احدهما كونه
ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل والاماكن المرتفعة وكنى به عن علوه وترفعه في فيضان العلوم
والتدبيرات السياسية عنه واستعار لتلك الكمالات لفظ السيل والثاني انه لا يرقى اليه
الطير وهو كناية عن غاية اخرى من العلو اذ ليس كل مكان علي بحيث ينحدر عنه السيل وجب ان
لا يرقى اليه الطير وكان ذلك علوا ابلغ كما قال ابو تمام مكارم لجت في علو كانما تحاول ثارا عند
قوله فسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها والمبالغة فيما يحتاج الاعراض عنها
واستعار لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا [illegible]

لما منزلة المأكول الذي منع نفسه من اكله فلم يستدل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح التفاته
عنها كما يفعل المعرض عن الجانب قال طويت كشحه عني واعرض جانبا وقوله وطفقت ارتئي
بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يريد اني جعلت اجيل الفكرة في تدبير امر الخلافة واردده
سرا في نفسي اني اصول على من حازها دوني او ان اترك وفي كل واحد من هذين القسمين خطر اما
القيام فبعيد جدا وهو غير جائز لما فيه من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين من
غير فائدة واستعار لفظ الجذاء لها باعتبار عدم الناصر ووجه المشابهة ان قطع اليد لما كان مستلزما
لعدم القدرة على التصرف بها والصولة وكان عدم الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك
لا جرم حسنت وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل في غاية الشدة والبلاء ايضا
واستعار لذلك الالتباس لفظ الطخية ومنها استعارة لفظ العمى للمعقول ووجه
المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور هنا لا يهتدى
فيها للحق ولزومه ثم كنى عن شدة ذلك الاختلاط ومقاساة الخلق بسبب عدم
انتظام احوالهم وطول مدة ذلك باوصاف احدها بانه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب
فيها الصغير والثالث المؤمن المجتهد في لزوم الحق والذب عنه يقاسي من ذلك الاختلاط شدائد
ويكدح فيها حتى يلقى ربه وقيل تراب ويحتمل في الوصول الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك
الى ترجيحه لاختيار القسم الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الامر بقوله فرأيت ان الصبر على هاتا
احجى والبق بنظام الاسلام وبحال الناس وهو ظاهر فانه لما كان مقصود الشارع من هذه المناقشة في الامامة
يعني نظم بتر القيام به ويوجب ذلك فيه انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم وثوران الفتن بينهم خصوصا
والاسلام غض لم ترسخ محبته في قلوب كثير من الخلق ولم تطعم حلاوته وفيهم المنافقون والاعداء المشركون
في غاية القوة من كل الاقطار لا جرم لم يمكنه ملاحظة هذه الاحوال اثارة الحروب والمنازعة لاداء ذلك الى ضد
ما هو مقصود الحكمة ومحادثه واما الصبر وترك المقاومة وان كان فيه بحسب ذاته ما ذكره من اختلال الدين وانه
لو كان هو القائم بهذا الامر لكان انتظامه به اتم وقوامه به اكمل الا انه اولى بالنسبة الى الاختلال الذي كان يحصل
لو نازع في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشارحين من بعض قوله فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق
شجى الواوان للحال والجملتان كنايتان عن شدة ما اضمر من التأذي والغبن بسبب سلبه ما يرى انه اولى به
من غيره وما يعتقده من الخبط والوهن في غيره قوله ارى تراثي نهبا قيل اراد به ان فدك التي نحلها
رسول الله صلعم لابنته لم يعدل فانه تصدق عليها انها حيازة لان حال الزوجة في حكم مال الرجل والنهب
اشارة الى منع الخلفاء الثلثة لها بالخبر الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو
صدقة وقيل اراد منصب الخلافة وتصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله في حكاية عن زكريا عليه السلام يرثني
ويرث من آل يعقوب فانه اراد به ارث العلم ومنصب النبوة وكان اسم الميراث صادقا عليها قوله حتى

الاستعارة واما الترك ففيه الصبر على خ بمرة الالتباس الامور واختلاطها م

مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول ابا بكر وبفلان عمر واشار بادلائه الى نص ابي بكر على ان يكون
عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى دار الآخرة وسلوكه السبيل الذي لا بد منه لكل انسان واما
البيت فهو للاعشى بن قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيدة له يذكر فيها منافرة علقمة وعامر واولها
ساقتك من قيلة اطلالها بالنشط فالوتر الى حاجر وحيان وجابر هما ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفة
وكان حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية مصونا من
وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه واراد ما ابعد ما بين يومي على كور المطية اداب
وانصب في الهواجر وبين يومي منادما حيان اخي جابر وادعا في نعمة وخفض عيش وروى ان حيان عاتب
الاعشى في تعريفه بنسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية اضطرته الى ذلك فلم يقبل عذره واليوم الاول
في موضع رفع باسم الفعل والثاني بالعطف عليه واما غرض التمثل بالبيت فلان البيت واضح المعنى على اراد به ان القوم
لما فازوا بمقاصدهم ورجعوا بمطالبهم وظفروا بها وهو في اثناء ذلك كله مخفق في حقه حق كونه نصبه كما
اشار بقوله وفي العين قذى وفي الحلق شجى كان بين حالهم وحاله بعد بعيد وافتراق شديد فاستشهد على
هذا البيت لفظ اليومين وكنى بها عن حالهم وحاله ووجه المشابهة في هذا المثل ان حالهم استلزم حصول
المطالب والرفاهية كيوم حيان وحاله عليه السلام استلزم المتاعب كيومه على كور الناقة ويحتمل
ان يكون قد استعار يومي حيان لعهده برسول الله صلعم وما كان يحصل له من قرة صحبته من الفوائد
الجمة والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على كور الناقة لزمانه بعد الرسول صلعم وما لحقه
فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الاذى ووجه المشابهة ما اشتمل عليه يوم حيان وعهد الرسول
من المسرة ومعايشة الرغبة ويوم كونه على الكور واوقاته بعد الرسول من المضادة قوله فيا عجبا بينا
هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته الاشارة الى ابي بكر وطلبه الاقالة وهو قوله اقيلوني
فلست بخيركم ووجه التعجب هنا ان طلب ابي بكر الاقالة من هذا الامر انما هو لثقله وكثرة شرائطه وشدة
مراعاة اجراء احوال الخلق مع اختلاف طباعهم واهوائهم على قانون واحد وخوفه ان يعثر به مطايا الهوى
فتردى به في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير فكلما كانت مدة ولاية الانسان لهذا الامر اقصر كان خوفه اقل
وكانت متاعبه ايسر واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر واستثقاله ومقتضى طلبه لذلك ان
يتحرى قلة متاعب هذا الامر ويجتهد في الخلاص منها بما امكنه ذلك فاذا رأيناه متمسكا بهذا الامر مدة
حياته وعند وفاته يعقده لآخر بعده فيحتمل مضادة هذا الامر في حال الحياة وبعد الوفاة فلا بد وان
نحمل على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد صحيح فينصرف ذلك الظن مقابلا لما اشتهر عنه من العدالة
وذلك محل التعجب هذا الخلاف من اشتهر بالفسق والنفاق فانه لا يتعجب من فعله لو خالف قوله لشد ما تشطرا قوله
ضرعيها اللام للتأكيد وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل شد والجملة من تمام التعجب وقد
استعار لفظ الضرع هنا للخلافة وهي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة المتادية

في الانتفاع الحاصل منها والمقصود وصف قبضها بحالها بالامور المشبهة لاقتسام الحالين اختلاف الناقة بالشدة
على من تعقدها انه احق بها منها او على المسلمين الذين يستنهضون لا ولادها وقوله فصيرها في حوزة خشناء كنى
بالحوزة الخشناء عن طباع عمر (ابن) فانها كانت توصف بالجفاوة والغلظة في الكلام والتسرع
الى الغضب وذلك معنى خشونتها وقوله يغلظ كلمها ويخشن مسها استعار لتلك الطبيعة وصفين لجرمها
غلظ الكلم وهو كناية عن غلظ المواجهة بالكلام والجرح به فان الضرب باللسان اعظم من وخز السنان والثاني
جفاوة المس وهو كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليه المستلزمة للاذى كالتسليم من الاجسام
الخشنة قوله ويكثر العثار والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام من تعاود النظر
فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن ذلك ما روي
انه امر برجم امراة زنت وهي حامل فعلم علي عليه السلام بذلك فجاء اليه وقال له ان كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما
في بطنها دعها حتى تضع ما في بطنها ثم ترضع ولدها فخذها فقال عمر لولا علي لهلك عمر وكذلك ما روي انه امر
بامراة بحال امصنة تك ولا حاملا فاجهضت من هيبته جنينا فجمع جماعة من الصحابة وسالهم ما الذي يجب عليه فقالوا
انت مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شيء وعلي في ذلك واعلمه بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال ان كان ذلك عن
اجتهاد منهم فقد اخطأوا وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ارى عليك الغرة فعندها قال لا عشت لمعضلة
لا تكون لها يا ابا الحسن ومشاورة في امثالها كثيرة والعثرة العضبة وغلظ الطبع قوله فصاحبها
كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها
عن طبيعة عمر واخلاقه والمراد على هذا الوجه ان المصاحب لتلك الاخلاق في حاجة الى المداراة وفي صعوبة
حاله كراكب الصعبة ووجه التشبيه ان راكب الصعبة كما يحتاج الى الكلفة الشاقة ومداراة احوالها من جهة معا
من خطرين انه وان الى الحدثات في وجهها بالزمام خرم انفها وان اسلس لها رمى البعيد تقحمت به المهالك
كذلك مصاحب اخلاق الرجل والمبتلى بها ان اكثر عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى المساغبة وفساد
الحال بينهما وان سكت عنه وتركه وما يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة وقيل
الضمير في صاحبها للخلافة وصاحبها هو كل من تولى امرها اذ كان عادلا راعيا للحق انه ووجه شبهه
براكب الصعبة ان المتولي لامر الخلافة مضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الخلق ونظام
امورهم على القانون الحق وان يسلك بهم طريق العدل المحبوسة بطرفي التفريط والتقصير المشبه
لاسلاس قياد الصعبة وبطرف الافراط وطرف الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي
لامر الخلافة لمن افرط في المحافظة على شرائطها واهمل امرها الفاه التفريط في موارد الهلكة كما يشبه
الصحابة الى عثمان حتى فعل به ما فعل فكان في ذلك كراكب الصعبة اسلس قيادها وان افرط وحمل الخلق
على اشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصاء عليهم في طلبه اوجب ذلك نفرتهم منه ونفار طباعهم وتفرقهم عنه وفساد
الامر عليه لميل اكثرهم الى الباطل وغلبتهم عن فضيلة الحق وان صعب فيكون في ذلك كمن اشنق للصعبة التي

سور راكبها حتى خرم انفها وهو من التشبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه ولسنة براكب الصعبة
لانها ايضا بين خطرين اما ان يتبع باكنا ان طلب هذا الامر والقيام فيه فيتقحم بذلك في موارد الويل
والصعاد كما يتقحم راكب الصعبة المسلس لها قيادها واما ان تقوم فيه ويتشدد في طلبه فيتشعب امر
المسلمين بذلك وينشق عصاهم فيكون في ذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول الا يليق بسياق الكلام وبظاهره
والثاني اظهر والثالث محتمل قوله فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض اشار الى ما ابتلي
به من اضطراب الرجل وحالة التي كان ينقمها عليه فكنى بالخبط عنها والشماس عن جفاوة طبعه وخشونتها
وبالتلون والاعتراض عن انتقاله من حال الى اخرى في اخلاقه وهي استعارات ووجه المشابهة فيها ان خبط
البعير وشماس الفرس واعتراضه في الطريق حركات غير منتظمة فاشبهها ما لم يكن من حركات الرجل التي ابتلي
الناس بها ولا شك انه كان صعبا عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة يتحامونه وقيل لابن عباس
لما اظهر قوله في مسألة العول بعد موت عمر هلا قلت ذلك في عهد عمر قال هبته وكان رجلا مهيبا وقيل ان
ذلك اشارة الى ما ابتلي به الناس من اضطراب الامر وتفرق الكلمة وجري امورهم على غير نظام بسبب تفرق
كلمتهم ثم اردف ذلك بذكر صبره على ما صبر عليه في الثاني كما صبر في الاول وذكر امرين احدهما طول مدة تخلف
الامر عنه والثاني شدة المحنة بسبب فوات حقه وما يعتقده من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام
احوال الدين واجرائه على قوانين الصحة وكل واحد من هذين محنة في استلزام الاذى الموجب في
مقابلة الصبر قوله حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم اول حتى ههنا لانتهاء
الغاية والغاية لزوم تالي الشرطية لمقدمها اعني جعله لها في جماعة لمضيه لسبيله واشار بالجماعة
الى اهل الشورى وخلاصة حديث الشورى ان عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة وقالوا له سيعان ان
يعهد عهدك ايها الرجل وتستخلف رجلا ترضاه فقال لا احب ان اتحملها حيا وميتا فقالوا افلا تشير
علينا فقال اما ان اشير فان احببتم قلت فقالوا نعم فقال ان الصالحين لهذا الامر سبعة سمعت
رسول الله صلعم انهم من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم لانه من اهل بيتي وسعد بن
ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وعثمان وعلي فاما سعد فلا يمنعني منه الا عنفه
وفظاظته واما من عبد الرحمن فلانه قارون هذه الامة واما من طلحة فلكبره ونخوته واما من
الزبير فلشحه ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ولا يصلح لهذا الامر الا رجل واسع الصدر
واما من عثمان فلحبه لقومه وعصبيته لهم واما من علي فلحرصه على هذا الامر ودعابة فيه ثم قال
يصلي صهيب بالناس ثلاثة ايام ويخلو الستة في بيت ثلثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام
امر خمسة وابى رجل فاقتلوه وان استوى امر الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وروى
فتحاكموا الى عبد الله بن عمر واي الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الاخر فلما خرجوا عنه واجتمعوا لهذا الامر قال

قال عبد الرحمن ان لي ولابن عمي سعد من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا منه على ان نختار رجلا من خيركم
للامة فقال القوم رضينا غير علي فانه اتهمه وقال اري وانظر فلما ايس من رضا علي رجع الى سعد
فقال له هلم فلنعين رجلا ونبايعه فان الناس يبايعون من بايعت فقال سعد ان بايعك عثمن فانا لكما ثالث وان
اردت ان تولي عثمن فعلي احب الي فلما ايس من مطاوعة سعد كف عنهم وجاءهم ابو طلحة في خمسين
رجلا من الانصار يحثهم على البيعة فاقبل عبد الرحمن على علي واخذ بيده وقال ابايعك على ان تعمل بكتاب
الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين ابي بكر وعمر فقال علي تبايعني على ان اعمل بكتاب الله وسنة
رسوله واجتهد رايي فترك يده ثم اقبل على عثمن واخذ بيده وقال له مثل مقالته لعلي فقال نعم فكرر
القول على كل منهما ثلثا فاجاب كل بما اجاب به اولا فبعدها قال عبد الرحمن هي لك يا عثمن وبايعه وبايعه
الناس وفي بعض النسخ زعم اي سادسهم ثم اردف حكاية الحال بالاستغاثة بالله للشورى وللاستفهام
عن وقت عروض الشك للاذهان في الاول منهم وهو الفضل اولا بينا وبه استنهض على سبيل
الانكار والتعجب من عروض لاذهانهم الى ان غادوا يناسبونه باللحمة المذكورين وجعلوهم نظائره واشباهه
في المنزلة، واستحقاق هذا الامر قوله لكني اسففت اذا اسفوا وطرت اذا طاروا واستعار
لاحوال الطاير من الاسفاف والطيران لاحوال من مقارنته لمرادهم ونهوضه على قدر اختيارهم او
اختيار قوله فصغى رجل منهم لضغنه اشار الى سعد بن ابي وقاص فانه كان منحرفا عنه عليه السلم
وهو احد المتخلفين عن بيعته بعد قتل عثمن قوله ومال الاخر لصهره اشارة الى عبد الرحمن بن
عوف فانه مال الى عثمن لمصاهرة كانت بينهم وهو ان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن
ابي معيط وهي اخت عثمان لامه اروى بنت كريز قوله مع هن وهن يريد ان ميله اليه لم يكن لمجرد
المصاهرة بل لاشياء اخر يحتمل ان يكون نفاسة وغبطة لتوصله هذا الامر اليه او غير ذلك قوله
الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه اراد به عثمان وكنى بقيامه عن حركته
في ولاية امر الخلافة، واستعار لحاله تستلزم بتشبيهه بالبعير واستعار وصفه وهو نفج
الحضنين وكنى به عن استعداده للتوسع في مال المسلمين وحركته في ذلك كما استعار تشبيها
له بالبعير ينتفخ جنباه لكثرة الاكل كذلك امتلى من الاكل والشرب وربما قيل ذلك للمتكبر
المنتفخ كبرا وكذلك قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق بقام اي قام بين معتلفه وروثه
وهو من اوصاف البهايم ووجه الاستعارة ان البعير والفرس كما لا اهتمام له الا في ان يكون
بين اكل وروث كذلك نسبه الى انه لم يكن اكبر همه الا التصرف في الموفرة المطعم والمشرب
وساير مصالح نفسه واقاربه دون دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما نقم عليه
قوله وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع الخضم هو مضغ الخاص

شرح بنو ابيه [illegible] عثمان [illegible] التحقيق

وغير مال الله بيت المال واراد ببني ابيه بني امية بن عبد شمس ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص
بني ابيه تغليبا لذكوره وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم في مال المسلمين من يد عثمان وقد نقلت عنه من
ذلك صور احدها انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم ببناته اربع مائة الف دينار وروى ابن ابي قتيبة وثالثها
روي من عدة طرق ان ابا موسى الاشعري بعث اليه بمال عظيم من البصرة فجعل يفرقه في ولده واهله وكان ذلك
بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي فبكى زياد لما راى فقال له لا تبك فان عمر كان يمنع قرابته
ابتغاء وجه الله وانا اعطي قرابتي ابتغاء وجه الله ورابعها روايته في الحكم بن ابي العاص فقدم قات
قضاعة فبلغت ثلثمائة الف فوهبها له حين اتاه بها وخامسها روى ابو مخنف ان عبد الله بن خالد بن
اسيد قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلثمائة الف ولكل واحد منهم بمائة الف وصك
بذلك على عبد الله بن الارقم وكان حينئذ خازن بيت المال فاستكثر ذلك ورد الصك فقال له عثمن
ما حملك على رده وانما انت خازن قال كنت اراني خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك غلامك والله
لا الي لك بيت المال ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمن الى مولاه نائل وروى الواقدي ان
عثمن امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت المال الى عبد الله بن الارقم عقيب فعله ثلثمائة الف درهم فلما دخل
عليه بها قال له يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم اهل
حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله ما لي اليه حاجة وما عملت لان يثيبني
عثمان فان كان هذا من بيت المال فما بلغ قدر عملي ان اعطى ثلثمائة الف وان كان من ماله فلا حاجة لي
به وبالجملة فمواهبه لاهله وذويه مشهورة وقد شبه عليه السلم خضمهم للمال بخضم الابل نبتة الربيع ووجه
التشبيه ان الابل لما كانت تستلذ نبت الربيع بشهوة صادقة وتملا منه احناءها وذلك لمحبته
عقيب يبس الارض وطول مدة الشتاء وهو ذلك طيبه ونضارته كان من اكله اقارب عثمن من بيت المال
شبهها لذلك من جهة كثرته وطيبه لهم عقيب فقرهم وكل ذلك في معرض الذم والتوبيخ المستلزم
لارتكاب مناهي الله المستلزم لتاهل الامر الخلافة قوله الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله
وكبت به بطنته اشار الى ما نقم عليه من الاحوال المذكورة واستعار لفظ الفتل وهو ابرام الحبل لما كان
يبرمه من الحال والتدبير ويستبد به دون الصحابة وكنى به عنه وكذلك لفظ الانتكاث لانتقاض تلك التدابير
ورجوعها عليه بالفساد والهلاك وقوله واجهز عليه عمله يشتمل على الاجهاز في الايراد والتركيب الملايم للايراد
فلان استعمال الاجهاز انما يكون حقيقة في قتل تقدمه جرح او القتل او اثخان تضرب ونحوه وقتل
عثمن سبقه الطعن باسنة الالسنة والجرح بحداد سيوفها لاجرم اشبه اصل الاجهاز فاطلق عليه
لفظه واما في التركيب فلان اسناد الاجهاز الى العمل ليس حقيقة لصدور القتل عن القاتلين لكن لما كان
عمله هو السبب الحامل لهم على قتله صح اسناد الاجهاز اليه اسناد الفعل السبب الفاعلي الى السبب الحامل
وهو من وجوه المجاز فلذلك قوله وكبت به بطنته مجاز ايضا في الاسناد والتركيب فان الكبو انما هو حقيقة

في الاسناد الى الحمران ولما كان ارتكابه الامور التي نقمت عليه وتوسعه في بيت المال الغني عن ذكر بالبطنة
واستمر لاجل ذلك مدة خلافته سليما يشبه ركوب الزمن واستمرار مشيه سليما من العثار والكبو
كانت البطنة مشبهة له بكبوة من هذه الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا قوله فما راعني
الا والناس الي كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب الى المتعلق بمحذوف تقديره مقبلين الي وفاعل
راعني اما الجملة الاسمية وهو مسموع قول الكوفيين اذ جوزوا كون الجملة فاعلا واما ما دلت عليه من هذه الجملة
وكانت مفسرة له من المصدر اي فما راعني الا اقبال الناس الي وهو في مذهب البصريين مشغل كون الجملة فاعلا
ونظيره قوله ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه وسائر امثاله ثان للمبتدأ او حال عن راعني والعامل فيه
الى والاشارة الى وصف ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمان وقد شبههم في اقبالهم اليه وازدحامهم
اليه بعرف الضبع ووجه ذلك ان الضبع ذات عرف كثير والعرب تسمي الضبع عرفاء لعظم عرفها
فكان حال الناس في اقبالهم عليه متتابعين يتلو بعضهم بعضا قائما ازدحام يشبه عرف الضبع قوله
حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي اشارة الى غاية ازدحامهم عليه وهي وطئ ولديه الحسن والحسين عليهما السلام
وشق ردائه بالجذب عند خطابه والجلوس على جانبيه وفي الرواية الاخرى والمراد بالشق اما الاذى
الحاصل للصدر والمنكبين او شق قميصه بالجلوس على جانبيه واطلاق لفظ العطفين على جانبي القميص
اطلاقا لاسم المجاور على مجاوره او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب ان يكنوا امراؤهم كبراؤهم
في قلة التوقير والتعظيم في المخاطبات ففعلهم ذلك بما فرح به عليه السلام او لجلافة طباع رعاعهم وحكى
السيد المرتضى رضي الله عنه ان ابا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلام وطئ الحسنان ابهاماه
وانشد للشنفرى مهضومة الكشحين خرماء الحسن وروى ان ابا الحسين انما كان يجلس محتبيا
وهي جلسة رسول الله صلعم المسماة القرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل فلما اجتمعوا اليها ليبايعوه زاحموه
حتى وطئوا ابهاميه وشقوا ذيله بالوطي ولم يعن الحسن والحسين وهما رجلان كسائر الحاضرين وهذا القول
يؤيد الرواية الاولى واعلم ان اراد الحسن والحسين اظهر قوله مجتمعين حولي كربيضة الغنم مجتمعين
منصوب على الحال كالذي قبله والعامل واحد او يقوله وطئ وشق وقد شبه اجتماعهم حوله بربيضة الغنم ووجه
التشبيه ظاهر ويحتمل ان يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي انه شبههم بالغنم
لغفلتهم عن وضع الاشياء في مواضعها وقلة فطانتهم وعدم استعمالهم الادب معه او مطلقا
والعرب تصف الغنم بالغباوة وقلة الفطانة قوله فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى
اخرى وقسط آخرون اراد بالناكثين طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته بخروجهما عليه وكل من خرج معهما
ممن تابعه وبالمارقين الخوارج وبالقاسطين او الفاسقين اصحاب معاوية وهذه الاسماء سبقت
من الرسول صلعم اذ حكى في معرض اخباره اخبره بانه سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين بعده
وانما خص الخوارج بالمروق لان المروق هو مجاوزة السهم للرمية وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا [illegible]

في سلك الحق لانهم بالغوا بزعمهم في طلبه الى ان تعدوه وتجاوزوه لاجرم حسن ان يستعار لهم لفظ
المروق لمكان المشابهة وقد اخبر الرسول صلعم عنهم بهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من
الرمية واما تخصيص اهل الشام بالقاسطين فلان من لوازم الفسق والقسط هو الجور والخروج عن سنن الحق وقد
كانوا اكدوا ذلك لمخالفتهم له عليه السلام والخروج عن طاعته وكان اطلاق اسم القاسطين عليهم لذلك قوله كانهم لم يسمعوا
الله تعالى يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون الآية تنبيه لهم لمن لم يسمع هذه الآية ووجه التشبيه عدم
عملهم بمقتضاها والاعراض عنه وفيه تنبيه لاذهان الطوائف الثلاث المذكورة ولمن عساه يتخيل الحق
في سلوكه مسالكهم على ان ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال له انما هو طلب العلو والفخر في الدنيا المستلزم
للبغي في الارض بالفساد واعراض عن الدار الآخرة وحسم مادة اعذارهم ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن
هذا غافلين فيقولوا عند لقاء ربهم لو سمعنا هذه الآية ووعيناها لما ارتكبنا هذه الافعال فيزعمون
ان الحق في هذه المتصلة هو استثناء نقيض تاليها لينتج لهم نقيض مقدمها وتقديره على هذا العذر
لهم على سبيل التهكم بهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة عما فعلوه ثم اراد عليه السلام تكذيبهم في ذلك العذر وتقريعهم اعتقادهم
به فاشار الى تكذيبهم في السمع بوضع نقيضها من كذا القسم البارز الى الحشو لزوم هذه المتصلة بقوله بلى والله لقد
سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم ونبه على ان وضع المقدم المذكور في المتصلة لا يستلزم تاليها مطلقا
بل استلزامه موقوف على زوال المانع وهو حاصل لهم الآن وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم بها وعلى
تقدير حصول المانع المذكور جاز ان يجتمع هذا المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكاب هذه الافعال قوله
اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الى آخرها اقول لما ذكر
من حال القوم وحاله معهم ما ذكر من الشكاية والتظلم في امر الخلافة وذم الشورى وما انتهى اليه الحال التي اوجبت
نزوله عن رتبته الى ان قرن بالجماعة المذكورين اردف ذلك ببيان الاعذار الحاملة له على قبول هذا الامر والقيام به
بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك تأكيدا هذا القسم العظيم مباينا وهما فالق الحبة وبارئ النسمة
واعلم ان الوصف الاول قد ورد في القرآن الكريم وهو قوله فالق الحب والنوى وانما خص الحبة والنسمة بالتعظيم النسبة
الى الله تعالى لما اشتملتا عليه من لطف الخلقة وصنع الحكمة وبدائع الصنع الدالة على وجود الصانع الحكيم اما
فلق الحبة ففيه قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك فالق الحب اي خالقه فعلى هذا يكون قوله عليه السلام فالق
الحب كقوله فاطر الخلائق بقدرته وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان فلق الحبة هو الشق الذي في وسطها وتقرير
هذا القول ان الحبة من الحنطة مثلا لما كانت من غايتها ان يكون شجرة مثمرة ينتفع بها الحيوان جعل الله
سبحانه في وسطها ذلك الشق حتى اذا وقعت في الارض الرطبة ثم مرت بها مدة من الزمان جعل سبحانه
الطرف الاعلى من ذلك الشق مبدأ لخروج الشجرة الصاعدة الى الهوا والطرف الاسفل مبدأ العروق الهابطة
الى الارض التي منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدائع من الحكمة شاهدة بوجود المدبر الحكيم احدها ان طبيعة
تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهوا وعلى العكس

فلا تكون لبعضها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس بمجرد الطبيعة بل بتقدير الحكمة الالهية وثانيها ان اطراف
الطراف تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لعلها لا يشاهد بادنى قوة لصادقات فانها في غاية
تلك اللطافة تسري في خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام
اللطيفة الضعيفة لا بد وان يكون بتقدير العزيز الحكيم وثالثها انك قد تجد الطبائع الاربع حاصلة في الفاكهة
الواحدة كالاترجة فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحامضه بارد يابس وبذره حار يابس فتولد
هذه الطبائع المتضادة عن الحبة الواحدة لا بد وان يكون بتدبير الفاعل الحكيم ورابعها انك اذا نظرت الى
ورقة من اوراق الشجرة المتولدة من الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما كالنخاع الشبيه لبدن الانسان
ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن الشعب شعب اخرى الى ان يستدق ويخرج تلك الخطوط عن ادراك البصر
والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك لتتقوى القوة الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء
اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة واذا وقفت على عناية الله سبحانه في تكوين تلك الورقة الواحدة
الواحدة علمت ان عنايته في جملة الشجرة اكمل وان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا علمت انه
خلق جملة النبات لمصلحة الحيوان علمت ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود
من خلق الحيوان انما هو الانسان علمت ان الانسان هو اعز واشرف مخلوقات هذا العالم وان الله
واكمل عنايته عليه وانه قد اكرمه بانواع الاكرام كما قال ولقد كرمنا بني آدم الآية وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واما السمة فلعلك في عجائب صنع الله بدون الانسان بكتب الشريحة ويعلق بالاطراف ذكره في الخطبة
الاولى اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام ذكر من تلك الاعذار اربعة احدها حضور الحاضرين لبيعته والثاني
قيام الحجة عليه بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك القيام الثالث ما اخذ الله على العلماء
من العهد على الكظة وقمع الظالمين ودفع الظلامات عن المظلومين والعذران الاولان هما
شرطان في الثالث اذ لا سعة ولا مجال لكاظ المسلم بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وبسغب
المظلوب عن قوة ظلامته وقوله والقيت حبلها على غاربها استعاره وصف من اوصاف
الناقة للخلافة اولامة كنى بها عن تركه لها واهماله امرها ثانيا كاهمال اولا ولما استعار لها لفظ
الغارب جعل للحبل يلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة واصل ان الناقة يلقى زمامها على
على غاربها وتترك ليرعى قوله ولسقيت اخرها بكاس اولها استعارة لفظ السقي
للترك المذكور ايضا وترشيح تلك الاستعارة بذكر الكاس ووجه تلك الاستعارة ان السقي بالكاس
مستلزم الوجود الشكل غالبا وكان اعراضها واهمالها حال وقوع الناسخ ما ذكره من الطخية العمياء
المستلزمة لحيرة كثيرة من الخلق وضلالهم الذي يشبه السكر واشد منه لاجرم حسن ان يعبر
عن ذلك الترك بما يسقى بالكاس قوله ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز عطف
على ما قبله ويفهم منه انه عليه السلام طالب للدنيا ولا عنده قيمة الا ان طلبه لها واحرص على الآخرة فيها ليس الا انما

لا ينافي بل لما ذكرناه من نظام الخلق واجراء امورهم على القانون العدل الماخوذ على العلماء كما اشار اليه
ونظم هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لولا حضور الحاضر ولم تقم الحجة ولم يوجد على العلماء ما اخذ عليهم
من الانكار المنكر اذا لتمكنت الترك كما اخرا كما تركت اولا ولوجدتم دنياكم هذه اهون عندي مما لا ينتفع به
ومن عفطة العنز فاما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة فانا ذكر اهل السواد سواد العراق وابي الحسن
الكيدري ذكر انهم وجدت في الكتب القديمة ان الكتاب الذي دفعه الرجل الى امير المؤمنين عليه السلام كان فيه عدة مسائل على
احدها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما نسب فاجاب عليه السلام بانه يونس بن متى
خرج من بطن الحوت الثانية ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام فقال عليه السلام هو نهر طالوت لقوله
الا من اغترف غرفة بيده الثالثة ما العبادة التي ان فعلها واحد استحق العقوبة وان لم يفعلها استحق
ايضا العقوبة فاجاب عليه السلام بانها صلوة السكارى الرابعة ما الطائر الذي لا فرخ له ولا فرع ولا
اصل فقال عليه السلام هو طائر عيسى عليه السلام في قوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني
الخامسة رجل عليه من الدين الف درهم وله في كيسه الف درهم فضمنه ضامن بالف درهم فحال
عليها الحول فالزكوة على اي المالين تجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه الدين فلا يكون عليه وان ضمنه
من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله السادسة حج جماعة ونزلوا في دار من دور مكة واغلق
واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال عليه السلام
على الذي اغلق الباب ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء السابعة شهد شهود اربعة على محصن بالزنا
فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلثة الباقين ووافقه قوم اجانب في الرجم فرجع من
رجم عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته
يقبل شهادتها لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
الآية ومن يستكبر عن عبادة الله لا يشهد الزور العاشر قطع انسان يد آخر فحضر
اربعة شهود عند الامام وشهدوا على قطع يده وانه زنى وهو محصن فاراد الامام
ان يرجمه فمات قبل الرجم فقال عليه السلام على من قطع يده دية يده فحسب ولو شهدوا انه سرق نصابا
لم يجب دية يده على قاطعها والله اعلم
بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم يفقه الواعية كيف
يراعي النبأة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم عواقب
الغدر واتوسمكم بحلية المغترين سترني عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية
اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا
تميهون اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب رأي امرئ تخلف عني ما شككت
في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال اليوم
تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظمأ اقول هذه الفاظ ملتقطة من

تعني
الشهود وعلى من اقتص
على من رجع من الشهود
شاهد ... الشاهد
الدراهم الكائنة على
... اليهود على
شاهدان انه اسلم فقال
يهودي ... الاسلام
لا تقبل شهادتهما لان كلام
يجوز ... الزور
الله وشهادة الزور
وان شهدا بان
النصارى على نصراني
ويهودي او مجوسي
انه اسلم فقال

من خطبة طويلة روى انه خطب بها امير المؤمنين عم بعد قتل طلحة والزبير تسنمتم اى ركبتم سنامها
و سنام كل شىء اعلاه والسرار الليلة او الليلتان تكون في اخر الشهر تستتر فيها القمر
وتختفى والوقر الثقل في السمع وتعقب لا اى فهمته والواعية الصارخة والنبارة
الصوت الخفى والسمة العلامة وسنن الحق وجهه وطريقه وماهت البير كثر
ماؤها وعزب اى غاب واوجس احس والظماء العطش اعلم ان هذه
الالفاظ من افصح كلامه عليه السلام وهى مع استمالها على كثرة المقاصد الواعظة المحركة
للنفس في غاية الوجازة ثم من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة منها تصلح لان تفيد
على سبيل الاستقلال وعلى ما تدل عليه من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض قوله بنا
اهتديتم في الظلماء الضمير المجرور راجع الى الرسول صلعم و الخطاب للحاضرين الوقت من
قريش المخالفين له مع طلحة والزبير وان صدق في حق غيرهم والمراد انا سبب هدايتكم
بانوار الدين و ما انزل الله من الكتاب في الحكمة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
حيث كنتم من ظلمات الجهل وتلك الهداية هى الدعوة الى الله وتعليم الخلق كيفية السلوك
الى حضرة قدسه قوله وتسنمتم العلياء اى سلكم الهداية وشرف الاسلام علا قدركم وشرف
ذكركم ولما استعار وصف السنام للعليا ملاحظة لشبهها بالناقة رشح تلك
الاستعارة بذكر التسنم وهو ركوب السنام وكنى به عن علوهم قوله وبنا انفجرتم
عن السرار استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل في الجاهلية وخمول الذكر
ولفظ الانفجار عن خروجهم من ذلك الى نور الاسلام واشتهارهم في الناس وذلك
لتشبههم بالفجر الطالع من ظلمة السرار في الضياء والاشتهار قوله وقر سمع من
لم يفقه الواعية الكتاب الى الدعاء بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه بواسطته علما
ولا يستفيد من السماع به مقاصد الكتب الالهية وكلام الانبياء عليهم والدعاة الى الله
وحق لذلك ان يكون اصم اذ كانت الفائدة منه المقصودة للحكمة الالهية اكتساب
النفس من جهته ما يكون سببا لكمالها وقوتها على الوصول الى جناب الله وساحل عزته فاذا
كانت النفس معرضة عما يحصل من جهته من الفائدة وربما كانت موردا لمتلقيه منه ما يؤديه
من الشرور الحادثة لها الى الجنبة السافلة فحقيق به ان يكون موقورا ومن دعى بوقر على
ما لم يسم فاعله فالمراد او وقره الله وهو كلام على سبيل التمثل وردة في معرض التوبيخ
لهم والتبكيت بالاعراض عن اوامر الله وطاعته وكنى بالواعية عن نفسه اذ صاح فيهم بالموعظة
الحسنة والحث على الالفة وان لا يشقوا عصا الاسلام فلم يقبلوا و وجه نظام هذه
الكلمة مع ما قبلها انه لما اشار اولا الى وجه شرفه عليهم وانه ممن اكتسب منه الشرف والفضيلة
وكان ذلك في مقابلة نفارهم واستكبارهم عن طاعته اردف ذلك بهذه الكلمة المشتملة
للدعاء

للدعاء عليهم كيف لم يفقهوا بيانه للوجوه الموجبة لاتباعه وتقبلوه بعد ان سمعوه وهذا
كما تقول اخو من العلماء لبعض تلاميذه العاقين له المدعى لمثل فضيلته انك بي اهتديت
من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا سبب لشرفك فكيف عليّ وقد تحمل لم تفقه قولي
وتقبله قوله يراعى النبارة من اصمته الصيحة استعار لفظ النبارة لدعائه لهم وندائه
الى سبيل الحق والصيحة لخطاب الله ورسوله وهي استعارة على سبيل الكناية عن ضعف
دعائه بالنسبة الى قوة دعاء الله ورسوله لهم وتقريره ان الصوت الخفى لما كان لا يسمع
عند صوت الرعد اذ من شان الحواس ان لا يدرك الاضعف مع وجود الاقوى لما تلزمه الكيفية
لاستعمالها به وكان كلامه عم اضعف من جذب الخلق وفي قبولهم له من كلام الله وكلام
رسوله جرى كلام الله وكلام رسوله مجرى الصوت القوى في حقهم وكلامه مجرى الصوت الخفى
بالنسبة اليه واسناد الاصمام الى الصيحة من ترشيح الاستعارة اذ كان من شان الصيحة
الشديدة اذا قرعت السمع ان تصمه وتحتمل ان تكون كناية عن بلوغ كلام الله على
اسماعهم الحد الذي ملك سماعه بحيث بعده ما هو في معناه خصوصا ما هو اضعف كلا
يسمع الصوت الخفى من اصمته الصيحة وقد وردت هذه الكلمة مورد الاعتذار لنفسه في
عدم فائدة وعظه لهم والاعتذار لهم وذلك ايضا على سبيل التهكم والذم ووجه نظامها
مع ما قبلها انه لما كان تقدير الكلمة الاولى وقرت اسماعكم كيف لا تقبلون قولي البعث عنه
قال كيف يسمع قولي من لم يسمع كلام الله ورسوله على كثرته تكرر على اسماعهم وقوة اعتقادهم
وجوب قبوله وكيف ياخذون بسماعه من قد اصمهم نداء الله قوله ربط جنان لم يفارقه
الخفقان دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا يزال الخفقان من خشية الله والاشفاق من
عذابه بالثبات والسكينة والاطمئنان والتقدير ربط جنان نفسه ومن دعى بصيغة
الفاعل على ما لم يسم فاعله فالتقدير ربط الله جنانا ذلك وهو موجب لهم الدرجة الخائفين
وبحسبه على ملاحظة نواهي الله فيفيئوا الى طاعته ووجه اتصاله بما قبله ان ذكر الشريف
وصاحب الفضيلة في معرض التوبيخ لمن تراد منه ان يسلك مسلكه ويكون بصفاته من
اعظم الجواذب له الى التشبه به ومن احسن الاستدراجات له فكانه قال كيف لم تلتفت
الى قولي حتى لم تلتفت الى كلام الله لله در الخائفين من الله المراعين لاوامره النحليين عن عيره
ما ضركم لو تشبهتم بهم فرجعتم الى الحق وقمتم به قيام رجل واحد قوله ما زلت انتظر
بكم الغدر واتوسمكم بحلية المغترين اشارة الى انه عم كان على ثقة من امرهم اما باطلاع
الرسول صلعم على انهم بعد تبعيتهم له تغدرون به او لانه كان يلوح له من حركاتهم واحوالهم
بحسب فراسته الصادقة فيهم كما اشار بقوله واتوسمكم بحلية المغترين وذلك لانه فهم انهم
من اهل الغرة وقوله الناحل عن ادنى شبهة بالاحالة من صفاتهم الدالة على ذلك وكان

علمه بذلك منهم مستبلين بالعلم بعد رحلتهم لعهده ونقضهم لبيعته وكان منتظرا ذكرهم في قوله
سيبين لا عنكم جلباب الدين حالسي وسنكم ونسبتي عن اعين بصائركم ان تعرفوني بما افترى عليه
من العنف بكم والغلظة عليكم وتبينا ترجو تفرقكم ورد عليكم عن الباطل ودارهما ونفقتي على الذين
من الرفق والشفقة وسحبت ذيل العفو عن الجرائم فكان الدين غطا حال بينهم وبين معرفته فاستعار
له لفظ الجلباب ويحتمل ان يريد انه لتلبسه بالدين الحق في جميع حالاته وجهلهم بان ما هو عليه الدين
كانه في ستر من الدين عنهم فهم لا يعرفونه حتى لو عرفوا ان ما هو عليه هو الدين الحق لا تبعوه وروى
سيركم عني اي عصم الاسلام مني دمائكم واتباع مدبركم وان اجهز على جريحكم وغير ذلك مما يفعل
من الاحكام بحق الكفار قوله وبصرتكم صدق النية اراد بصدق نيته اخلاصه لله في
وصفاء مرآة نفسه وانه بحسب ذلك ابصر على بصيرته نور معرفة احوالهم وما يؤول اليه عاقبة
امورهم كما قال النبي صلعم المؤمن ينظر بنور الله قوله اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة تنبيه
لهم على وجوب اقتفاء آثاره والرجوع الى لزوم اشعة انواره في سلوك سبيل الله واعلام
لهم انه واقف على سواء السبيل الحق وفي طرق التيه من زال ليرشدهم عنها ولينتفي ذلك في المثل
المشهور عن رسول الله صلعم روي انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سور فيه
ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور مرخاة وعلى راس الصراط داعي يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا
قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي هو القرآن
فنقول لما كان علي عليه السلم هو الواقف على اسرار الكتاب والمحيط بجوامع علمه وحكمته والمطلع على اصول
الدين وفروعه كان هو الناطق بالكتاب الداعي به الواقف على راس سبيله والمقيم عليها ولما كان سبيل الله
وصراطه المستقيم في غاية الوضوح والبيان له وكان مستنبطا لما من الحدود والمقدمات متخلصا
لمزال الاقدام فيها وما يتشابه عليها من الشبهات كان بحسب قوته المدينة لهذا العالم بعد رسول الله
هو الواقف على تلك الابواب المفتحة التي هي موارد الهلاك وابواب جهنم وجواد المضلة والسالك
لما لحدود داعيه وسائر نواهيه والمذكر بعظيم وعيده والقائد لاذهان السالكين للصراط فيها
وذلك حيث تلتفت اذهانهم في ظلمات الجهل فلا يبصر دليلا هناك سواه ويطلبون ما الحيوة بالبحث
والفحص من اودية القلوب فلا يجدون به ماء الا معه وايضا فلما كان من ضرورة السالك لطريق ان يكون
له دليل يهديه وما يعطشه شبههم عليه السلم على انه هو الدليل في طريق الاخرة ومعه الماء المشار
واستعار لفظ الاحتفار للبحث عن مظان العلم ولفظ الماء للعلم كما سبق بيان وجه المشابهة
قوله اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان كنى بالعجماء ذات البيان عن الحال التي يشاهدونها
من العبر الواضحة والمثلات التي حلت بقوم فسقوا عن امر ربهم وعن ما هو فيه من كمال فضله عليهم
بالنسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروا من حال الدين وحفظه اوامره التي يحثهم على اتباعها فان كل
هذه الاحوال امور لا نطق لها حقيقة وشبهها لذلك بالعجماء من الحيوان واستعار لها لفظ الوضعها لكونها

كونها ذات البيان لان لسانها الحالي مخبر لمثل مقاله على ناطق بوجوب اتباعه وشاهد لهم ودليل
على ما ينبغي ان يفعلوه في كل مآرب وذلك هو البيان فكانه عليه السلم انطق العجماء اذ اعرب بلسان مقالته
عنها ما كان تقتضيه ويشاهده من نظر اليها بعين بصيرته وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك
واخرج ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وكقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني فقال
سل من يدقني وروى بعضهم انطق مقفوة الشرة وقال العجماء صفة لحروف تفتتح به الكلمات
واراد بها ما ذكره في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان اذ لا نطق لها في حقيقة ومع ذلك
يستفيد الناظر فيها اعظم الفوائد في ذوات بيان عند اعتبارها قوله عزب راي امرئ تخلف
عني اشارة الى ذم من تخلف عنه وحكم عليه بالشقوة وعدم اصابة الراي حال تخلفه عنه وذلك
ان المتخلف لما تكلم في اي الامور اتبع له ان يكون من متابعيه او المتخلف عنه ثم راى ان التخلف عنه
اوفق كان ذلك اسوء الآراء وابعدها في نفس الحقيقة لما تقدم على ذلك تعزب راي تحيره او ان الراي
الحق كان عازبا عنه حين حدثه في معرض التوبيخ للقوم على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره
قوله ما شككت في الحق مذ رأيته بيان لبعض اسباب وجوب اتباعه وعدم التخلف عنه فهو يذم
في معرض التوبيخ للقوم من الحق وافاضه على نفسه اذ لقد شبهة في الكمال الحاصل من الجبال الكامل
وثبته على استثبات الحق الذي رآه وبيده جليا بحيث لا يعرض له شبهة فيه والاما ينبغي لذلك
على وجوب عصمته وطهارته عن الارجاس التي منشاوها ضعف النفس قوله ولم يوجس موسى
خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال فاشفق في تقدير الاستثناء كانه بعد النفي
اي لكن اشفق وقيل اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفة لان الاشفاق خوف
والتقدير ولم يوجس موسى اشفاقا على نفسه اشد من غلبة الجهال والمقصود التنبيه على
ان الخوف الذي يخافه عليه السلم منهم ليس على مجرد نفسه بل اشد خوفه من غلبة اهل الجهل على الدين
وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال فيعمي طريق الهدى وينسد مسالك الحق كما خاف موسى عليه من
غلبة جهال السحرة حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون توافقنا على سبيل
الحق والباطل الموافقة المفاعلة من الطرفين والخطاب للمقابلة في القتال والمراد اني واقف على سبيل
الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه وهو تنفير لهم عما هم عليه الآن هم عليه قوله
من وثق بماء لم يظمأ مثل نبه على وجوب الثقة بما عنده اي انكم ان سكنتم الي وثقتم بما كنتم اقرب
الى اليقين والهدى وابعد عن الضلال والردى كما ان الواثق بالماء في اداوته امن من العطش وخوف
الهلاك وبعيد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عما اشتمل عليه من العلم كيفية الهداية الالهية فشانه
الماء الذي لا ظمأ معه ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة
وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن

ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فان اقل يقولوا
حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن
ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم
اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اقول سبب هذا الكلام ما روي انه لما تم في
سقيفة بني ساعدة لابي بكر امر البيعة اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع الحرب بين المسلمين
ليقتل بعضهم بعضا فيكون في ذلك دمار الدين فمضى الى العباس فقال له يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم
قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم وجعلوه في بني تيم وانه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ
من بني عدي فقم بنا حتى ندخل على علي ونبايعه وانت عم رسول الله وانا رجل مقبول القول
في قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم فاتيا امير المؤمنين عليه السلام فقال له ابو سفيان
يا ابا الحسن لا تغافل عن هذا الامر متى كنا تبعا لتيم الارذال وكان عليه السلام يعلم من حاله انه لا يقول
ذلك غضبا للدين بل للفساد الذي رواه في نفسه فاجابه عليه السلام بهذا الكلام عن جوابه اي حيلة
والحرف او انفلاح الفوز والنجاة والاجون تغير الماء وفساده وغص باللقمة
يغص بفتح الغين اذا وقفت في حلقه فلم يسغها وايناع الثمرة ادراكها واندمجت على كذا
اي انطويت عليه وسترته في باطني والباء في بالرشا الظهور والطوي البئر والرشا حبلها وقوله
شقوا امواج الفتن بسفن النجاة شبه عليه السلام الفتنة بالبحر المتلاطم ولذلك استعار
له لفظ الامواج وكنى بها عن حركة الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لان ثوران البحر
والفتنة عند هيجانهما يكونان سببا لهلاك الخائضين فيهما واستعار سفن النجاة لكل ما يكون
وسيلة الى الخلاص من الفتنة من حيلة او حيلة مخلصة او صبر ووجه المشابهة كون
كل منهما وسيلة الى السلامة اذ كانت الطرق المذكورة طرق السلامة من ثوران الفتنة
والهلاك فيها كما ان السفينة سبب للخلاص من امواج البحر وقوله وعرجوا عن طريق
المنافرة امرهم بالعدول عن طريق المنافرة الى السكون والسلامة وما يوجب سكون الفتنة
وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة امر بطريق آخر من طرق النجاة وهي ترك المفاخرة
فان المفاخرة مما يهيج الاضغان ويثير الاحقاد ويوجب قيام الفتنة ولما كان اكثر ما
ينتهي اليه ارباب الدنيا من المفاخرة لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة والانساب
الكريمة والعيشات الحسنة من اسباب الافتخار الدنيوي ومنشأه كانت المشابهة
بينها وبين التيجان حاصلة فاستعار لها لفظها وامرهم بوضعها وقوله افلح من
نهض بجناح او استسلم فاراح لما نهى عليه السلام عن الفتنة وسنن المفاخرة والمنافرة ليبطل الفتن
محمود دين اردف ذلك بالاشارة الى انه كيف ينبغي ان يكون حال المتصدي لهذا الامر وكيف يمكن

طرق فوزه بمطالبه او النجاة الى محل الفوز من نهض بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان والانصار ووجه
المشابهة ظاهر فان الجناح لما كان محل القدرة على الطيران والنهوض كانت الاعوان والانصار بهم
القدرة على النهوض الى الحرب والطيران فيه فلا جرم حصلت المشابهة واستعير لهم لفظ الجناح
وحكم بالنجاة للمستسلم عن عدم الجناح وكلاهما يشملها الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على انه ناصر في
هذا الامر ويفهم من الكلام انه ليس ما ذكرتم بل الصواب فيما نفعل ذوي الرأي في هذا الامر انه اما ان يكون
ذا جناح فينهض فيفوز بمطلوبه او لا يكون فيستسلم وينقاد فينجو ويريح نفسه من تعب المطالب
وقوله ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها بنسبته على المطالب الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة بالكدر
والتغير والنقص واشار الامر لخلافة في ذلك الوقت وشبهها بالماء واللقمة ظاهر او عليها امارة حياة
الدنيا وامر الخلافة اعظم اسباب الدنيا فيشابهها فاستعار لفظها لما بطلت عنه وكنى بها عنه ولما كان
اجون الماء والغصص باللقمة مما ينغصهما ويوجب نفار النفس عن قبولها وكانت المنافسة في امر الخلافة
والتجاذب والتنازع بين المسلمين فيها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفير عنها وتنغيصها وعدم
الالتذاذ بها لا جرم اشبه الماء الآجن والغصص باللقمة على ذلك الوجه وكنى بها عنها لسلب من فوزه من
استنهضه في هذا الامر من بني هاشم فكانه قال هو لقمة منغصة وجرعة لا يسيغها شاربها وقوله
ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه تنبيه على ان ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا
الامر اما لعدم الناصر او لغير ذلك وكنى بمجتني الثمرة عن طالبها فاستلزم تشبيهها بالثمرة ايضا
لاشتراكهما في كونهما محلا للالتذاذ ونحوه سمه مجتني الثمرة لغير وقتها كالزارع بغير ارضه ووجه
الشبه عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع بغير ارضه في محل ان يمنع من ذلك التصرف ويبطل سعيه
ولا ينتفع بزرعه فكذلك مجتني الثمرة في غير وقتها لا ينتفع بها فكذلك طالب الخلافة في ذلك الوقت وقوله
فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت شكاية من الالسن والاوهام
الفاسدة في حقه وورودها في معرض الكلام واشارة الى انه سواء طلب هذا الامر او سكت عنه فلابد من ان يقال في
حقه وينسب الخفي العام والطلب ينسب الى الحرص على الامرة والاهتمام بامر الدنيا وفي السكوت ينسب الى
الذلة والعجز وخوف الموت واوهام الخلق والسنتهم لا تزال مولعة بامثال ذلك بعضهم في حق بعض
في المنافسات وقوله هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه
ورد موردا التكذيب للاوهام الحاكمة في سكوته بجزعه اي بعد ما يقولون واللتيا والتي كنايتان عن الشدة لعظمه
والمصائب العظيمة والحقيرة واصل المثل ان رجلا تزوج امرأة قصيرة صغيرة الخلق فقاسى منها شدائد
فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاساه من الصغيرة القصيرة فطلقها وقال بعد اللتيا
والتي لا اتزوج ابدا فصار ذلك مثلا للدواهي الكبيرة والصغيرة ونقل مراده ابعد ملاقاة كبار الشدائد
وصغارها انسب بالجزع من الموت بعد ما يقولون ثم اكد تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار انه آنس بالموت
من الطفل بثدي امه وذلك امر مشهور من حاله عليه السلام اذ كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه ورئيس الاولياء الذين هم اهل المحبة

الموت ولا اشد من امر يكون فيه نفوس اولياء الله لكونه وسيلة لهم الى لقاء اعظم محبوب وفي الوصول الى اكمل مطلوب
وانما كان اشد من الطفل بثدي امه لان محبة الطفل للثدي وانسه به وميله اليه ميل طبيعي
حيواني في معرض الزوال ومثله عليه السلام الى لقاء ربه والوسيلة اليه ميل عقلي باق وما بين
احدهما من الآخر [illegible] قوله بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية
في الطوي البعيدة اشارة الى سبب سكوته عليه السلام عن الطلب والقيام عما نسبوه اليه من الجزع
والخوف من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علمه بعواقب الامور وادبارها ونظائره
النتائج الحركات بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء المرئية العالية
فادت نسخت فيها كما هي مما يوجب توقفه عما يعلم ان فيه فسادا او بدعة الى ما يعلم فيه مصلحة
بخلاف الجاهل الذي يقدم على عظائم الامور ويقطعها لا عن بصيرة فاشار الى ذلك بهيئة
على عظم قدر العلم الذي انطوى عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية والجملة الشرطية
في موضع الجر صفة لعلم واشار باضطرابهم عند ذلك الى تشتت آرائهم عند ان يكشف
لهم ما يكون من امر الخلافة والى من ينتهي والى ما يؤول الحال الناس اذا كان ذلك ما وقفه
عليه الرسول صلعم واعده لهم فان كثيرا منهم في ذلك الوقت كان نافرا عن عمر واخرين عن عثمن
مصلا عن معاوية ومنهم من كان يؤهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد
عقدها لابي بكر كان يرجوا ان يؤول اليه بعده واذا كان الامر كذلك فظاهر انه عليه السلام لو باح لهم
بما علمه من عاقبة هذا الامر لم يكن لهم ذلك النظام الحاصل في ذلك الوقت لياس بعضهم من
وصول ذلك الامر اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر ونفرتهم منه ونفار آخرين من بني امية
وما يكون منهم ويشبه اضطراب آرائهم عند ذكر النقدير باضطراب الارشية في الطوي
البعيدة مبالغة وهو تشبيه المعقول بالمحسوس وذكر ان الطوي كلما كانت اعمق كان
اضطراب الحبل فيها اشد لطوله فلا كل حالهم حسيد اي يكون لكم اضطراب قوي واختلاف
شديد وقيل اراد ان الذي يمنعني من المنافسة في هذا الامر والقتال عليه هو شغلي
بما انطوت عليه من العلم باحوال الآخرة وما شاهدته من نعيمها وبؤسها مما لو كشفته
لكم لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة خوفا من الله ووجلا من عقابه
وشوقا الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر الدنيا وهذا الوجه يحتمل لا انه
من هذا الكلام ولعل في تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه

والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل اليها
طالبها ويختلها راصدها ولكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع
المطيع العاصي المريب حتى يأتي علي يومي والله ما زلت مدفوعا عن حقي مستأثرا علي منذ
قبض الله نبيه صلعم حتى يوم الناس هذا اقول ويروى ابو عبيدة [illegible]

على عليه بعد الطواف وتدعيرهم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فاشار عليه الحسن ان
لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال في جوابه هذا الكلام وروي في سبب نقضهما البيعة
انهما دخلا عليه بعد ان تابعاه بايام وقالا انك علمت جفوة عثمان لنا وميله الى بني امية
مدة خلافته وطلبا منه ان يوليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما حتى انظر ثم استشار
عبد الله بن عباس فمنعه من ذلك فعاوداه فسخطا ونقلا ما نقلا قال الاصمعي اللدم بسكون
الدال الضرب بحجر او غيره على الارض ليس بالشديد ويحكى ان الضبع تستغفل في جحرها بمثل
ذلك فتسكن حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها انهم يضعون في جحرها حجرا ويضربون بايديهم
باب الجحر شيئا يقصده فيخرج فيصاد ويقال انها من احمق الحيوان ويبلغ من حمقها ان يدخل
عليها فيقال ليست هذه ام عامر او يقال خامري ام عامر فتسكن حتى توثق رجلاها
بحبل معد لصيدها والختل الخديعة والاستئثار بالشيء التفرد به واشار بقوله لا
ارد ما اشير اليه به من تأخير القتال ومفهوم التشبيه انه لو تأخر لكان ذلك
سببا لتمكن الخصم مما قصده فيكون هو في ذلك شبيها بالضبع التي تنام وتسكن على طول
حيلة راصدها فاقسم عليه السلام انه لا يكون كذلك اي لا يسكن على كثرة الظلم والبغي وطول
دفاعه عن حقه ثم اردف ذلك بما هو الصواب عنده وهو المقاومة والقتال لمن اطاعه
لمن عصاه فقال لكني اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع وجه
العاصي المريب ابدا وراعى المقابلة ههنا فالعاصي في مقابلة المطيع والمريب في مقابلة
السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له ثم قرر الابد بغاية عمره اي انه لابد
من لحوق يأتي على يومي واشار بيومه الى وقت حضور الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم
والشكاية واشار الى مبدأ ذلك الزمان ومنتهاه واكده بذكر القسم البار والاشارة بالحق
المدفوع عنه الى الخلافة وهي شكاية مؤكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق

اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ
في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم فركب بهم الزلل وزين
لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اقول ملاك
الامر ما يقوم به ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف
ويجوز ان يكون جمع شرك وهو حبائل الصيد كجبل واجبال والدبيب المشي الضعيف والدرج اقوى
منه والخطل الفاسد من القول وشركه بفتح الشين وكسر الراء شاركه وهذا الفصل من باب المنافرة
وهو ذم للمنابذين له والمخالفين عليه فاشار اولا الى انقيادهم ونفوسهم لشياطينهم الى حد
جعلوها عمدة لامورهم فيما اقام احوالهم وعقلا بعقلهم عن تلك المرتبة فهم اولياؤه وهم في الحيوة
الدنيا كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى البعض

تملكه الشيطان اذ آتهم وتحرفه تسبيهم على حسب حكمه اسبابا بالدعوة لهم الى مخالفة الحق
ومنابذة امام الوقت وخليفة الله في ارضه اشبهوا الاشراك لاصطيادهم للحق السنتهم لاموالهم
وخروجهم الى الباطل بالاسباب الباطلة التي القاها اليهم الشيطان ونطق بها على السنتهم
فاستعار لهم لفظ الاشراك وايقاع النفث في الثاني فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم
يشبهه بالطائر الذي يباعشه في قلوبهم وصدورهم فاستعار لهم لفظ الاشراك وايقاع النفث
الثاني فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته البيض والافراخ ووجه المشابهة ان الطائر لما
كان يلازم عشه فيبيض ويفرخ فيه اشبه الشيطان في اقامته صدورهم وملازمته لهم
وكذلك قوله ودب ودرج في حجورهم استعارة كنى بها ايضا عن تربيتهم للباطل وملازمته
ابليس وعدم مفارقته لهم ونشوه معهم كما تربي الولد في حجر والدته وتاخى في هذه القرائن
الاربع السجع فنفي الاولين السجع المتوازي وفي الاخرين السجع المتوازي وقوله فنظر باعينهم
ونطق بالسنتهم اشارة الى وجه ثمرة في اخرابهم بعد القائه فتخايلوا امورهم اليه وعزل
عقولهم عن التصرف فيها بدون مشاركته ومتابعته وقوله فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل
اشارة الى ثمرة متابعته ومواصاته فتقاصر عنهم من الخروج عن امامته في الافعال وهو
المراد بارتكابه الزلل وفي الاقوال وهو المشار اليه بتزيينه لهم الخطل قوله فعل من
قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اشارة الى ان الافعال والاقوال الصادرة
عنهم على خلاف اوامره انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير في سلطانه
يعود الى من اي من شاركه الشيطان في سلطانه الذي جعله على الاعمال والاقوال وانتصاب
فعل على المصدر واما على فعل محذوف تقديره فعلوا ذلك فعل اي عن عمله اتخذوا لانه بالقوة
في معنى فعلوا ومن مصدر له من غير لفظه وداعى في هذا بين القرينتين ايضا السجع المطرف والله اعلم
يعني به الزبير في حال انقضت ذلك من زعم انه قد بايع
بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليات عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما خرج منه اول
الوليجة الدخيلة في الامر وهذا الفصل صورة مناظرة لمنع الزبير وهو مشتمل على تكذيب
حجة سابقة له عليه وصورة نقض لتلك الحجة من الزبير وصورة جواب له عليه السلام
عن ذلك اما الحجة فكانه عليه السلام لما نكث الزبير بيعته وخرج لقتاله احتج عليه بلزوم البيعة له
اولا فاجاب الزبير بما حكاه عنه بقوله انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى علم
التورية والتعريض في العهود والايمان ونحوها ومعاني التورية بكلام تقبله السامع فاجابه عليه السلام
ببيان حدوث كبراه كما علمت من قياس الضمير وهو ما اشار اليه بقوله فقد اقر بالبيعة وادعى
الوليجة فهو صغرى القياس في تقرير الكبرى وكل من كان كذلك احتاج بيان دعواه الى بينة يعرف
صحتها فسبحانه محتاج الى بينة لدعواه اشار الى هذه النتيجة بقوله فليات عليها بامر يعرف

دعواه الوليجة وهيهات له ذلك اذ التورية امر باطن لا يمكن اخراجه به ولا اقامة البرهان عليه ثم اشار بقوله والا
فليدخل فيما خرج منه الى الدخول في طاعته وحكم بيعته التي خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان
دعواه وبالله التوفيق
قد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا
نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اقول الفشل الجبن والضعف وفي الاشارة الى طلحة والزبير واتباعهما والكلام
في معرض الذم واستعار لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهديدهم ووجه الاستعارة كون الوعيد من
الامور المزعجة كما ان الرعد والبرق كذلك قوله ومع هذين الامرين الفشل اشارة الى وجه الرذيلة
وذلك ان التهديد والتوعد قبل ايقاع الحرب في الضوضاء والجلبة امارة الجبن والعجز والصمت في السكوت
امارة الشجاعة والثبات كما اشار اليه عليه السلام في تعليم كيفية الحرب مخاطبا لاصحابه واميتوا الاصوات فانه
اطرد للفشل وروي ان ابا طاهر الحلبي سمع جلبة عسكر المقتدر وصوت هم وحسانه فادرس والمقتدر
عن ابن الغا فقال لبعض اصحابه ما هذا الزجل قال الفشل قال اجل وكانت الغلبة له فاستدل عليه
بكثرة الا... على الفشل قوله ولسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اشارة الى نفي تلك
الرذيلة عن نفسه واصحابه واثبات الفضيلة لهم وكان حاصله الجواب ان نفترق وفي الاستعارة
وبرقة واسالته باخطاره كذلك امور المعروفة بافعاله لا تخلف عنها واسال الحديد بانه ضربه بانظاره
وتهديده وكان خصمه يجده بالحرب من غير فوته في نفس ولا ايقاع لها فاشبه ذلك الرعد من غير
ايقاع المطر والسيل من غير مطر وكانه قال كما لا يوجد سيل بلا مطر فكذلك لا نوعدونه ونهدد دون به
من ايقاع الحرب بلا شجاعة ولا ثقة عليها فوفي ذلك بسجعه الحدى
الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي ما لبست على نفسي
ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه اقول
هذا الفصل ملتقط ملفق من خطبة له عليه السلام لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم
وقد اورد السيد منها فصلا اخر وسنذكرها بتمامها اذا انتهينا اليه ان شاء الله والاستجلاب
في معنى الجمع والبصيرة العقل وافرط الحوض ملأه ولهم الى حلقته والماتح بالتاء المستقي وربما
يلتبس بالمايح وهو الذي ينزل البئر فيملأ الدلو والفرق بينهما ان نقطتي فوق للفوقاني والصدر
الرجوع عن الماء وغيره ويقابله الورود وهو العود اليه ومدار هذا الفصل على امور اولها
الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم والثاني التنبيه على فضيلة نفسه والثالث الوعيد لهم واشار
الى الاول بقوله الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله واراد ان الباعث
لهم والجامع على مخالفة الحق انما هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه للباطل في قلوبهم وقد عرفت
كيفية وسوسته وخيله ورجله واما الثاني فاشار اولا الى كمال عقله وتمام استعداده
لاستجلاء الحق واستيضاحه بقوله وان معي لبصيرتي الى اخر ذلك بالاشارة الى عدم انخداع

نفسه القدسية للشيطان فيأتيه على الحق من الشبهة الباطلة على البصائر فتعميها بوجه عن
ادراكه و لبس من الباطل بما كان من خادعة الشيطان وتلبيسه بغير واسطة وهو المشار
اليه بقوله ما لبست على نفسي اي لا يلتبس علي الحق اي ان احدا من سيع الملبسين يلقي عليه الشبهة
فصادقة قوته ان يلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس علي واما الثالث فاشار بقوله
وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه الى اخره و استعار افراط الحوض لجمعه
اسباب الحرب وكنى بقوله انا ماتحه عن انه هو المتمني والذكي ولما كانت الحرب قد تشبه
بالبحر و الماء الجم فيستعار لها اوصافه فيقال فلان خواض غمرات وفلان منغمس في الحرب
جاز ان يستعار ههنا لفظ الحوض وترشح بذكر الاستعارة بالمتح ولا فراط ولا اضداد
ثم اردف ذلك بوصف استعداده لهم بالشدة والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون
عنه ان الوارد منهم اليه يخوض عنه بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر عنه وبقوله لا يعودون
اليه اي ان من نجا منهم لا يطمع في الحرب مرة اخرى فلا يريدون الى جاء اعدائهم مرة ثانية واكد
النون بخفيفا كما حذفت في لم يكن في قيل هو اسم براسه وضع للقسم وتحقيقه في مسائل
النحو

تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك
اعر الله جمجمتك تد في الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان
النصر من عند الله سبحانه اقول الناجذ السن بين الناب والضرس وقال الجوهري
هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجذ واعلم انه عليه السلام اشار في هذا الفصل الى
انواع اداب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال والكيفية في ذلك بقوله تزول الجبال
ولا تزل والكلام في صورة شرطية متصلة حذف فيه لفظ تقديرها لو زالت الجبال لا تزل
وهو عن الزوال مطلقا لان النهي عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهي عنه
على تقدير عدمه بطريق الاولى والقصد به المبالغة في النهي ثم اردفه بذكر اوامر
احدها ان يعض على ناجذه وذلك لا يستلزم امرين احدهما ربط الجأش على
الفشل والخوف والانسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجبين للرعدة
فانه اذا عض على اضراسه سكن رعدته ويتماسك بدنه الثاني ان الضرب في ذلك في الراس
لا يؤثر كثير ضرر كما قال عليه السلام في موضع اخر وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن
الهام ويكون ذلك لما فيه من جمع القوة والتصلب الثاني ان يعير الله جمجمته وفي استعارة
لطيفة وتشبيه لجمجمته بالالة التي تستعار لا تسترجع بحيث يرد ما استعار دين الله [illegible]
لمحمد رضي الله عنه على هذا الوجه تشبيه لا تسترجع بالعارية قال بعض الشارحين وفي ذلك
مسمعه لمحمد رضي الله عنه انه لا يقتل في ذلك الحرب لان اعير الله لا يرد من يكمال السلامة

ومنه تثبيت لجاسته وربط لقلب السالب ان يلزم تدحه الارض ويجعله كالوتد وذلك لاستلزامه
امرين احدهما ربط الجاش واستصحاب العزم على الثبات الثاني ان ذلك مظنة الشجاعة
وامارة الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو والقاره الرابع ان يرمي
ببصره اقصى القوم وذلك ليعلم على ماذا يقدم ولينظر محال الاستحالة ومقابل المقاتل الخامس
ان يغض طرفه بعد مدة وذلك لكونه علامة السكينة والثبات وعدم الطيش ولان مد النظر الى
بريق السيوف مظنة الدهشة بما يخيف على البصر ايضا والنظر المحمود في الحرب ان يلحظ شزرا فعل المجرب
الحنق المترصد للفرصة كما قال عليه السلام في غير هذا الموضع والحظوا الشزر ثم نبه على الامر السادس واخر
امره ان يعلم ان النصر من عند الله سبحانه كما قال تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم
ليتأكد ثباته بتقييده بالله عند ملاحظة قوله ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ونحوه
ونحوه اهوى اخيك معنا فقال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا اقوام في اصلاب الرجال وارحام
النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الايمان اقول اهوى اخيك معناه اي محبته وميله
وقوله فقد شهدنا حكم بالحضور بالقوة اي بحضور نفسه وهمته على تقدير محبته الحضور وكم
انسان يحصل بحضور همته وان لم يحضر ببدنه كثير نفع واما باستجلاب الرجال وبثبات الهمة
في تفريق اعداء الله كما يفعله بهم اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة
حاضرة وان فوتت عظمت قوله ولقد شهدنا في عسكرنا هذا اقوام في اصلاب الرجال
وارحام النساء تاكيد لحضوره في القابل بالاشارة الى ان سيوجد من انصار الحق الذابين
بهمة وعباد الله صالحين يشاهدون معه علم ابدانا والشهادة شهادة بالقوة اي انهم
موجودون في الكادم المواد بالقوة ومن كان في قوة ان يحضر هو ايضا ذابا فهو بمنزلة الحاضر
الموجود بالفعل في نصرته له اذا وجد قوله سيرعف بهم الزمان استعارة لفظ الرعاف
وهو الدم الخارج من الانف للانسان لوجودهم وفيه تشبيه للزمان بالانسان وانما نسب
وجودهم الى الزمان لانه من اسباب المعدة لقبول وجودهم ونحوه قول الشاعر وما رعف
الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا وقوله ويقوى بهم الايمان ظاهر والله التوفيق

كنتم جند المرأة واتباع البهيمة رغا فاجبتم
وعقر فهزمتم اخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم
مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كاني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة
قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها وفي رواية اخرى وايم
الله لتغرقن بلدتكم حتى كاني انظر الى مسجدها كجؤجؤ [illegible] اقول هذا الفصل مع
فصل بعده من خطبة خطبها بالبصرة بعدما فتحها روي انه لما فرغ من امر الحرب لاهل الجمل
امر مناديا ينادي في اهل البصرة ان الصلاة جامعة لثلاثة ايام من غد ان شاء الله ولا عذر

لمن تخلف الامر محمدا او علته فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج
وصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلاته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة
عن يمين المصلى فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي واستغفر
للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة ائتفكت
باهلها ثلثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المراة واعوان البهيمة رغا فاجبتم وعقر
فانهزمتم اخلاقكم دقاق وماؤكم زعاق بلادكم انتن بلاد الله تربة وابعدها من السماء
بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله كاني انظر الى
قريتكم هذه قد طبقها الماء حتى ما يرى منها الا شرف المسجد كانه جؤجؤ طير في لجة بحر فقام
اليه الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين متى ذلك قال اذا اصابت اجمتكم قصورا
واعلم ان بعد هذا الفصل من الخطبة فصولا لا تعلق لها بهذا الموضع وربما تعلقت بعضها
اوردها السيد بعد هذا الفصل وسنذكرها معها ان شاء الله اصل البصرة الحجارة البيض
الرخوة وصارت علما للبلدة لوجدان تلك الحجارة بها قيل لها بالمؤتفكة وائتفكت البلدة
باهلها انقلبت بهم والمؤتفكة من القديمة للبصرة كما سنذكره في تمام هذه الخطبة والرغا
صوت الابل خاصة والعقر الجرح والدق من كل شيء حقيره وصغيره والشقاق الخلاف
والافتراق والنفاق الخروج من الايمان بالقلب واصله ان اليربوع يرقق موضعا في داخل
جحره فاذا اتي من قبل بابه وهو القاصعاء رفع ذلك الموضع براسه فانتفق اي وسم ذلك النافقا
فاشتق لفظ النفاق منه والزعاق الماء المالح وطبقها الماء اي عمها واتى على جميعها جؤجؤ السفينة
صدرها وكذلك الطائر واعلم انه عليه السلام ذكر في معرض ذمهم امورا انبه فيها على وجوه ارتكابهم
للرذائل اولها كونهم اهل المؤتفكة اي ائتفكت باهلها ثلثا ومعلوم ان ائتفاك البلد باهلها
وخسفها بهم انما يكون لفسادهم واستحقاقهم بذلك عذاب الله وقوله وعلى الله تمام
الرابعة دعا عليهم بايقاع الخسف بهم الثاني كونهم جند المراة واراد عائشة فانهم جعلوها
عقد نظامهم ولما كان في الراي وهن احوج من بين سائر العقلا لضعف
آرائهن ونقصان عقولهن كما قال الرسول عليه السلام انهن ناقصات عقول وناقصات دين
وناقصات حظ اما نقصان عقولهن فلان شهادة اثنتين منهن كشهادة رجل واحد
لتذكر احداهما الاخرى واما نقصان دينهن فلان احديهن تقعد في بيتها شطر دهرها
اي في ايام حيضها لا تصوم ولا تصلي واما نقصان حظهن فلان حظ اثنتين على النصف من
ميراث الرجال وكما قد شهد لك مستشيرهن وتابعهن اضعف رايا منهن كما هو شان التابع
بالنسبة الى متبوعه لا جرم حسن توبيخهم بكونهم جند المراة واعوانها الثالث كونهم اتباع البهيمة
واراد بالبهيمة الجمل الذي كانت تحته عائشة فان حالهم شاهدة باتباعهم مجيبين لرغائه
وهادس

وهادس لعقره وهو اشنع من الاول وادخل في الذم وكنى برغائه عن دعوتها لهم الى القتال اذ قدمت
عليهم واكبه له او عن كونه سببا لاجتماعهم ما دام واقفا الرابعة دقة اخلاقهم واشار بها
الى كونهم على رذائل الاخلاق دون حاق الوسط ولما كانت اصول الفضائل الخلقية كما
علمت ثلثة الحكمة والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوه الاراء المصلحية
وهو طرف التفريط من الحكمة العملية وعلى طرف الفسق في نحو به وهو طرف الافراط من
الشجاعة وعلى طرف الجود وهو طرف الافراط من ملكة العفة والعدالة لا جرم صدق انهم على رذائل
الاخلاق ودقائقها السابع الشقاق في العهود والنكث لها وصدق ذلك بنكثهم لعهده
وخلافهم لبيعته وذلك من الغدر الذي هو رذيلة تقابل فضيلة الوفا الخامس النفاق
في الدين ولما كانوا خارجين على الامام العادل محاربين له لا جرم كانوا خارجين عن
الدين وربما كان ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ المنافق في العرف من الخارج عن
الاسلام بقلبه المظهر له بلسانه فيكون ذلك خطابا لمن كان منهم بهذه الصفة السادس
ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم ملحا وسبب ملوحته قربه من البحر واختلاطه به ودخول
ذلك في معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان وللاقامة به مع كون مائهم كذلك
لما يستلزمه من امراض كثيرة واستحالة لسوء المزاج والبلادة وفساد الطحال
والحكة وغير ذلك مما يذكره الاطباء ولان ذلك من اسباب التنفير عن المقام معهم وتكثير سوادهم
وتعقبها به الثامن كونها ابعد من البلاد عن السما وسيجي بيانه التاسع كونها بها تسعة اعشار
الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة في ذمها دون الحصر وذلك انه لما عدد هذه الرذائل
بحيث في غيرها حكم بان لديها تسعة اعشار الشر مبالغة كنى به عن معظم الشر ويحتمل ان يريد
بالشر مجموع الرذائل الخلقية المقابلة لاصول الفضائل النفسانية الاربع العلم والشجاعة
والعفة والسخاوة والعدالة وكل منها مقابل برذيلتين كما علمت فتلك عشر رذائل اشبه
ما يخرج عنهم منها الا ما يناسب غرضه هاهنا كالتبذير ونحوه وهذا الاحتمال وان كان بعيدا الا
انه ليس ببعيد العاشر كون المقيم بين ظهرانيهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم لابد وان ينخرط في سلكهم
ويستعد لقبول مثل طباعهم ويشتعل على رذائل اخلاقهم وحينئذ يكون مرتهنا بذنبه
الحادي عشر كون الشاخص عنهم متداركا برحمة ربه وذلك لاعانة الله له بالخروج ليسلم
من الذنوب التي يكتسبها المقيم بينهم وتلك رحمة من الله واي رحمة وكل ذلك في معرض التنفير
عنهم والمفهوم من الرواية السابقة وهي قوله المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه
اذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه ان احتباسه بينهم بحكم حركة العقوبة له بذنب سبق منه والخارج
منها قد عفا الله عنه بخروجه وقد ادعى في هاتين القرينتين السجع المتوازي وكون ذلك في القرائن لا دع

فلهذا أشار بعد ذلك إلى أن بلدهم سيغرقها الماء وشبّه نفسه في نفسه في تركه ومشاهدته بنور بصيرته الملكوتية
لمسجدهم مغمورا بالماء وقد طبق أرضهم المشاهد لذلك بجؤجؤ سفينة لعلاه والظهوره وقد حكى في تقسف الرسول صلعم
على أحوالهم في فصل آخر من هذه الخطبة وذلك أنه عقيب ذمّه لأهل البصرة وجوابه للأحنف في الفصل الذي ذكرناه قال
ما دخالهم يا أهل البصرة إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين شرفا ولا كرما إلا وقد جعل فيكم أفضل ذلك وزادكم
من فضله بمنّه ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكة وقاريكم أقرأ الناس وزاهدكم
أزهد الناس وعابدكم أعبد الناس وتاجركم أتجر الناس وأصدقهم في تجارته ومتصدقكم أكرم الناس صدقة وغنيكم أشد
الناس بذلا وتواضعا وشريفكم أحسن الناس خلقا وأنتم أكرم الناس جوارا وأقلهم تكلفا لما لا يعنيه وأحرصهم على
الصلاة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار وأموالكم أكثر الأموال وصغاركم أكيس الأولاد ونساؤكم أقنع النساء وأحسنهن
تبعلا سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة أموالكم فلو صبرتم واستقمتم لكانت
شجرة طوبى لكم مقيلا وظلا ظليلا غير أن حكم الله فيكم ماض وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع
الحساب يقول الله وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب
مسطورا وأقسم لكم يا أهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ إلا تذكيرا وموعظة لما بعد لكي لا تسرعوا
إلى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله لنبيه صلوات الله عليه وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين
ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فإني
لا أريد المقام بين أظهركم إن شاء الله لأمور تحضرني قد يلزمني القيام بها فيما بيني وبين الله لا عذر لي في تركها
ولا أعلم لكم بشيء منها حتى يقع مما أريد أن أخوضها مقبلا ومدبرا فمن أراد أن يأخذ بنصيبه
منها فليفعل فلعمري إنه للجهاد الصافي صفّاه لنا كتاب الله ولا الذي أردت به من ذكر بلادكم موجدة مني
عليكم لما شاققتموني غير أن رسول الله صلعم قال لي يوما وليس معه غيري يا علي إن جبرئيل الروح الأمين
حملني على منكبه الأيمن حتى أراني الأرض ومن عليها وأعطاني أقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها
وما يكون إلى يوم القيامة ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر على أبي آدم علّمه الأسماء كلها ولم يعلمها الملائكة المقربون وإني رأيت
بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة فإذا هي أبعد الأرض من السماء وأقربها من الماء وإنها لأسرع الأرض خرابا
وأخبثها ترابا وأشدها عذابا ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا وليأتين عليها زمان وإن لكم
يا أهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه وإني لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ثم
أمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أخفيت عنكم وعلمناها فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له
ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد وإشارته بالجؤجؤ المشبّه إلى ما يبرز من الماء من شرفات المسجد
بصدر السفينة وفي الرواية الأخرى بالنعامة الجاثمة وفي الرواية الثالثة بالطائر في لجة البحر فتشبيهات
ظاهرة تامة ووقوع ذلك الغرق المخبر عنه في المستقبل إنما عرفت مرتين في أيام القادر بالله ومرة في أيام القائم مطلب
بأمر الله وغرقت جميعها غير موضع الجامع وخربت دورها ولم يبق منها إلا علو المسجد الجامع حيث سلم جامعها

بما أخبر به عليه السلام وكان غرقها من قبل بحر فارس ومن ناحية الجبل المعروف بجبل السنام فكان ذلك مصداقا لكلامه عليه السلام وذلك
نظرا لأنه أشار إلى أن ذلك الماء ينفجر من أرضهم بقوله وإني لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه وظاهر ذلك تحقق
أنه لا يكون من جهة أخرى قوله منها منتن ذلك أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفّت عقولكم وسفهت
أحلامكم فأنتم غرض لنابل وأكلة لآكل وفريسة لصائل أقول السفه رذيلة تقابل الحكم وتعود إلى الطيش وعدم
الثبات والأكلة اسم للمأكول وقد علمت أن قوله أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء إنما حكاه عليه السلام في
الفصل المتقدم أما قرب أرضهم من الماء فأشار إلى أنها موضع هابط مستفل من الأرض وقريب من البحر
وهو بصدد أن يعلوها الماء كما قال في دجلة وذكر مشاهده دخول الماء أخذ المد وسقيته لسايتهم في كل يوم
مرة أو مرتين وأما كونها بعيدة من السماء فبحسب انتقالها عن غيرها من الأرض قيل إن أبعد موضع في الأرض
عن السماء الأبلة وإن ذلك مما دلت عليه الأرصاد وبرهن عليه أصحاب علم الهيئة وقال بعضهم أن كون ذلك في
معرض الذم يصرفه عن ظاهره وإنما الإشارة به إلى أنهم لما كانوا بالأوصاف المذمومة التي عددها فيهم كانوا
أبعد من نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الإلهي ومستعدين لنزول العذاب ويصدق في العرف أن يقال
فلان بعيد من السماء إذا كان كما ذكرناه ويحتمل أن يريد بالسماء المطر مجازا لأن المطر بالبصرة قليل
قوله خفت عقولكم إشارة إلى قلة استعداداتهم لإدراك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن
تدبير أحوالهم وتسرعهم إلى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي وهو وصف لهم برذيلة السفه والخفة المقابلة
للحكم قوله فأنتم غرض لنابل وأكلة لآكل وفريسة لصائل هذه الأوصاف لازمة عن خفة عقولهم
وسفه حلومهم ولذلك عقبها بها لأن تطمع المقاصد لهم بأنواع الأذى إنما ينشأ من علمه بقلة عقولهم لوجه المصالح
وسفههم فيقصدهم بحسن تدبيره والأول من هذه الأوصاف كناية عن كونهم مقصدا لمن يريد أذاهم والثاني كناية
عن كونهم في معرض أن يطمع في أموالهم ويعمهم والثالث عن كونهم بصدد أن يقهرهم من
يقصد قتلهم وإهلاكهم واستعار لفظ الغرض والأكلة والفريسة لهم ووجوه المشابهة فيها ظاهرة وقد
راعى في هذه القرائن التسجيع ولين السجع المطرف في الأخيرين بعضها وفي الثلث السجع المتوازي
والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملكت به الإماء لرددته فإن في العدل
سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق أقول هذا الفصل في نسخ بعده من خطبة خطبها
في المدينة لما قتل عثمان وبويع له وهو مذكور هاهنا بزيادة ونقصان وأول هذا الفصل من الخطبة ألا إن كل
قطيعة أقطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج
به النساء وفرّق في البلدان فإنه إن لم يسعه الحق فالباطل أضيق عنه وسنذكر الخطبة بتمامها في كلام الخصاص
التي يجري منها إن شاء الله تعالى واعلم أنه أشار بالأمر إلى العزم الجازم والذكر بالقسم على ردّ القطائع التي
كان عثمان أقطعها أقاربه ثم نبّه المقطعين بقوله فإن في العدل سعة على عدالته يسعهم في ردّ ما اقتطعوه
وذلك بسعته عن انقسام العدل وذلك وغيره من المظالم فعليهم أن يدخلوا في مقتضى أوامر الله وعدله فإن

فيه سعة لهم وهو محل القضا المظلوم بايصال حقه اليه وارضاه الظالم العلية بانه عنه لا تنزع منه اخذ لما ليس
له وتاكيد ذلك العلم بالوعيد الصادق فمن وان قام شيطانه حال انتزاع الطلائه منه وضاق عليه العدل
فهو في محل الرضا فان لم يرض لضيق عليه العدل عليه فالجور عليه اضيق في الدنيا والآخرة لانه ربما انتزعت عنه فقد اذ كان
جوده سببا للتضييق عليه في ذلك ولان من الاداه فالنواهي لا له محيطة به شاده عليه وجوه التصرف
الباطل ولانه اذا امن لعدل عدل اعتقد انه قد اخذ منه ما ينبغي اخذه منه واذا امن عليه جور اعتقد انه اخذ
منه ما لا ينبغي اخذه لا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على النفس واصعب من اخذ ما ينبغي وهو ام جراني
والمعنى في الالفاظ التي اوردها في الخطبة قريب مما ذكرناه هينا عن ان الضامن في قوله فانه ان لم يسعه يعود
الى المال واعلم انه قد كان عثمان اقطع جماعة من بني امية وغيرهم من اصحابه كثيرا من اراضي بيت المال وكذلك فعل
عمر في ذلك مع قوم لهم وقايع مشهودة في الجهاد وفي سبيل الله من غيبه الجهاد لكن لما اختلف غرض المعطي
لم يرد علي عليه السلام الا ما اقطعه عثمان رضي الله عنه وبالتوفيق

ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات
حجزه التقوى عن تقحم الشبهات الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه
والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم
واعلاكم اسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة
ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها
اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها
واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن
قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل قال السيد رضي الله عنه في هذا الكلام الادنى
من مواقع الاحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به وفيه مع الحال
وصفناه زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان ولا يعرف ما اقوله
الا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون
اقول في هذا الفصل فصول من الخطبة التي اشرنا اليها في الكلام الذي قبله وذلك
في الفصل الذي بعده ونحن نوردها بتمامها لينضح ذلك وهي الحمد لله احق محمود بالحمد واولاه
بالمجد الها واحدا احدا صمدا اقام اركان العرش فاشرف بعلوه شعاع الشمس خلق
فاتقن واقام فذلت له وطاه المتمكن واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله بالنور الساطع والضياء المنير اكرم خلق الله حسبا واشرفهم
نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بظلمه بل كان يظلم اما بعد فان اول من بغى على
الارض عناق ابنة آدم كان مجلسها من الارض جريبا وكان لها عشرون اصابع وكان لها

لها طرفان كالمنجلين فسلط الله عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار وكان ذلك
في الخلق الاول فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على اسوأ احوالهم وان الله اهلك فرعون وهامان
وقتل قارون بذنوبهم الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم عليه والذي بعثه
بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن
سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت
كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا ان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت
لجمها فتقحمت بهم في النار وهم فيها كالحون الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها
فسارت بهم تاودا حتى اذا جاؤا ظلا ظليلا فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين الا وقد سبقني الى هذا الامر من لم اشركه فيه ومن لست اهبه توبة
الا بنبي مبعث ولا نبي بعد محمد صلعم اشفق منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم
ايها الناس كتاب وسنة بينة لا يدعي مدعي الا على نفسه شغل من الجنة والنار امامه ساعي
نجا وطالب يرجو ومقصر في النار ولكل اهل ولعمري لئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق
لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل ولئن ردت اموركم عليكم انكم لسعداء وما علينا الا الجهد
لانت امور وحصنت سلتم منها ميله كنتم عندي فيها غير محمودي الراي ولو اشاء ان اقول
لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه ويله لو قص
جناحاه وقطع راسه كان خيرا له شغل من الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو
ومقصر في النار ثلثة واثنان خمسة ليس فيهم سادس ملك طار بجناحيه ونبي اخذ الله بضبعيه
هلك من ادعى وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة ووسط الطريق المنهج عليه باقي الكتاب
واثار النبوة الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عندنا امام
فيهما هوادة فاستتروا في بيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من ابدى صفحته
للحق هلك الا وان كل قطيعة اقطعها عثمان او مال اخذه من بيت مال المسلمين
فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه
ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وقد ذكرنا
هذا الفصل فيما قبل ولنرجع الى تفسيره فنقول الذمة الحرمة والذمة ايضا العهد
والرهينة المرهونة الزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات والتحجز المنع
والتحجم في الامر والمجمة ادخل نفسه فيه والفتنة الضعف والبلية الاختلاط والغربلة نخل الدقيق
وغيره والغربلة القتل ايضا وساط القدر اذا قلب ما فيها من طعام بالمحراك واداره والوشمة
الكلمة ويقال المحجمة العلامة ولا تخفى والشمس جمع الشموس وهي الدابة لم يظهرها

والتناود السير الثقيل بالسيات والوحول الساكنة بكرة عيس ورواح الباطل بكرة السم كثير وملات من عي على نفسه اذا كان تنعقد احوالها واعلم انه اشار والى هذا الفصل الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى ونبه على انه وسيلة اليه ومستلزم له في صورة شرطية متصلة ومقدمها من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات وحجزه التقوى عن تقحم الشبهات وبيان الملازمة ان من اخذت العناية بزمام عقله فاعدت نور بصيرته لمشاهدة ما صرحت به آفات الدنيا وكشفت عبرها من تبدل حالاتها وتغير اتها والعقوبات النازلة فيها على من وقف عليها نفسه واتخذها دار اقامة فشاهد ان كل ذلك امور باطلة والظلال زائلة فلا بد ان يعرض انه على قلبه صورة خشيته وتقواه فيستلزم تلك الخشية توقفه وامتناعه عن ان يلقى نفسه في تلك الامور الزائلة والشبهات الباطلة المستلزمة للعقوبات النازلة لاشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه للاعتبار فالتقوى اللازم عنه هو الحاجز عن ذلك التقحم واشار بالشبهات الى ما يتوهم كونه حقا ثابتا باقيا من الامور الفانية الزائلة واللذات الوهمية الباطلة فالوهم يصدقها ويشبهها بالحق فلذلك سميت شبهات والعقل الخادع من اسر الهوى فوجد على نقد الحق ولم يع من الشبهة والذي علم هذه الملازمة برهن ذمته على صحتها وكفالته بصدقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم واستعمال الرهن ههنا استعارة كقوله في كل نفس بما كسبت رهينة فاعلم انه بالتبس عليك حقيقة التقوى فمعول التقوى بحسب الشرعي تعود الخشية الحق سبحانه المستلزم للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها وتنحيه ما دون وجهه عن جهة القصد ولما كان الترك والاعراض المذكورة هو الزهد الحقيقي كما علمت وكان التقوى وسيلة اليه علمت انه من اقوى الجواذب الرادعة عن الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى بمعنى الخشية من الله في اول النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون وكذلك قول هود وصالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه وقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وكذلك في سائر ايات القرآن وان كان قد حمله بعض المفسرين تارة على الايمان كما في قوله والزمهم كلمة التقوى وتارة على التوبة كما في قوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا وتارة على ترك المعصية كما في قوله واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله اذا عرفت ذلك فاعلم انه لما نبههم على لزوم التقوى انه مخلص من تقحم الشبهات نبههم بعده على انهم في الشبهات مغمورون لا تنفك لهم الا وان قد بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه واشار بليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الاهواء

وتشتت الاراء وعدم الالفة ولا جتماع في نصرة الله عن شبهة يلقيها الشيطان على الاذهان العاملة لوسوسته المعهودة في بدء وذلك من اعظم الفتن التي بها يبتلي الله عباده ويبلوهم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ومعا امور يشبه ما كان الناس عليه حال بعثة الرسول صلعم وفي ذكر تنبيه لهم على انهم ليسوا من التقوى في شي اذا عرفت ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى وكان فيما مثلها السلب التقوى عنهم ثم لما بين وقوعهم في البلية كما كانت اقسم بالقسم البار لتنزيلهم بمرة ما هم فيه من عموم التناصر واتباع الاهواء الباطلة وذكر امورا ثلثة احدها البلبلة وكنى بما يوقع بهم بوائقه وعن بهم من امر الجور من الهموم المزعجة وخلط بعضهم ببعض في رفع ادانيهم وخلط اكابرهم عن ما يستحق كل من المراتب الثاني الغربلة وكانها كناية عن التقاط احادهم وقصدهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي ذلك تشبيه لفعلهم ذلك بفعل الدقيق نحو لتميز شيء عنه عن شيء ولذلك استعيرت له لفظها وفي هاتين القرينتين السجع المتوازي الثالث ان تساطكم تساط القدر والى ان يعود اسفلكم اعلاكم وبالعكس واستعار لفظ السوط مع ما يساع عاسه الدكوه في لمصر نفاسه لجوده من ما يالي بعدهم بسبب من اسباب الاهانة وتغير القواعد التي هم عليها وذلك الوقت وهو في الحقيقة قوله وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا اسبقوا اشارة الى بعض تابع تغلب الزمان بهم قال بعض الشارحين انه اشارة بالمقصرين الذين يسبقون الى قوم قصروا عن نصرته في ابتداء الامر حين وفاة الرسول صلعم بم نصروه في ولايته وقاتلوا معه في سائر حروبها وبالسابقين الذين يقصرون الى من كانت له في الاسلام سابقة ثم خذله وتنحى عنه وقاتله ويشبه ان يكون مراده لهم من ذلك المقصرون الذين يسبقون كل من اجذب الحقانة الالهية بيده وقاده بزمام التقوى الى الجنة في طاعة الله واتباع سائر اوامره والوقوف عند نواهيه وزواجره بعد تقصيره في ذلك وعكس هؤلاء من كان في مبدأ الامر مشمرا في سلوك سبيل الله ثم جذبه هواه الى غير ما كان عليه وسلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيرا وانحرافا عنه قوله والله ما كتمت وشمه ولا كذبت كذبة اقسم انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلى الله عليه في هذا الغرض وكلمة ما يتعين عليه ان يبوح به وانه لم يكذب قط وهذا القسم شهادة لما نقله من الاخبار بما سيكون انه كما قال وتوطئة لما بعده انه كما هو وذلك قوله ولقد نبئت بهذا المقام اي مقام بيعة الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم وكلاهما ذلك تنبيه لهم عن الباطل الى الحق وتثبيت لهم على اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى وانبأهم بما سيكون من عاقبة امرهم في لزوم بلبلتهم وتورطهم في الشبهات اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما يقود اليه كل منهما قوله الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وجعلت لجمها فتقحمت بهم في النار استعار لفظ الخيل للخطايا ووصفها بالوصف المنفر وهو الشموس والعلة لدى العقل من ذلك بها وهي كونها شمس بها تخلع عنه اللجم ووجه الاستعادة

ظاهر فان الفرس الشموس التي خلع لجمها لما كانت من شانها ان تقحم براكبها المهالك وتجري به على غير
نظام فكذلك راكب الخطيئة لما جرى به وركوبها على غير نظام الشريعة وخلع بذلك لجام الاوامر والنواهي
الشرعية وحدود الدين عن راسه كانت غايته من ركوبه لها ان تقحم به اعظم موارد الهلاك وهي نار جهنم
وذلك من لطف الاستعارة قوله الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها
فاوردتهم الجنة استعار ايضا لفظ المطايا بالوصف الحسن الموجب لميل اليها وهو كونها ذللا وبالازمة
التي سخي للراكب فيها اخذ الزمام واشار بالازمة الى الحدود الشرعية التي يلزمها صاحب التقوى
ولا يتجاوزها ولما كانت المطية الذلول من شانها ان يتحرك براكبها على وفق الذي سعي ابانا وذا الطريق
المستقيم بل يهتدي فيها براكبها ويسير به على تؤدة حتى يصل بها الى مقاصده كذلك التقوى فسلوك طريق
سالك الى الله بالتقوى وراحته عن جموح الهوى به في موارد الهلاك يشبه ذلك المطية وحدودها التي
التي بها ملكه وكون التقوى موصلا لصاحبه سلامة ازمة المطايا التي بها يملكه وكون التقوى موصلا
لصاحبه سلامة الى السعادة الابدية التي هي اسنى المطالب يشبه غاية سير المطية الذلول براكبها والاستعارة
في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول ثم لما بين ان ههنا طريقين يمكن ان يسلك فيهن طريق الخطايا
وطريق التقوى ذكر بعده انهما حق وباطل فكانه قال وهما حق وهو التقوى وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل
اهل اي ولكل من طريقي الباطل والحق قوم اعتزهم القدر ليسلكوه كما اخبر حكمة الله في اللوح المحفوظ بعلم القضاء
الالهي كما قال الرسول صلعم كل ميسر لما خلق له قوله فلان امر الباطل لقديما فعل ولان قل الحق فلربما ولعل
ارداف لذلك بالتنبيه الاعتذار بنفسه ولاهل الحق في قلتهم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرتهم اي
ان كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك الوقت ليس بدعا حتى يحتد نفسي في الانكار على اهله ثم لا يسمعون
ولا ينتهون وفي قوله لربما ولعل تنبيه على ان الحق وان قل في زمان يعود كثيرا ثم ارد فهو حرف التقليل
وهو رب وحرف التمني مكان في هذه الاحرف الوجيزة اخبار بقلة الحق ووعد بقوته مع نوع تشكيك وذلك
ولتنبيه لكثرته قوله ولقلما ادبر شيء فاقبل استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة والقوة بعد
قلته وضعفه على وجه فان زوال الاستعداد لامر مستلزم لزوال الصورة وصورة الحق انما افيضت
على قلوب صفت فاستعدت لقبوله فاذا اخذ ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم
وتشوق ذوات نفوسهم بشبه الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق ويكثر ظلمة الباطل بسبب
الاستعداد لها وظاهر ان عود الحق واضاءة نوره بعد ادباره وانتشار ظلمة الباطل امر بعيد بل
ما يعود بقوة فيضه الواح النفوس وارضها مشرقة بانوار الحق وذلك على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق وبعث على القيام به لئلا يضمحل بتخاذلهم عنه ملازمتهم
تداركه والله التوفيق قوله شغل من الجنة والنار امامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر
في النار اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ

منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس
وكفى بالمرء جهلا الا يعرف قدره لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم فاستتروا ببيوتكم واصلحوا
ذات بينكم فالتوبة من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه اقول قد عرفت كون هذا الفصل من
الخطبة التي ذكرناها الجادة فيعظم الطريق الصحيح الجانب والسنخ الاصل وذات البين حقيقته والخيبة
عدم حصول المطلوب واعلم ان تقدير القضية الاولى ان من كانت النار والجنة امامه فقد حصل بها شغل
يكفيه عن كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل الا به واشار بذلك الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز بالجنة
والنجاة من النار مما نطقت به الكتب المنزلة وحث على الرسل واشار بكون الجنة والنار امامه
ملاحظين له متذكرا الاخرة وعمله فلا امامه ونصب خياله ومن كانت كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما
الثاني ان يكون كونهما امامه اي انه لما كان الانسان من مبدأ عمره الى منتهاه مسافرا الى الله تعالى فهو
في انقطاع سفره لا بد وان ينتهي اما الى الجنة او الى النار فكانا امامه في ذلك السفر وغاية سفره الا وهي
اليها ومن كان ابلاغ السفر الى غاية متعينة فكيف يليق به ان يستعمل بغير جهات تلك الغاية والتوسل
اليها وانما قال شغل بالبناء للمفعول لان المقصود ههنا ليس الا ذكر الشغل اولانه لما كان الشاغل
هو الله تعالى الحاد بحثه والترغيب في احديهما والترهيب من الاخرى كان ترك ذكره
للتعظيم والاجلال او لظهوره ثم انه لما نبه على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما
قسم الناس بالنسبة الى ذلك الاشتغال الى ثلاثة اقسام وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب
بطيء رجا ومقصر في النار ووجه الحصر في هذه القسمة ان الناس بعد الانبياء عليهم السلم
اما طالبون لله او تاركون اما الطالبون فاما مجدون في اجتهادهم وبذل سعيهم في طلبهم
في الوصول الى رضوان الله او بالبطء والثاني هو التارك فهذه اقسام لا مزيد عليها وان كان في
الطالبين على مراتب ودرجات متفاوتة والقسم الاول هم السابقون بقصب السبق والناجون
من عذاب النار كما قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم
وهذا القسم يشمل الانبياء عليهم السلم ولولا افرادهم لجعلتهم قسما رابعا او قسم الخلق في الخطبة
الى ثلاثة اقسام والثالث المقصر الذي وقف به الشيطان حيث اراد وحجزه عن
سلوك سبيل الله فاوقعه في موارد الهلاك ومهاوي الشقاء وظاهر انه في النار قوله تعالى
واما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما القسم الثاني فهو ذو وصفين تجاذبانه
من جهة السفالة والعلو فطلبه للجنة بحركته وسلوكه الى الله واذ ضعف جاذب
له الى جهة العلو ويد الشيطان جاذبة له الى جهة السفالة الا ان رجاءه لعفو الله
ونظره اليه يعين جهته اذا انضاف الى حركته البطيئة كان السلام عليه اغلب وجهة

العلو منه اقرب وينبغي ان يشير الى حقيقة الرجاء ليتضح ما قلناه فنقول الرجاء هو ارتياح النفس
لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها تصدر عن علم وتقتضي عملا بيان ذلك ان ما تتصوره
النفس من محبوب ومكروه فاما ان يكون موجودا في الماضي او في الحال او يوجد في الاستقبال
والاول يسمى ذكرا وتذكرا والثاني يسمى وجدا ووجدانا لنفسه في الحال والثالث وهو اذا غلب
على ظنك وجود شيء في الاستقبال المستقبل به تعلق فيسمى ذلك انتظارا وتوقعا فان كان مكروها
حدث منه في القلب ألم يسمى خوفا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة
وارتياح لاخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع لا بد وان يكون
بسبب فان كان توقعه لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان انتظاره
مع العلم بانتفاء اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق فان كانت اسبابه غير معلومة الوجود
ولا الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره اذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا
ان الدنيا مزرعة الاخرة فالنفس هي الارض والايمان هو البذر والمعارف الالهية وسائر
انواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض في تقليبها واعدادها للزراعة وسياقة
الماء اليها فالنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا تقبل
البذر ولا النبات لمخالطة الاجزاء الملحية ويوم القيمة يوم الحصاد فلا حصاد
الا لمن زرع ولا زرع الا من بذر وكما لا ينفع الزرع في ارض سبخة كذلك لا ينفع ايمان مع
خبث النفس ورذائل الاخلاق فينبغي ان يقاس رجاء العبد لرضوان الله برجاء صاحب
الزرع فكان من طلب ارضا طيبة وبذر فيها وقت الزراعة بذرا غير متعفن ولا متاكل
ثم امده بالماء العذب وسائر ما يحتاج اليه في اوقاته ثم طهرها عن مخالطة ما يمنع نباته من شوك
ونحوه ثم انتظر من فضل الله دفع الصواعق والآفات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ
غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم الرجاء اذا كان مظنة ان يفوز بحاصله
من ذلك الزرع ومن بذر في ارض كذلك الا انه بذر في اخر اوقات البذر ولم يساق اليه الماء
الا وقتا او قصر في بعض اسبابه ثم ينتظر ثمرة ذلك الزرع ~~ومن بذر في ارض~~
ورجا الله في سلامته فهو من جملة الراجين ايضا ومن لم يحصل على بذر او بذر في ارض
سبخة او ذات شاغل من الانبات ثم اخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان
اسم الرجاء انما يصدق على انتظار ما حصلت جميع اسبابه او اكثرها الداخلة تحت
اختيار العبد ولمن بث بذر المعارف الالهية في ارض نفسه في وقته وهو
مقتبل العمر ومبدا التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد في طهارة نفسه عن
شوك الاخلاق الرديئة التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله تعالى ان ينبته

ينبته على ذلك الى زمان وصوله وحصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود وهو درجة السابقين
وان القى بذر الايمان في نفسه لكنه قصر في بعض اسبابه واما بتطويه في البذر او في السقي الى غير ذلك
مما يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر وقت الحصاد ويتوقع من فضل الله تعالى ان يبارك له فيه ويعتمد على
انه هو الرزاق ذو القوة المتين يصدق عليه ايضا انه راج اذ اكثر اسباب المطلوب التي
من جهته حاصلة وهذه درجة القسم الثاني وهو الطالب الراجي البطيء وان لم يزرع من قواعد
الايمان في نفسه شيئا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة او ترك نفسه مشغولة بشوك الاخلاق
الردية وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فذلك الانتظار غرور
وليس من الرجاء في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة وتحصيل زاد
الاخرة الهالك اشقى يوم الحسرة والندامة بالتمني تذرعت بحسن ظن بمن لا يعذب عذابه
احد ولا يوثق وثاقه احد وفي المعنى قال شعر اذا انت لم تزرع وكنت حاصدا ندمت
وقال رسول الله صلعم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الله تعالى فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وانما
خصص عليه السلام القسم الثاني بالرجاء اذ الان كما علمت عنده لضعف عمله وقلة الاسباب
من جهته والى هذه الاقسام الثلاثة اشار القرآن الكريم بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير وان اختلف فيه المفسرون والله اعلم
اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى الجادة لما قسم الناس الى سابقين ولاحقين
ومقصرين ارشادهم الى الطريق التي اخذ الله عليهم سلوكها ونصب لهم عليها اعلام الهدى
ليصلوا بها الى جناب عزته سالمين عن تخطفات الشياطين ومنزهها عن طرق الضلال
ولما علمت ان طريق السالكين الى الله اما العلم او العمل فالعلم طريق القوة النظرية
والعمل طريق القوة العملية وكل منهما محفوف الى بعد لمسه طرفا التفريط والافراط
كما علمته والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى هي الجادة الواضحة لمن اهتدى
وهي التي عليها باقي الكتاب الالهي من المقاصد الحكمية وعليها اثار النبوة ومنها السنة
الى طرفيها وهما التي تخرج والبناتير عاقبة اهلها في الدنيا والاخرة فان من
العدل بدأت السنة وانتشرت في الخلق واليه مرجع امورهم اما في الدنيا
فلان نظام امورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني على علمه في القوانين الشرعية والى تلك
القوانين التي اعرب عواقب امورهم وعليها يحلون واما في الاخرة فبالنسبة اليه حال الخارجين
دونه الفائزين فيحكم لمن سلكه وتمسك به اوقات سفره الى الله بجنات النعيم ولمن انحرف عنه
منه في الضلالة والهلاك الى الجحيم في النار الجحيم ولكل واحد من طرفي الافراط والتفريط بالنسبة اليه هو المراد

باليمين والشمال من ذكر الوسط وصاطرفا الصلة .. لم يعدل اليها ويورد الهلاك لمن سلكها قوله هلك
من ادعى وخاب من افترى يحتمل ان يكون القضيتان دعاء ويحتمل ان يكون اخبارا اى هلك من ادعى ما ليس
له اهلا وعنى الهلاك في الاخرى وخاب من كذب اى يحتمل مطلق به واذا حصل الكذب في سبيله اليه واعلم ان الدعوى
اما ان يكون مطابقة لما في نفس الامر وليس كذلك والثانية محرمة مطلقا واما الاولى فاما ان يدعو اليها حاجة
او ليس والقسم الاول هو المباح فقط دون الثاني وانا حرم هذان القسمان اما الاولى وهي الدعوى غير المطابقة
فلانها يصدر عن ملكة الكذب والجرأة على تحمل المكابرة كالجاهل بالامر المدعي لحصوله عن سنة في سنة
ذهنه وكلاهما من اكبر الرذائل واعظم المهلكات في الاخرة واما الثانية وهي المطابقة لا عن حاجة فلا
يكاد لا ينفك عن الانسان الا عن رذيلة العجب يستعلم انه من المهلكات قال رسول الله صلعم ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه واما حقيقة المفترى فلان الفرية اختلاف على الغير حق
وظاهر ان الكذب لا مرية له اما في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فقد يكون ولا يكون وان كانت في
معرض الرذائل ومستلزمة لسخط الله في منزلة ما لم يكن وصاحبها اشد خيبة من عادمها وطالت
الامر بالفرية على كل تقدير خاسر خائب قال بعض الشارحين يا دهلك من ادعى الامامة من غير استحقاق
وخاف من افترى اه في دعواه لعل لان كلامه في هذه الخطبة كثيرا ما يعرض فيه بامر الامامة قوله
من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره تنبيه على ان المتجرد
لاظهار الحق في مقابلة كل باطل ورد من الجهال وحملهم على امر الحق وصعبه في كل وقت يكون في معرض
الهلاك بايديهم والسنتهم اذ لا يعدم منهم من تو كيد الكرة وتسعى في دمه ثم اراد التنبيه على الجهل
فذكر ادنى مراتبه ونبه بها على ان اقل الجهل كان في الرذيلة .. فكيف بكثيره وذلك قوله فكفى بالمرء جهلا ان
لا يعرف قدره واراد مرتبته في الناس وعدم تصوره لدرجة نفسه وحنزلتها بالنسبة الى احاد هم
وكفى بهذا القدر جهلا كافانه منشا كثير من الرذائل المهلكة كالكبر والعجب وقول الباطل وادعاء
الكمال للناقصين ودعوى الطول في الكثير الاحوال كما قال عليه في موضع اخر رحم الله امرا عرف قدره
ولم يتعد طوره وفي هذه الكلمة تنفير للسامعين عن الجهل بقدر ما يتصور دونه من وجوب التجرد
للحق ونصرته وربما نفهم من الكلمة الاولى تعليم كيفية استجلاب طباع الجهال وتانيسهم وهو
انه لا ينبغي ان يتلو الحق دفعة ويتجرد في مقابلتهم به على كل وجه فان ذلك ما يجب نفارهم
وعدم نظام احوالهم بل ينبغي ان يتوسل به على التدريج قليلا قليلا وربما لم يمكن بانيسهم بالحق
في بعض الامور اما لعموض الحق بالنسبة الى افهامهم او لقوة اعتقادهم الباطل في مقابلته
فيعدوا عند ذلك بالحق في صورة الباطل وظاهره وذلك كما ورد في القران الكريم والسنن النبوية
من صفات التجسيم وما لا يكون ان يحمل على ظاهره من الصانع الحكيم فان حمل على ظاهره كما يتصوره
جهال الناس امر باطل لكنه لما كان سبب ايناسهم وجمع قلوبهم على اعتقاد الصانع اوليه تطاهر الامور

ورد الشرع به قوله لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظما عليه ذرع نبت تنبيه على لزوم التقوى
باعتبارين احدهما ان كل اصل مبني على التقوى فمحال ان يهلك ويلحق ثانيهما ان كما قال في امر اسس
بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على سفا جرف هار الثاني ان من ذرع ذرعا
اخرويا كالمعارف الالهية في ارض نفسه مثلا او دنيويا كالاعمال التي بها يقوم مصالح
الانسان في الدنيا وسقاها بماء التقوى وجعله مادتها فانه لا يلحق ذلك الزرع ظما بل
عليه ينشا باقوى ساق وازكى ثمرة واستعمال الزرع والاصل كناية بما ذكرناه قوله
فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم قد عرفت ان هذا
الفصل متقدم في الخطبة على قوله من ابدا صفحته للحق هلك وهو مسبوق بالتهديد
والوارد في معرضه وهو قوله الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف
ليس عند امام فيها هوادة اى مصالحة وسكون فاستتروا ببيوتكم وهو حسم لمادة
الفتنة بينهم بلزوم وهم التقعد عن الاجتماع للمنافرات والمفاخرات والمشاجرات
ولذلك اردفه بقوله واصلحوا ذات بينكم فان قطع مادة الفتنة سبب لاصلاح
ذات البين قوله والتوبة من ورائكم تنبيه العصاة عن الرجوع الى التوبة
عن الحركة في ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراء لان الجواذب
الالهية اذا احدثت بقلب العبد جذبته عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه
نفسه الى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصية والتوجه الى القبلة الحقيقية
فانه يصدق عليه اذن ان التوبة ورائه اى وراء عقليا وهو اولى من قول من قال ان
المعنى ان وراءكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه
تاديب لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره وانه هو المولى لكل نعمة تستحق
بها الحمد كما سيقتضي به لا اشارة وعلى قصر الملامة على النفس عند انحرافها عن جهة
القبلة الحقيقية الى متابعة ابليس وقبولها لدعوته من غير سلطان والى اصل هاتين
الكلمتين اشار القران الكريم ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن
نفسك فكل حسنة اصابت العبد من ربه فهو جيدا ، لحمده وشكره وكل سيئة اصابته من
من نفسه فهو جدير بالملامة لنفسه فائدة قال السيد رحمه الله ان هذا الكلام من مواقع الاحسان
ما لا يبلغه مواقع الاستحسان الى اخره فالاحسان مصدر قولك احسن الرجل احسانا
اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن الكلام التي اجاد فيها واحسن
ومواقع الاستحسان الاساس محاسن كلام العرب اى شيئا من محاسن كلام العرب
وما يطلق عليه الاستحسان فانه لا يوازى هذا الكلام ولا يبلغه او لعلمه لمواقع الاستحسان
الى الفخر عن الثاني وانه مجال الاستحسان ايضا اذ الاستحسان من صفات المستحسن

اي ان الفكر لا يصل الى محاسن هذا الكلام وقوله وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب به يريد ان
تعجب الفصحاء من حسنه وبدائعه اكثر من عجبهم باستخراج محاسنه وذلك ان فيه من المحاسن
ودقائقها ما يمكنهم التعبير عنه امور كثيرة فهم يجدونها من انفسهم وان لم يمكنهم التعبير عنها
فيكون تعجبهم من محاسنه اكثر من اعجابهم من انفسهم لا يقدرون على استخراجه منها
او يريد ان حظ العجب به اي الكبر من عجبهم به اي اكثر من محبتهم له وميلهم اليه وباقي كلامه ظاهر وبالله التوفيق
في صفة من يتصدى من الامة للحكم وليس لذلك
باهل ان ابغض الخلائق الى الله رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد
السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى
من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته
ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة عاد في اغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة
قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر حتى اذا
ارتوى من ماء آجن واكتثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص
ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم
قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري اصاب ام اخطأ فان اصاب
خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط جهالات
عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس قاطع يذري الروايات اذراء الريح
الهشيم لا ملي والله باصدار ما ورد عليه لا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من
وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره وان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه
تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله من معشر يعيشون جهالا
ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة
واغلى من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر
اقول وكله الى نفسه جعل توكله عليها والجائر العادل عن الطريق وفلان
مشغوف بكذا بالغين المعجمة اذا بلغ حبه له الى شغاف قلبه وهو غلافه وبالعين المهملة
اذا بلغ الى شعفة قلبه وهو عند معلق النياط والقمش جمع الشيء المتفرق والمجموع قماش
والموضع بفتح الضاد المطرح ويكرها المسرع والغار الغافل واغباش الليل
ظلمة وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل ويروى اغطاش الفتنة والغطش ايضا
الظلمة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات وامر مبهم اذا لم يعرف والرث الضعيف
البالي وعشوات الطريق [illegible] اذا [illegible] على ضعف والهشيم اليابس من نبت الارض

به الرجلين
بين سمعه لا ارض المنكر والعج رفع الصوت والبائر الفاسد واعلم انه اخذ اولا في التنفير عن
المشار اليهما بذكر انهما من ابغض الخلق عند الله ولما كانت ارادته لشيء ومحبته له عائدة
الى علمه بكونه على وفق النظام الكلي التام للعالم كانت كراهيته وبغضه له عائدة الى علمه بكونه
على ضد مصلحة العالم وخارجا عن نظامه فبغضه اذا لهذين الرجلين علمه بكون افعالهما واقوالهما
خارجة عن المصلحة قوله رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته شأن
احد الرجلين ومثله وذكر له اوصافا الاول انه وكله الله الى نفسه اي جعله متوكلا عليها
دونه واعلم ان المتوكل ماخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره الى فلان اذا فوضه اليه
واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده اذا عرفت ذلك فنقول
من اعتقد جازما او ظنا ان نفسه او احدا غير الله تعالى من ينسب اليه التاثير والقدرة
المتمكن من الفعل وانه تام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة
لان تنقش الله على قلبه صورة الاعتماد على المعتقد فيه والتوكل عليه فياتي به وذلك معنى قوله
وكله الله الى نفسه وكذلك معنى الوكول الى الدنيا وذلك بحسب اعتقاده ان المال والقينات الدنيوية
وافية بمطالبه وتحصيلها مغنية له عما وراءها فبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض
الله للعبد ومحبته له وبعده وقربه منه فلن يخلص اذن العبد من بغض الله الا بالتوكل عليه حق توكله
قال ان الله يحب المتوكلين وهو اعظم مقام وسمي صاحبه بمحبة الله ومن كان الله حسبه وكافيه
ومحبه ومراعيه فقد فاز فوزا عظيما فان المحبوب لا يبغض ولا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله
من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى
اليها وصورة التوكل عليه ان تنتقش في نفسك بكشف او اعتقاد جازم او اسناد جميع الاسباب
والمسببات اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق تام العلم والقدرة على كفاية العباد تام العطف
والرحمة والعناية بخلقه بحيث لا يكون وراء قدرته وعلمه وعنايته ورحمته وعنايته ولم يبق في
نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك فانك والحال هذه تجد من نفسك تسليم
امورها بالكلية اليه والارادة من التوكل على احد الاعلة فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب
ذلك ضعف الاسباب المذكورة او بعضها وغلبة الوهم على النفس في معارضته لذلك اليقين وبسبب
ضعف تلك الاسباب وشدتها وزيادتها ونقصانها يكون تفاوت درجات التوكل على الله
الثاني كونه جائرا عن قصد السبيل اي عن قصد سبيل الله العدل وصراط المستقيم وقد علمت
ان الجور رذيلة التفريط من فضيلة العدل الثالث كونه مشغوفا بكلام بدعة اي معجب بالخطر له
ويبتدعه من الكلام الذي لا اصل له في الدين ويدعو به الناس الى الضلالة والجور عن القصد وهذا
الوصف لازم عما قبله فان من جار عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد انه على سواء السبيل فكان ما يتخذه من

ذلك الكمال الذي هو نقصان في الحقيقة مستلزما قبول الباطل وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الرابع كونه فتنة لمن افتتن به وهو
ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبة قول الباطل والدعوة الى الضلالة سبب لكونه فتنة لمن يتبعه
الخامس كونه صادا عن هدى من كان قبله وهذا الوصف كالثالث فان الضال عن الهدى جائر عن قصد السبيل اعلى
ان هنا زيادة اذ الجائر عن القصد قد يجور ويضل حيث لا هدى يتبعه والموصوف قبله مامور باتباعه
وهو كتاب الله وسنة رسوله واعلام هداه الحاملين لدينه الناطقين عن مشكاة النبوة وذلك الوصف لازمه
واكده وجود عقوبته السابق كونه مضلا لمن اهتدى به في حيوته وبعد وفاته وهذا الوصف مشتمل على ما قبله
اذ ضلال الانسان في نفسه سبب لاضلاله غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره
مستلزم كونه مضلا لمن اهتدى به واما الزيادة فيكون ذكر الاضلال في حيوته وبعد موته لبقاء العقائد
الباطلة المكتسبة عنه هي سبب ضلال الضالين بعده السابع كونه حمالا الخطايا بغيره وهو لازم عن السادس
فان حمله الاوزار من ضله انما سبب اضلاله الثامن كونه رهنا بخطيئته اي موثوق بها عن الصعود
الى حضرة جلال الله والى هذين الوصفين اشار القران الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقول الرسول صلعم ايما داع دعى الى الهدى فاتبع
كان له مثل اجر من تبعه لا ينقص من اجرهم شي وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه
ولا ينقص منه شي فاعلم انه ليس المراد من ذلك انه يوصل العقاب الذي يستحقه الاتباع الى القادة
والروسا لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولما دخل احد من الناس
النار ابدا بل كانت مقصورة على ابليس وحده بل المعنى ان الرئيس المضل اذا وضع سيئة
يكون ذلك سببا للناس وضلالهم لم تصدر الا عن نفس قد استولى عليها الجهل المركب المضاد
لليقين وصار ملكة من ملكاتها فيستحكم لحجابه عن قبول الانوار الالهية وصار ذلك حجابا بينها
وبين الرحمة بحيث يكون ذلك الحجاب في القوة والشدة اضعاف حجب التابعين له والمقتدين المتاسين
عن فتنته فان تلك الحجاب الطاغية على قلوب التابعين مستندة الى ذلك الحجاب في حصولها فلا جرم يكون
وزره وسيئته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت بسبب اضلاله لا كل سيئاتهم من كل جهة ولذلك
قال ومن اوزار الذين يضلونهم اي بعض اوزارهم وهي الحاصلة بسبب المضلين وقال الواحدي ان من في هذه
الاية ليست للتبعيض لان البيان للجنس والا لخف عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك ينافي قوله صلعم من غير
ان ينقص من اوزارهم شي قلت هذا وان كان حسنا الا ان الالزام الذي ذكره غير لازم على كونها للتبعيض
لان القائل بكونها كذلك يقول ان المراد ويحملون بعض امثال اوزار التابعين لا بعض اعيان اوزارهم واذا
فهمت ذلك في جانب السيئات فافهم مثله في جانب الحسنات وهو ان الداعي للحسنة والهدى يعتبر بدا لها تصدر
عن نفس صفاء واشراق كل نورها فاشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاءت بها [illegible]

المتبوعة

السنة الماخوذة من جملة انوارها الفائضة عنها على اقتباسها فكان في النفس
من الاستكمال بنورانية الذي هو راس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة
عن تلك السنة ومثل لها وكان لها من الاجر والثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان
في اجر التابعين وهذا هو الحاصل لهم والى مثل هذا المعنى الاشارة الواردة في الخبر ان
حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فانك علمت
ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على
وجه الاستعارة كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من سيئات
المظلوم الى الظالم حصول امثالها في قلب الظالم ونقل حسنات الى المظلوم حصول امثالها
في قلبه وذلك لان الطاعة تاثير في النفس بالتنوير والمعاصي تاثيرا بالقسوة والظلمة
وبانوار الطاعة يستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية
ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة تستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة
الكمال الالهي فالطاعة مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها
وبين الحسنات والسيئات تضاد وتعاقب على النفس كما قال ان الحسنات
يذهبن السيئات وقال لا تبطلوا اعمالكم وقال صلعم اتبع السيئة الحسنة تمحها
والالام ممحصات الذنوب ولذلك قال صلعم ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي تصيب
رجله والحدود كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسي القلب
ويسود لوح النفس فيمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه احبط طاعته والمظلوم
يتالم وتنكسر شهوته ويستكين قلبه ويرجع الى الله فيفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له
من اتباع الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد
والظلمة الى قلب الظالم وذلك انتقال على سبيل الاستعارة كما علمت وكما يقال انتقل ضوء
الشمس من مكان الى مكان وقد تلخص من هذا التحقيق ان الحسنات المنقولة الى المظلوم من ديوان
الظالم هو استعداده لقبول الرحمة والتحقيق ان الحاصل بسبب ظلمة الظالم والسيئات
المنقولة من ديوان المظلوم الى الظالم هو استعداده للحجب والقسوة عن قبول الانوار الالهية
والثواب والعقاب حاصلان لما هو استعداده من تلك الانوار والظلمات واعلم ان ذلك
النقل وحمل الظالم اوزار المظلوم وان كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه لما لم ينكشف للبصائر
الا في يوم القيامة لا جرم خصص بيوم القيمة وانما قال حمالا ولم يقل حاملا للمبالغة والتكثير اي
انه كثيرا ما يحمل خطاياه وغيره واما الرجل الثاني فهو يعترض بوصفين الاول كونه قمش
جهلا قمش هو استعارة لفظ الجمع المحسوس لجمع المعقول الثاني كونه موضعا جهال الامة خطرها

لسن من اشراف الناس وتفهم من هذا الكلام انه حزينه حتى تخفض معيشته وان حمد وعين السالك كونه عاديا
في اغتباش الفتنة اي ساعيا في اوائل ظلماتها لو دي غايته اي غافلا في ظلمات المخصوصات لا يهتدي لوجه
تخليصها الرابع كونه اعمى البصيرة بارعا عقد الطلح والمسلة بين الناس من نظام امورهم ومصالح العامل
فهو جاهل بوجوه المصالح مشير للتشتت بينهم الخامس كونه قد تشاه اشباه الناس الجهال واهل الضلال
وهم الذين يشبهون الناس الكاملين في الصورة الحسية دون الصورة التامة التي هي كمال بالعلوم
والاخلاق السادس كونه بكرا فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر ذكر من جمع منونا وغير منون
الجمع التنوين بالجملة بعده صفة له واستعمل المصدر وهي جمع في موضع اسم المفعول اي مجموع ويحتمل
ان يكون المقصود هو المصدر نفسه والجمع للاضافة فقيل ان هاهنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير
مثلها معها حتى يكون ما الاولى هو المضاف اليها والثانية هو المبتدا والتقدير من جمع ما الذي قل منه
خير مما كثر لكنه لما كان الظاهر ما الثانية يشبه التكرار ويوجب عجزه في الكلام وكانت ما الواحدة
يعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولى وقيل ان المقدر المحذوف ان على طريقة فلم تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه اي من جمع ما ان قل منه خير مما كثر وعني بالتكثر الى الاستكثار من ذكر السبق
في اول العمر الى جمع الشبهات والاراء التي قليلها خير من كثيرها وباطلها اكثر من حقها السابع
كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ولما كان الاجون صفة للماء
والكمالات النفسانية التي هي العلوم كثيرا ما يعبر عنها بالماء الصافي والزلال وكان الجهل والاراء
التي حصل عليها بجمعها في العلم جامع الاعتقاد فهو والعلم داخلان تحت جنس الاعتقاد ويتميز الجهل
بوصف الفاسد كان الماء الاجن اشبه ما يستعار لتلك الاراء لسنته بصحيحه والاشبه فهي
يشبه الماء الاجن الذي لا غنا فيه للشاربين وفي ذكر تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل ذاته
التشاد البيان من ذلك لا استكثار جلوسه من الناس قاضيا الثامن كونه ضامنا لتخليص ما التبس على غيره
اي واثقا من نفسه بحل ما يعرض بين الناس من المشكلة وضامنا حالا ثانيا وصفة لاول التاسع
كونه اذا ابتليت به احدى القضايا المبهمة الملتبسة وجه فضلها هيا لها حشوا ضعيفا من رايه
ثم جزم به والحشو الكلام الكثير لا طائل تحته وليس جلاء لتلك المبهمة العاشر كونه من لبس
الشبهات في مثل نسج العنكبوت تمثيل للامور الواهية ووجه هذا التمثيل ان الشبهات
التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة يلتبس فيلتبس على ذهنه وجه الحق منها
فلا يهتدي له لضعف ذهنه فتلك الشبهات في الوهن تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه الذباب
الواقع فيه وكما لا يمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع
في الشبهات لتخلص وجه الحق منها لغلظه عقليته وضعفه عن ادراك وجوه الخلاص الحادي عشر
انه لا يدري اصاب فيما حكم ام اخطاء فان اصاب خاف ان يكون قد اخطاء وان اخطاء رجا ان يكون

قد اصاب

وخوف الخطاء ورجاء الاصابة من لوازم الحكم مع عدم الدراية الثاني عشر كونه خباط جهلات وجهلات
جمع جهلة فعلة من الجهل وقد تقدم بيان ان وزن فعال للفاعل من الامور المعتادة التي يكثر
فعلها وذكر الجهل هنا بزيادة وهي كثرة الخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التي تقع منه في القضايا
والاحكام فيمشي فيها على غير طريق حق من القوانين الشرعية وذلك معنى خبطه الثالث عشر كونه
ركاب عشوات وهو اشارة الى انه لا يستضيء بنور الحق في ظلمات الشبهات الا على ضعف لنقصان
ضوء بصيرته فهو يمشي فيها على ما يتخيله دون ما يتحققه وكثيرا ما يكون حال كذلك ولما كان من شان الغاشي
الى الضوء في الطرق المظلمة تارة يلوح له فيمشي عليه وتارة يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشي على الخيال
كذلك حال السالك في طرق الدين من غير ان يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين ويعلم كيفية سلوك طرقه
فانه تارة يكون نور الحق في المسالة ظاهرا فيدركه وتارة يغلب عليه ظلمات الشبهات فيعمى عليه الموارد
والمصادر فيقع في الظلمة خابطا وعن القصد جائرا الرابع عشر كونه لم يعض على العلم بضرس
قاطع كناية عن عدم اتقانه للقوانين الشرعية واحاطته بها يقال فلان لم يعض على العلم بضرس
اذا لم يحكم ما دخل فيه من الامور الخامس عشر كونه يذري الروايات اذراء الريح الهشيم ووجه
التشبيه ان الريح لما كانت تذري الهشيم وهو ما يكسر من نبت الارض وييبس فيخرج عن حد الانتفاع
كذلك اقتحامه للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم ينتفع بها الغافل هنا فهو يقف على
رواته بعد الحركة ويمشي عليها من غير فائدة السادس عشر انه غير ملي باصدار ما يرد عليه اشارة الى
انه ليس له قوة على اصدار اجوبة عما يرد عليه من المسائل وهو نقيض هنا السابع عشر كونه لا يحسب
العلم في شيء مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا شيئا اي الضم من الحساب اي لا يعده شيئا ويعده خاليا من الكمال
والفضيلة والمراد تنكير العلم كما سنها الكل فهو لا يعده شيئا ولا يعده بالحساب في الاعتبار من جهة
ما انكره معنى العلم الحقيقي الذي ينبغي ان يطلب ويجتهد في تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما وتشتم
وجهه فان كثيرا من الجهال ممن يدعي العلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون ويشنع
على معلمه ومتعلمه كاكثر الناقلين الاحكام الفقهية والمتصدين للفتوى والقضاء بين الخلق
في زماننا وما قبله فانهم يسارعون في انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير
من تعلمها وهم غافلون عن ان احدهم لا يستحق ان يسمى فقيها الا ان يكون له مادة من
العلم العقلي المتكفل ببيان صدق الرسول صلعم واثبات النبوة التي لا تقوم شيء من الاحكام
الفقهية التي يدعون انها كمال العلم الا بعد ثبوتهما وذوي بكرة السين من الحسبان وهو الظن اي
لا يظن العلم فضيلة يجب اعتقادها واعتباره بها فيوحا انكره الثامن عشر كونه لا يرى
ان وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اي انه اذا غلب على ظنه حكم في القضية جزم به وربما كان
غيره في المسالة قول اظهر من قوله لا يعضده دليل فلا يعتبره ويصر على ما بلغ فيه اليه التاسع عشر

كونه ان العلم عليه امر الكتمه به لما يعلم من جهل نفسه وكثرة امارات عمى قضاء الشيء وعلاوة
القيام بما يشكل عليهم امره من المسائل و التغافل عن سماعها اذا اوردت عليهم لئلا يظهر جهلهم
من اهل الفضل واعلة لحفظ المناصب العشرون كونه كصراخ حي جود قصاده الوكاو تعج منه
المواريث نسبة الصراخ الى الوباء والعجيج الى المواريث اما على سبيل حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه اي اهل الدماء واولياء المواريث فيكون حقيقة او على سبيل استعارة
لفظ الصراخ والعجيج لما كانا يصدران عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق
والمواريث بلسان حالها المفصح عن حقها ووجه الاستعارة ان الصراخ والعجيج لما كانا
يصدران عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق والمواريث المستباحة
بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها المفصحة بالشكاية والتظلم لاجرم حسنت استعارة
اللفظين ههنا بعد ان خص الرجلين المذكورين بما ذكر فيهما من الاوصاف المنفرة على
سبيل التفصيل اردف ذلك بالتنفير عنهما على سبيل الجملة بايهما وغيرهما من الجهال من
التشكي والبراءة وذلك قوله الى الله من معشر اي اشكو كما هو في بعض النسخ اي الى الله اجوار
وذكر اوصافا حيداو ها البقاء على الجهل والعيش فيه واراد بالعيش الحيوة وما يلزمه بذكر الموت
قوله يموتون ضلالا وصفا لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا
قوله يموتون ضلالا وصف لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا
قوله ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته الى اخره اي اذا قرئ الكتاب
وحمل على الوجه واذا حرف عن مواضعه ومقاصده وبدل على حسب اغراضهم ومقاصدهم ذلك في
ورده على ذلك الوجه ما على ثمن وكان من انفق السلع بينهم واستعار له لفظ
السلعة ووجه المشابهة ظاهر ومنشأ كل ذلك هو الجهل وكذلك ليس عندهم انكر من
المعروف وذلك انه لما خالف اغراضهم ومقاصدهم اطرحوه حتى صار بينهم منكرا
يستقبحون فعله ولا اعرف من المنكر لموافقة اغراضهم محبتهم لذلك واعلم انه عم
قسم الناس في موضع اخر الى ثلاثة اقسام عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان
المشار اليهما بالاوصاف المذكورة ههنا ليسا من القسم الاول ولكونهما على طرف الجهل
المضاد للعلم ولا من الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما وكون الهمج تابعين
كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم الثاني وهم المتعلمون اذا عرفت ذلك فنقول المراد
المراد بالمتعلم ههنا من يرتفع عن درجة الهمج من الناس بطلب العلم واكتسب ذهنه شيئا من الاعتقادات
عن مخالطة من اتسم بسمة العلم ومطالعة الكتب وعن ذلك ولم يبلغ درجة العلماء الذين
يقتدرون على التصرف والقيام بالحجة فاعتقد انه حصل تماما ان يكون فيصلا يقضي بكليهما وبعضها

او عن مظانه اصلا على التعديات فاما ان لا ينصب نفسه لشيء من المناصب الدينية كالفتوى
والقضاء ونحوهما او يتصدى لذلك فهذه اقسام ستة احدها من اعتقد اعتقادا مطابقا
ولم يعرض نفسه لشيء من المناصب الدينية الثاني من كان اعتقاده كذلك لكنه نصب نفسه
للافادة الثالث من اعتقد جهلا ولم ينصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا وعرض نفسه لها
الخامس من اعتقد جهلا وعن جهل ولم ينصب نفسه للافادة السادس من كان اعتقاده
كذلك ونصب نفسه لها والقسم الاول وحده هو الخارج عن هذين الرجلين باوصافهما والثاني
والرابع والسادس منهم يكون الرجلان المذكوران فلا واحد منهم في تنبيه عليه السلام هو من نصب
نفسه لسائر مناصب الافادة دون منصب القضاء والثاني وهو من نصب نفسه له وانما بالغ
في ذمهما ونسبتهما الى الجهل والضلال وان كان بعض اعتقادهما حقا لكون القدر الذي حصلا
عليه محفوفا بظلمة الجهل فضلا لها واصلا لها اغلبه وانتشار الباطل عنهما اكثر واما
القسم الثالث والخامس فداخلان فيمن برأ الى الله منهم وذمهم اخبر بالعيش في الجهل والموت
على الضلال ومابعده والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا** ترد
على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها
بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب اراءهم جميعا والههم
واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل
الله دينا تاما فقصر الرسول صلعم عن تبليغه واداءه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب
من شيء وفيه تبيان كل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال
سبحانه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق
وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات الا به اقول الانيق
الحسن المعجب وفي هذا الكلام تعريض بانه عم كان يرى ان الحق في جهة وانه ليس كل مجتهد مصيبا
وهذه المسألة مما انتشر الخلاف فيها بين علماء اصول الفقه فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب
اذا راعى شرائط الاجتهاد وان الحق بالنسبة الى كل واحد من المجتهدين ما ادى اليه اجتهاده
وغلب على ظنه فجاز ان يكون في جهتين او جهات وعليه الامام الغزالي رحمه الله وجماعة
من الاصوليين ومنهم من ينكر ذلك ويرى الحق في جهة والمصيب له واحد وعليه اتفاق
الشيعة وجماعة من غيرهم ورد بافضل دعضهم والمسألة مستقصاة في اصول الفقه واعلم
ان في قوله ترد على احدهم القضية الى قوله فيصوب اراءهم جميعا بيان لصورة احوالهم التي
ينكرها وقوله والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد شروع في بطلان ما يرونه
بقيا اي اجتهادهم في المسئلة الصعبة من قياس الضعيف ونقد مكبراه كل قوم كانوا اذا ذكر فلا يجوز لهم ان

يختلفوا في حكم شرعي وقوله ام امرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى اخره حجة يكون هي تقدير
المقدمة الكبرى كاد الصغرى مسلمة وتقرير برهانها ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطاعوه
فيه او بنهي منه عصوه فيه او سكت عنه عن الامرين وعلى التقدير الثالث فجواز اختلافهم في دينه
والحاجة الى ذلك اما ان يكون الى نقصانه او تمامه او تقصير الرسول في ادائه وعلى الوجه الاول
فذلك الاختلاف انما يجوز على احد وجهين احدهما ان يكون اتماما لذلك النقصان او على وجه
اعم من ذلك وهو كونهم شركاء في الدين فعليه ان يرضى بما يقولون وعليهم ان يقولوا اذ شان
الشريك ذلك ضده وجوه حصره وحصر الاقسام الثلثة الاخيرة ثابت بسبب استقراء وجوه الحاجة
الى الاختلاف وهذه الاقسام كلها باطلة واشار الى بطلانها ببقية الكلام اما بطلان الاول فلان
مستند الدين هو كتاب الله تعالى ومعلوم انه يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه
فلا يتشعب عنه من الاقوال والاحكام الا ما يكون كذلك ولا شيء من اقوالهم المختلفة كذلك فينتج
انه لا شيء مما استند الى كتاب الله تعالى بشيء من اقوالهم فلا يكون اقوالهم من الدين واما بطلان
القسم الثاني فلان عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف
وهو غني عن الدليل واما بطلان الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء وقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء واما الرابع والخامس
فظاهر البطلان فلا يمكنهم دعوتهما فلذلك لم يورد بطلانهما حجة ثم اردف ذلك بتنبيههم
على ان الكتاب واف بجميع المطالب اذا تدبروا معناه ولحظوا اسراره وتطلعوا
على غوامضه فيحرم عليهم ان يتسرعوا الى قول ما لم يستند اليه وذكر في ظاهره
انيق حسن معجب بانواع البيان واصنافه وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر اسراره
الا اولوا الالباب فمن ايدهم الله بالحكمة وفصل الخطاب ولا تفنى الامور المعجبة منه
ولا تنقضي النكت العربية منه على توارد صوارم الاذهان وخواطف الابصار ولا تكشف
ظلمات الشبه الناشية من ظلمة الجهل الا بمصابيح انواره ولوامع اسراره
وقد داعى في هذا القرآن المجيد المتواذى وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام خاطب به الاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في كلامه عليه السلام شيء اعترضه الاشعث فقال يا امير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال
وما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك بن حائك منافق بن كافر
والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وان
امرأ دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يأمنه الابعد قال
السيد رحمه الله اراد انه دل على قومه السيف ما جرى له مع خالد بن وليد باليمامة فانه غدر بقومه

وحكى بهم

ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم اقول الكلام
الذي اعترضه الاشعث انه عليه السلام كان في خطبته يذكر امر الحكمين فقام اليه رجل من اصحابنا وقال له نهيتنا
عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق بيديه فوجد الاشعث بذلك شبهة في
تركه عليه وجه المصلحة واتباع الاراء الباطلة واراد انها هذه عليك وجهل او تجاهل ان وجه
المصلحة قد يترك محافظة على امر اعظم هذا جزاء من حيث تركتم الحزم وظن الاشعث انه اراد
هذا جزاء اي معال الكلمة وكشف لنا الهلاك ودوى باليا وهو الميل والمقت البغض
قوله وما يدريك ما علي مما لي اشارة انه جاهل وليس للجاهل ان يعترض عليه وهو استاذ
العلماء بعد رسول الله صلعم واما استحقاقه اللعن فليس لمجرد اعتراضه ولا لكونه ابن كافر
بل لكونه مع ذلك من المنافقين بشهادته عليه والمنافق مستحق اللعن والابعاد عن رحمة الله
بشهادة قوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقوله
حائك بن حائك استعارة اشار بها الى نقصان عقله وقلة استعداده لوضع الاشياء في
مواضعها وتأكيد لعدم اهليته للاعتراض عليه اذ الحياكة مظنة نقصان العقل
وذلك لان ذهن الحائك عامة وقته متوجه الى جهة صنعته مصبوب الفكر الى اوضاع الخيوط
المتفرقة وترتيبها ونظامها محتاج الى حركة رجليه ويديه وبالجملة فالمشاهد له يعلم من
حاله انه مشغول الفكر عما وراء ما فيه فهو ابله فيما عداه وقيل لان معاملة الحائك مخالطة
لضعفاء العقول والنساء والصبيان ومن كانت معاملته لهؤلاء فلا شك في ضعف رأيه وقلة
عقله للامور وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام انه قال عقل اربعين معلما
عقل حائك وعقل حائك عقل امرأة والمرأة لا عقل لها وعن موسى بن جعفر عليه السلام
انه قال لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة فان الله تعالى قد سلبهم عقولهم وذكر مجموعها
على المبالغة في نقصان عقولهم وقيل انما عيره بهذه الصنعة لانها صنعة دنية تستلزم
صغر الهمة وخستها وتشتمل على رذائل الاخلاق فانها مظنة الكذب والخيانة روي
ان رسول الله صلعم دفع الى حائك من بني النجار غزلا لينسج له ثوبا فكان يمطله ويأتيه عليه
متقاضيا ويقف على بابه فيقول ردوا علينا ثوبنا ليتجمل به في الناس ولم يزل يمطله
حتى توفي صلعم وقد علمت ان الكذب راس النفاق فمن كانت لوازم هذه الصنعة اخلاقه
فليس له ان يعترض في مثل ذلك المقام وقد اختلف في ان الاشعث هل كان حائكا او لا فمن روي
زعم انه كان هو وابوه ينسجان برود اليمن وقال اخرون ان الاشعث لم يكن حائكا فانه كان من
ابناء الملوك كندة واكابرها وانما عيره بذلك لانه اذا كان يمشي يحرك منكبيه ويفحج بين رجليه
وهذه المشية تعرف بالحياكة يقال حاك يحيك حيكا وحيكانا وحياكة فهو حائك اذا مشى بتلك المشية
وامرأة حائكة اذا تبخترت في مشيتها ولا فرق في ذلك في انه على سبيل الاستعارة كني بها عن

عن نقصان عقله كما سبق اولا واما قوله لقد اشرك الكفر مرة وفي الاسلام اخرى فاما الكفر
واحدة منها مالك ولا احسبك فتاكيد لنقصان عقله واشارة الى انه لو كان له عقل لما حصل
فيما حصل فيه من الاسر حين ما فداه الى ما نجاه من الوثوق في واحدة منها ماله ولا
حسبه ولم يرد الفداء بعد الاسر فان الاشعث فدي في الجاهلية وذلك ان مرادا لما قتلت
اباه اباه خرج ثائرا طالبا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلثة الف بعير ووفد على النبي صلعم
وسبعين رجلا من كندة فاسلم على يده فذلك الاسر هو مراده عليه السلم بالاسر الكفر واما
اسره في الاسلام فانه لما قبض رسول الله صلعم ارتدت حضرموت ومنعوا اهلها تسليم الصدقة وابى
ان يبايع لابي بكر فبعث اليه زياد بن اسد بعد رجوعه عنهم وقد كان عاملا قبل ذلك على
حضرموت ثم اردفه بعكرمة بن ابي جهل في جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الاشعث بقبائل
كندة قتالا شديدا في وقائع كثيرة وكانت الدائرة عليه فالتجأ لتوقعه الى حصنهم فحصرهم
زياد حصرا شديدا وبلغ بهم جهد العطش فبعث الاشعث الى زياد يطلب منه الامان لاهله
ولبعض قومه وكان من غفلته انه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل اسره وبعث به مقيدا
الى ابي بكر بالمدينة فسال ابا بكر ان يستبقيه لحربه وتزوجه اخته ام فروة ففعل
ذلك ابو بكر وجاء بدل على عدم مراعاته لقواعد الدين ما روي انه بعد خروجه من مجلس
عقده تام فتروه اصلت سيفه في ارقة المدينة وعقر كل بعير راه وذبح كل
شاة استقبلها للناس والتجاء الى دار من دور الانصار فصاح به الناس
كل جانب وقالوا قد ارتد الاشعث مرة ثانية فاشرف عليهم من السطح وقال
اني غريب ببلدكم وقد اولمت بما نحرت وذبحت فيأكل كل انسان ما وجده
وليغد والي من كان له علي حق حتى ارضيه ففعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة
الا وقد فيها بسبب تلك الجملة فضرب اهل المدينة به المثل وقالوا اولم من الاشعث
وفيه قال الشاعر لقد اولم الكندي يوم ملاكه وليمة حال النقل العظام وقوله
من دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد
اشارة الى غدره بقومه وذلك انه لما طلب الامان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسيرين من وجوه
قومه فظن الباقون انه اخذ الامان لجميعهم فسكنوا ونزلوا من الحصن على ذلك الظن
فلما خرج الاشعث من طلب الامان له من قومه دخل زياد الى الحصن فقتل المقاتلة صبرا
فذكروه الامان فقال لهم ان الاشعث لم يطلب الامان الا لعشرة من قومه فقتل من قتل منهم
ثم وافاه كتاب ابي بكر بالكف عنهم وحملهم اليه فحملهم وذلك معنى قوله علم من دل على قومه السيف
وساق اليهم الحتف اذ قادهم الى الحرب واسلمهم للقتل ولا يبعد ان يكون المراد بذلك تحقيق اه

ان لمنفعة فيحضر ولا يامنه غيرهم واما ما حكاه السيد رضي من انه اراد به خدعا كان الاشعث مع خالد بن
وليد باليمامة وانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد فلم اقف على من ذكره في وقائع خالد
باليمامة وحسن الظن بالسيد الرضي يقتضي تصحيح نقله ولعل ذلك في وقعة لم اقف على اصلها
واعلم انه عليه السلم في هذا الفصل بجميع الرذائل النفسانية فنبه بالجهل والغباوة التي
هو طرف الافراط من فضيلة الحكمة لكونه منافقا وكونه ابن كافر تاكيد لتنبيه النفاق اليه
واشار الى الفشل وقلة التثبت التي هي في طرف التفريط والافراط من فضيلة الشجاعة
لكونه قد اسر مرتين وكان فيه اشارة الى ذلك ففيه ايضا اشارة الى نقصان عقله كما قلناه
واشار الى الظلم والغدر الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة الوفاء بقوله وان امرأ دل على قومه
بالسيف وساق اليهم الحتف واستجماعه لهذه الرذائل كان مستحقا للعن واما استعار لهم
لفظ عرف النار فلان العرف عبارة عن كل مرتفع والاعراف في القران الكريم سور بين الجنة والنار
ولما كان الغدر المستلزم للطباع طباعا له صار كالعلم على النار القائد لمن اتبعه اليها
كالعرف من الجبال التي هو اعلى الطرق واستعير لفظه له ويحتمل ان مراده انه لما كان من
شان كل حي تعوعا ان يستتر ما وراءه وكان الغادر يستتر بمكره وحيلته امورا كثيرا
وكان هو قد غر قومه بالباطل وعدهم صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ عرف النار لستره
عنهم ما وراءه من نار الحرب ونار الاخرة اذ حملهم على الباطل والله اعلم
فانكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم
ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم
ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل
السماء الا البشر اقول الوهل بالتحريك الفزع تقول وهل يوهل وهلا فزع واعلم
ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فانه محجوب بظلمة اللذات البدنية والمعارضات
الوهمية والخيالية عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب مما يقبل الزيادة
والنقصان والقوة والضعف والناس فيه على مراتب واعظمهم حجبا واكثفهم حجابا الكفار
كما اشار اليه القران الكريم مثلا في حجبهم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج
من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض لانه مثل الكفار كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك
فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والموج الاول الى الشهوات
الداعية الى الصفات البهيمية ولحري ان يكون الموج مظلما اذ حب الشيء يعمي ويصم والموج
التالي موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهات
وبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب
الاكثر مستولي على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب الاعتقادات الباطلة

والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا للبصيرة الكاشفة عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب ان يحجب نور
الشمس عن الابصار الظاهرة واذا كانت هذه كلها حاصلة فبالحري ان تكون ظلمات بعضها فوق
بعض واما اخفهم حجابا وارقهم حجابا فهم الذين بذلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا
في تصفية بواطنهم وصقالة مرائي نفوسهم والقاء حجب الغفلة واستار الشهوات البدنية فاشرقت
عليهم شموس المعارف الالهية وسالت اودية قلوبهم بمياه الجود الرباني المعطي لكل قابل ما يقبله
حسب استعداده وان كانوا قد بلغوا الغاية من الجد في رفع الحجب وغسل درن الباطل من نفوسهم الا انهم ما
داموا في هذه الابدان فهم في اغطية من هيآتها وحجب من استارها وان ضعفت تلك الحجب
ودقت تلك الاغشية وما بين الناس المرتبتين درجات من الحجب متفاوتة ومراتب متصاعدة
ومتنازلة وبحسب تفاوتها تكون تفاوت النفوس في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول الانفاس
والمعارف الالهية والوقوف على اسرار الدين وبحسب تفاوت هذه الحجب تكون تفاوت ورود النار
كما قال وان منكم الا واردها ولن يخلص الانسان من سواتر هذه الحجب وظلماتها الا بالخلاص عن هذا
البدن وطرحه وحينئذ تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا فيكون مشاهدة بعين اليقين ما اعد لها من خير وما هي فيه من شر بحسب استعدادها
بما كسبت من قبل فاما قبل المفارقة فان حجاب البدن مانع لها عن مشاهدة تلك الامور
كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او نوع من المكاشفة الكلية الممكنة لكثير
من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع لا يكون كالمشاهدة لانها مشاهدة حقيقية
حاصلة اذ لا ينفك عن شائبة الوهم والخيال ولذلك قال صلعم حاكيا عن ربه اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اي
ودع ما اطلعتهم عليه وهو اشارة الى طور المشاهدة الخالصة عن الشوائب التي هي
عين اليقين بعد الموت وتسمى ما ادركه اهل المكاشفات بمكاشفاتهم في حيوتهم الدنيا
عين اليقين فاما ادراك من دون هؤلاء لتلك الامور فما كان منها مؤكدا بالشعور بعدم
امكان النقيض فهو علم اليقين وقد يختص علم اليقين في عرف الصوفية بما يميل النفس الى
تصديق به وتركن عليه وتستولي حتى تصير هو المحكم المتصرف فيها بالتحريض والمنع
فيقال فلان ضعيف النفس بالموت اذا لم يهتم بالاستعداد له فكانه غير موقن به مع انه لا يسترق
فيه شك وقوي النفس به اذا غلب ذلك على قلبه حتى استغرق همته بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك
فاعلم ان قوله علموا انكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبه فيها
على ان وراءهم من اهوال الاخرة وعذابها ما شاهده ممن سبق منهم الى الاخرة ما لا يشاهدونه
الان بعين اليقين وان علموه يقينا وسمعوا بها لزوم جزعهم ووهلهم وطاعتهم لو عاينوه
على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور وبين الملازمة بما شاهد البرهان عليها واشار

السوايل الى الحقيقة وذلك قوله ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وذلك
فعند شهادتهم في اهوالها وفزعهم وجزعهم من تلك المشاهدة فيجيبهم لسان العزة اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قوله لكن محجوب عنكم
ما قد عاينوا استثناء رفع لازم نقيض تالي هذه المتصلة اذ احتجاب تلك الاهوال عن ابصارهم
مستلزم لعدم جزعهم ووجلهم وهو صورة اعتذار منهم نطق به لسان حالهم قوله وقريب
ما يطرح الحجاب فالمقصود به تقريب رفع الابتداء وقرب جزعهم وهو اشارة الى حين تنكشف لهم تلك الحدود
بصورة التهديد لهم ان جعلوا ذلك الحال عذرة في التقصير عن العمل فانه عما قليل يرفع حجب الابدان
عن احوال القيامة واهوال الطامة وتكشط سماء اغطيتها عن ابصار النفوس فيشاهدون الجحيم
الجحيم قد سعرت واذا الجنة ازلفت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت
علمت نفس ما احضرت وكما قال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قوله لقد بصرتم
ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه تابع صورة
الحدود السابق لحالهم وهو وجود الحجاب المانع من مشاهدة ما يوجب الجزع والفزع وذلك
ان الحجاب وان كان قائما الان وساترا لتلك الامور عنكم فقد بصرتم بها واوضحت لكم بالعبر
والامثال على السنة الرسل عليهم السلم واسمعتم اياها والكتب الالهية والسنن النبوية
واهديتم عليها بالدلائل الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت كالمشاهدة لكم والمعلومة
عيانا لا شك فيها فلا عذر لكم بالحجاب وتخصيص السمع والبصر بالذكر لانهما الالتان اللتان
عليهما مدار الاعتبار بالامور الاخروية واشار بالهداية الى حظ العقل من نظر الاله
ونبه بايراد ان الشرطية في المواضع الثلاثة على انه يجد السكل في ابصارهم ما بصروا به وسماعهم
لما سمعوا واهتدوا انهم ما هدوا وكل ذلك تنفير لهم عن الفرح على الغفلة وتنبيه على الفرق
الى الله تعالى في طرق الاعتبار قوله بحق اقول لقد جاءكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر لما
قدم انهم بصروا واسمعوا اردف ذلك بيان ما بصروا به واسمعوا اي ما بصروا به بمشاهدة
العبر بالمصائب الواقعة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا به بالزجر بما فيه
من زجر وهي الاوامر والنواهي المؤكدة المردفة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة التي
في قلبها ازدجار لذوي الالباب كما قال ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة
فما تغني النذر قوله وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى انه ليس
في الامكان وراء ما جئتم به الا ان في السنة رسله طرق اخرى تدعون بها اذ ما يمكن دعوتكم
به من الوعيد والوعد والامثال والتذكير بالعبر اللاحقة لقوم حقت عليهم كلمة العذاب ونحو ذلك
لا يمكن ايضاحه مشافهة الا على السنة الرسل عليهم السلم فلا يمكن ان ترسل اليكم رسالات ربكم بعد رسل

السما التي هي الملائكة لانهم فينبغي ان يكون ذكرا ما كافيا لكم في الالتفات الى الله

فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم اخركم قال السيد رحمه
واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلعم بكل كلام لمال به راجحا وبرز
عليه سابقا فاما قوله عليه السلام تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا ولا اكثر محصولا وما ابعد
غورها من كلمة وانقع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها
وشرف جوهرها اقول لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت مع وجازة
الالفاظ جزالة المعنى المشتمل على الموعظة الحسنة والحكمة البالغة وهي اربع كلمات الاولى
ان الغاية امامكم واعلم انه لما كانت الغاية من وجود الخلق ان يكونوا عبادا لله كما قال
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى جناب
عزته والطيران في حظائر القدس لصحبة الكمال مع الملائكة المقربين كان ذلك هو غاية الانسان
المطلوبة منه والمقصودة له والمامور بالتوجه اليها بوجه حقيقي فان سعى لها سعيها ادركها
وفاز بحلول جنات النعيم وان قصر في طلبها وانحرف عن سواء الصراط الموصل اليها وقد
علمت ان ابواب جهنم عن جنبتي الصراط مفتحة كان فيها من الهاوين وكانت غايته
مدخلها مع الداخلين الا انها غاية عرضية فاذن ظهر ان غاية كل انسان امامه اليها
يسير ومنها يصير الثانية قوله وان وراءكم الساعة تحدوكم والمراد بالساعة القيمة
الصغرى وهي صرعة الموت فاما كونها وراءهم فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت
ويفر منه وكانت العادة في الهارب من الشيء ان يكون وراءه مهروبا منه وكانت الموت
متاخرا عن وجود الانسان ولاحقا اخرا اولحوقا حسيا فلا جرم استعير له لفظ الجهة
المحسوسة وهي الوراء واما كونها تحدوهم فان الحادي لما كان من شانه سوق الابل
الحثيث وكانت الموت غاية سائقة للواصل اليها اشبهت الحادي فاستعير وصفه لها
او لانه لما كان بذكر الموت وسماعه ينقاد به متعلقا من محبة النفس بما لا ينتفع به من امور
الاخرة والا هبة للقاء الله سبحانه هو يحمل العاقل على قطع عقبات الاخرة كما يحمل الابل على
قطع الطريق البعيدة الوعر لا جرم اشبه الحادي فاسند الحدو اليه الثالثة قوله تخففوا
تلحقوا ولما نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم في سفر واجب كان
السابق الى الغاية من ذلك السفر هو الفائز برضوان الله وقد علمت ان التخفيف وقطع
العلائق في الاسفار سبب السبق والفوز بلحوق السابقين لا جرم امرهم بالتخفيف لغاية
اللحوق في كلمتين فالاولى منها قوله تخففوا وكنى بها عن الزهد الحقيقي الذي
هو اقوى اسباب السلوك الى الله سبحانه وهو عبارة عن حذف كل شاغل عن التوجه الى القبلة
الحقيقية والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها ويحد كل ما سوى الحق الاول عن مستن الايثار
[illegible]

فان ذلك تخفيف لاثقال الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار الموجبة لحلول دار البوار
وهي كناية باللفظ المستعار وهذا الامر في معنى الشرط والثانية قوله تلحقوا وهو جزاء الشرط اي ان
تخففوا تلحقوا والمراد تلحقوا بدرجات السابقين الذين هم اولياء الله والواصلون الى
ساحل عزته وملازمة هذه الشرطية قد علمت بيانها فان الزهد الذي لا يخل منه ولا قصور من
جهته والزهد الحقيقي اقوى اسباب الوصول الى الله كما سبق فاذا استعدت النفس
بالاعراض عما سوى الله سبحانه وتوجهت الى استشراق انوار كبريائه فلا بد ان تفاض عليها
ما تقبله من الصورة التامية فيلحق بدرجة السابقين وتتصل بساحل العزة في مقام امين
الرابعة قوله فانما ينتظر باولكم اخركم اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيمة الكبرى بعد من هلك
اولا وصول الباقين موتهم وتحقيق ذلك الانتظار انه لما كان نظر العناية الالهية الى الخلق
نظرا واحدا والمطلوب منهم واحد وهو الوصول الى جناب عزة الله الذي هو غايتهم اشبه
طلب العناية الالهية وصول الخلق الى غايتهم انتظار الانسان لقوم يرد حضورهم جميعهم ومن قبلهم
باوائلهم وصولا واخر فاطلق عليه لفظ الانتظار لوصولهم فجعل ذلك علة لحثهم على
التخفيف وقطع العلائق ولا اشكال ان العقول الاولى الالباب مع ذلك لا استطاحت لهم ايضا
على التوجه بوجوه انفسهم الى الله والاعراض عما سواه هذا ملخص من اسرار هذه الكلمات وكفى بكلام
السيد رحمه الله مدحا لها وتنبيها على عظم قدرها وقد استعار السقطة وهي الكلمة الصافي الحكمة والله
الموفق والعصمة

الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب
خيله ليعود الجور الى اوطانه ويعود الباطل الى نصابه والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني
وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم
منه وان كانوا ولوه دوني فما التبعة الا عندهم وان اعظم حجتهم لعلى انفسهم يرضعون اما قد فطمت
ويحيون بدعة قد اميتت يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب واني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فان
ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثهم الي ان ابرز للطعان
وان اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب واني لعلى
يقين من ربي وغير شبهة من ديني اقول هذا الكلام من الخطبة التي ذكرنا انه عليه السلام
خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وفيه زيادة ونقصان وقد اورد السيد
بعضها فيما قبل ولما كان مذهبه في خطبته على سبيل التكملة لا الاختلاف بالزيادة والنقصان ونحن نورد
الخطبة بتمامها ليتضح المقصود وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله صلعم اما بعد فان
[illegible] وجعله نصيحته وناصره والله ما سلبت دنيا ولا دينا الا به وقد
[illegible] الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه ليعود له دينه وسنته وخدعه وقد رايت

لمجاهدة أعداء دين الله ساعين في هدم قواعده وأما قوله وقد ذمّر الشيطان حزبه
جلبه ومن أطاعه فقد سبق بيانه قوله ليعود له دينه وسنته وتعود ظاهر أن غاية
السلطان من وسوسته تمكنه من الخداع وعود المذاهب الباطلة كما كانت قبل الإسلام
ودينه وطريقته وكل ذلك سفه لما هم عليه من خالفه وجذب لهم إلى الحرب [illegible]
وقد ذات أمورا قد تمخضت إشارة إلى [illegible] ما سيستنفرهم إليه وتلك الأمور هي [illegible]
القوم وأهبتهم لقتاله والفتن المستقبلة قوله والله ما أنكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني
نصفا وانهم إلى قوله سفكوه إشارة إلى إنكارهم ما ادعوه منكرا ونسبوه إليه من قتل عثمان وإلى
على النكير على قاتله فانكروا ولا انكارهم عليه تخلفه عن عثمان الذي يزعموا انه [illegible] ولما لم يكن منكر
[illegible] ذلك كان لا انكار عليه هو المنكر واشار بقوله ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا إلى انهم
لو وضعوا العدل بينهم وبينه لظهر ان دعواهم باطلة وقوله وانهم ليطلبون حقا هم تركوه
ودما هم سفكوه إشارة إلى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركاء فيه روى ابو جعفر الطبري في تاريخه
ان عليا عليه السلام كان في ماله بخيبر لما حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة [illegible]
معه عثمان اليه يشكو من طلحة فقال علي انا اكفيكه فانطلق الى دار طلحة وهو مملوءة بالناس
فقال له يا طلحة ما هذا الامر الذي صنعت بعثمان فقال يا ابا الحسن ابعد ان مس الحزام الطبيين
فانصرف علي الى بيت المال فامر بفتحه فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب وفرق ما فيه على الناس
فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده فسر عثمان بذلك وجاء طلحة الى عثمان فقال له يا امير المؤمنين
اردت امرا فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائبا فقال والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا
الله حسيبك يا طلحة وروى ابو جعفر ايضا انه كان لعثمان على طلحة خمسون الفا فقال له طلحة
يوما قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك معونة على مروءتك فلما حصر عثمان قال علي لطلحة انشدك
الله الا كففت عن عثمان فقال لا والله حتى تعطي بنو امية الحق من انفسها فكان علي يقول بعد ذلك
لحا الله ابن الصعبة اعطاه عثمان ما اعطى وفعل به ما فعل وروى ان الزبير لما برز لعلي يوم الجمل قال
ما حملك يا عبد الله على ما صنعت قال الطلب بدم عثمان فقال له انت وطلحة وليتماه وانما توبتك
من ذلك ان تقدم نفسك وتسلمها الى ورثته وبالجملة فدخولهم في قتل عثمان ظاهر [illegible]
من الجملة عليهم قوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني
فما الطلبة الا قبلهم [illegible] وتقريرها انهم دخلوا في دم عثمان وكل من دخل فيه فاما بالشركة
او بالاستقلال وعلى التقديرين فليس لهم ان يطلبوا به واشار الى القسم الاول بقوله فان كنت
شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه اي على تقدير كونهم شركاء لي في ذلك فعليهم ان يبدؤوا بتسليم انفسهم
[illegible] واشار الى القسم الثاني بقوله وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم وقوله
[illegible] على انفسهم [illegible] اي ان العدل الذي يزعمون انهم [illegible]

امور [illegible] والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا هم تركوه
ودما هم سفكوه وان كنت شريكهم فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم
وان اول عدلهم للحكم على انفسهم ولا اعتذر مما فعلت ولا ابرأ مما صنعت وان معي لبصيرتي ما لبست
ولا لبس علي وانها للفئة الباغية فيها الحم والحمة طالت جلبتها وانكفت جونتها ليعود الباطل
في نصابه يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب [illegible] وانه اذ [illegible]
الباطل عن نصابه وانقطع لسانه [illegible] واضح حيث [illegible] قبلوه
قبل [illegible] ولا [illegible] وما اعتذر اليهم معذوره ولا دعاه [illegible] وايم الله لافرطن
لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون بعده في حسي وانها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم
وعلمه فيهم واني داعيهم فمعذر اليهم ان تابوا وقبلوا فالتوبة مبذولة
والحق مقبول وليس على الله كفيل وان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا
للمؤمن ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها والله ان الزبير وطلحة [illegible] ليجلون الى
على الحق وهم مبطلون [illegible] واجلب الجماعة من الناس [illegible]
[illegible] والنصف بكسر النون وسكون الصاد النصفة وهي اسم من
الانصاف وفي [illegible] والحمة بضم الحاء وتشديد الميم [illegible] التي
[illegible] والحمة السواد [illegible] استعارتان لارذال الناس وعوامهم
والجلبة الاصوات وجونتها بالضم سوادها وانكفت واستكفت اي [illegible]
[illegible] والنصاب الاصل [illegible] من الذنب براء منه والعب الشرب من
غير مص [illegible] والجلاد المضاربة بالسيف والهبول
الثكلى والهبل الثكل واعلم انه عليه السلام نبه اولا على فضل الجهاد لان غرضه استنفارهم
لقتال اهل البصرة فاشار اولا الى وجوبه من الله والكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى
وجاهدوا في سبيل الله باموالكم وانفسكم ونحوه ثم اردفه بتفضيل الله له وذلك
قوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على
القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ثم ذكر
ان الله جعله نصرة وناصرا وذلك كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والمراد نصرة دين الله
وعباده الصالحين اذ هو الغني المطلق الذي لا حاجة به الى معين وظهير [illegible]
الصادق انه ما صلحت دنيا ولا دين الا به اما صلاح الدنيا به فلانه لولا الجهاد في سبيل
الله ومقاومة اهل [illegible] لخربت الارض والبلاد كما قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين واما صلاح الدين فظاهر لانه لما كان

يعني ان يصفوا او يبلغوا انفسهم لكون دخولهم في دم عثمن معلوما قوله ولا اعتذر مما فعلت ولا ابرأ
[illegible] صنعت اي اني لا اعتقد ان الذي فعلته في وقت قتل عثمن لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب
الاعتذار والتبري [illegible] فاعتذر وابرأ كما سيتبين وجه ذلك ان شاء الله قوله وان معي لبصيرتي
[illegible] بيانه وقوله وانها للفئة الباغية فيها الحم والحمة استعار هاتين
اللفظين لاسقاط الناس واراذلهم الذين جمعوا لقتاله ووجه الاستعارة مشابهتهم الحمأ
الذي لا ينتفع به وما اسود منها في قلة المنفعة والخبث وقوله طالت جلبتها اي ان تقعقعت اصواتها وهي
كناية عن ما ظهر من القوم من تهددهم وتوعدهم بالقتال وقوله وانكفت جونتها
اي استتر سوادها واجتمع وهي كناية ايضا عن تجمع جماعتهم لما يقصدون به وقوله يرتضعون
اما قد فطمت استعارة لفظ الام لنفسه عليه السلام وللخلافة فبيت المال ايضا وللمسلمين
واولادها المرتضعون وكنى بارتضاعهم لها وقد فطمت عن التماسهم منه عليه من الصلات والتفضيل
لما كان عثمن يصلهم به وتفضيل بعضهم على بعض او منعه لهم من ذلك وقوله ويحيون بدعة قد
اميتت اشارة الى ذلك التفضيل فانه كان بخلاف سنة رسول الله صلعم وسنة الشيخين او والبدعة
مقابلة للسنة وانها تكذ علم لذلك في لا تية وقوله ليعودن الباطل الى نصابه توعد لهم
بما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية واستنفار للسامعين الى القتال وقوله يا خيبة
الداعي من دعا تحرز في التعجب من عظم خيبة الدعاة الى قتاله ومن دعوا والى ما اجيب
استفهام على سبيل الاستحقار يدعون للقتال والناصرين اذ كانوا اعوام الناس
ورعاعهم [illegible] يدعون اليه وهو الباطل الذي دعوا الى نصرته وقوله لو قيل ما الى من
ذلك وما امامه و[illegible] سنته اذا الزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه فحصله
معناها لو سال سايل مجادلا لهؤلاء الدعاة الى الباطل عما اليه دعوكم [illegible] اماحهم
الذي به يقتدون وعن سنتهم التي اليها يرجعون ليشهد لسان حالهم باني انا امامهم
و[illegible] سنتهم فان زاح باطلهم الذي انزاح به وانقطع لسانه واستعمال لفظ اللسان
هاهنا [illegible] حقيقة على تقدير حذف المضاف اي انقطع لسان صاحبه عن الجواب ثم
ويكون الاستعارة في لفظ الانقطاع للسكوت او مجاز اي العبارة عن الباطل والتكلم
به اي انقطع الجواب الباطل وقوله فما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج
الجملة عطف على قوله وانقطع لسانه وواضح حينئذ اي فيه حينئذ والجملة في موضع النصب
مفعول ثاني لاظن اي وما اظن لو سال سايل عن ذلك ان الطريق الذي يرتكبه المجادل له
في الباطل [illegible] واضح حيث سلك بل كيف توجه في الجواب انقطع وقوله والله ما انا بات
[illegible] قوله [illegible] اشارة الى عثمن وذم لهم من طلبهم [illegible] اعتذر اليهم [illegible]
[illegible] عليهم [illegible] ذلك وقوله وايم الله لافرطن لهم